مجلة

المجمع العلمي العربي

١ تشرين الأول سنة ١٩٤٩ | ٩ ذي الحجة سنة ١٣٦٨

الألفاظ السريانية في المعاجم العربية

— ٧ —

تابع حرف الفاء

المُفَقِّعة كمحدِّثة : طائر اسود أصل ذنبه أبيض (الشرتوني ٩٣٨) لعلها معربة من السريانية ܦܩܘܐ fakoo (اللباب والدليل)[(١)] .

افتقد : افتقد الشيء طلبه عند غيبته ܐܦܬܩܕ Eftkad : أورد حنين بن اسحق هذه اللفظة في قوانينه في الألفاظ المنسوبة الى عنانيشوع واليه ص ٢ قال : ܐܬܒܥܝܬ ܐܬܦܩܕܬ Ethbait , Ethfqadt ومعناهـا : افتُقِدت أي ُطلبت ، واستشهد بآية وردت في سفر صموئيل الأول ٢٠ : ٢٧ وقد

---

(١) ܦܩܘܥܐ faqouo : ثمر التين قبل نضجه أوردها ابن بهلول عمود ١٥٩٨ والسيد أودو في معجمه ٢ : ٣٣٩ . وذكرها صاحبا اللباب ٢ : ٣٣٨ والدليل ص ٦٠٣ وعرّباها بالفُقّيع ولم ترد في المعاجم العربية وانما يستعملها عامة أهل الشام . وقال ابن بهلول أيضاً في جمعها ܦܩ̈ܘܥܐ : التين الأخضر .

تكررت أربعاً في الفصل عينه ومنها في عدد ١٨ « ܘܡܬܦܩܕܐ » Wméthfqédat « فقال له يوناثان غدا رأس الشهر فتُفتَقَد » ومع أن هذا المعنى أوردته المعاجم السريانية ، ودليلهم ما ورد منه في التوراة بحسب ترجمتها البسيطة فان اللغوي المطران يعقوب البرطلي السرياني المتوفى سنة ١٢٤١ م ذكر هذه اللفظة في الألفاظ الضائعة وذلك في مصنفه السرياني المخطوط الموسوم بالمسائل والجوابات ٠

فُلّ : قال الخفاجي في شفاء الغليل ص ١٥٢ « فلّ بضم الفاء وتشديد اللام نوع من النَّوْر يشبه الياسمين الا أنه أقوى رائحة ، وهو شائع في لغة اليمن والحجاز ، ولم يذكره أحد من أهل اللغة ، وسماه ابن البيطار [1] في مفرداته : النارق » ثم أورد بيتين للأصيلي ورد فيهما (الفلّ) وقال صاحب اللباب ص ٣٢٥ « ܦܠܐ بالفتح الفلّ وهو شجر بستاني ذو زهر أبيض صغير مستدير طيب الرائحة ، الواحدة ܦܠܬܐ فلّة » faltho , falo وقال فيه الشهابي ص ٣٦٦ ياسمين زنبقي ٠ وفي كتاب كنز اللغة السريانية ص ٢٩٣ ܦܠܐ مثلثة félo , falo , folo شجر يعصر من أوراقه دهن طيب الرائحة عطري ٠

فَلِت : تخلص وبالسريانية ܦܠܛ (فلط) flat ومنه سميت بلدة بَلَط اي بَلَد ، من ديار الموصل كما ذكر ياقوت في معجمه ٢ : ٢٧٠ قال « فابصره سرياني فقال افلط أي اخرج من بطن الحوت يقال افلتْ فسمي ذلك الموضع فلط ثم بَلَط ثم بَلَد » اهـ ، وفي المزهر ١ : ١٣٥ « وفي الصحاح قال الخليل (افلطني) لغة تميمية قبيحة في افلتني » اهـ ٠ قلنا ومع هذا فلعلها من توافق اللغتين ٠

فلج : جاء في الجواليقي ص ٢٤٩ « ابو عبيدة : فَلَجتُ القوم أفلجُهم وفَلَجتُ الجزية على القوم ، اذا فرضتُها عليهم ٠ وهو مأخوذ من القفيز

---

(١) هو عبد الله بن احمد المالقي كان رئيس العشّابين في مصر توفي في دمشق سنة ١٢٤٨ م

« الفالج » وأصله بالسريانية (فالغا) ويقال له أيضاً « فِلْج » وقال ابن سيده في المحكم : يقال للقفيز بالسريانية « فالغا » واعربته العرب فقالت « فالج » ١٢ : ٢٦٤ . وفي اللسان « والفالج والفلج » مكيال ضخم معروف ، وقيل هو القفيز وأصله بالسريانية « فالغا » فعرب . وفي الأساس ٢ : ٢١٢ فَلَجوا الجزية بينهم قسموها ، واكتل بالفِلج والفالج وهو مكيال ضخم ، ويقال لقاسم أنصباء الجزور : المُفَلِّج . فلج الشيء بينهم كفلّجه قسّمه نصفين ، والشيء شقّه فَلْجَين اي نصفين . والفَلْج النصف ، والفِلْج المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) وفي معجم البلدان ٦ : ٣٩٣ الفَلْج في لغتهم القِسم يقال هذا فَلجي اي قسمي . وفي مجلة المجمع مج ١٦ — ٥٩ وما بعدها عن المُعرب في ترتيب المعرب للمطرّزي المتوفى سنة ١٢١٣ م « الفالج في التهذيب نصف الكُر الكبير ، والفَلَج : المكيال الذي يقال له بالسريانية (فالغا) ومنه حديث عمر ، انه بعث حذيفة وابن حنيف الى السواد (ففلجا) الجزية على أهله ، فرضاها وقسماها ، وانما أخذوا القسمة من هذا المكيال لأن خراجه كان طعاماً . ومنه :

الفالج : في مصدر المفلوج لأنه ذهاب النصف . (عن ابن دريد) اهـ .

قلنا المادة سريانية ܦܠܓ ، ܦܠܓ Falègh , Flagh : فلَج . شطَر ، قسم ، قاسم ، فلّج ، شطّر ، قسّم و ܦܠܓܐ Pelgo : فِلج ، شَطر ، قسم ، داء الفالج . و ܡܦܠܓܢܐ Mfalghono : مفلِج ، مقسِّم و ܦܘܠܓܐ Folgho : فِلج مكيال ، فالج (داء معروف)[1] .

(١) فِند : لفافة شمع لا تزال مستعملة في بعض بِيَع السريان في ما بين النهرين والشام ، أخذت من لفظة ܦܢܛܐ Fanto الفارسية ، ومعناها مصباح ، (فانوس اليونانية Phan - os)

فُندُق : قال الجواليقي ص ٢٣٩ : « الفندُق بلغة أهل الشام ، خان من هذه الخانات التي ينزلها الناس مما يكون في الطرُق والمدائن » اللفظة يونانية Pantokhei - on المنزل ، محط الرحال . نقلها السريان بلفظها ܦܘܢܕܩܐ ، ܦܢܕܩܐ Foudqo , Fandqo وقلبوا الدال تاء فقالوا أيضاً ܦܘܬܩܐ Foutqo .

فُهْر : الفُهْر تعريب فوريم ج فُور بالعبرية ومعناه قرعة ، وهو عيد لليهود يسمونه عيد الفوريم . اخذه السريان فقالوا فيه ܦܘܗܪܐ Fouhro وعنوا به : دعوة ، وليمة ، مأدبة . قال ماري بن سليمان في كتاب المجدل ص ٣ و ٤ وقد أورد اللفظة بالخاء (فخر تبعاً للسريانية « وكان المجوس لهم عادة عمل الفخر وكان للشبان فخر وهو دعوة يجتمع الناس فيها على وجه الدين بشرائط معينة ... واعتلّ بعد أيام خليفة رئيس الفخر » وفي الأساس ١ : ٢٢٠ وكأنهم (اليهود) خرجوا من فُهْرِهم وهو مدراسهم تعريب بُهْر) بالعبرانية . ܦܘܗܪܐ Fouhro .

فَيْجن : الفَيْجَن : السَّذاب ، قال ابن سيده في المخصص عن ابن دريد ١٠ : ١١ « ولا أحسبها عربية صحيحة » ومثله في شفاء الغليل ص ١٤٧ ܦܝܓܢܐ Fegno وفي الجواليقي ٢٤٢ قال ابو بكر « السَّذاب لغة شامية وقال في ٣ : ٣٥٧ ولا أعلم للسَّذاب اسما عربيًا لأهل الحجاز ، الا ان اهل اليمن يسمونه (الخُتْف) »

* * *

حرف القاف

قاريء : قال صاحب أقرب الموارد « القاريء من دخل في أصغر درجات الرهبانية (نصرانية) ويستدرك عليه ان القاريء « من دخل في احدى درجات الشماسية الصغرى ، ووظيفته تلاوة كتاب الله على جماعة المؤمنين » وكذا غلط صاحب المحيط بقوله « القاريء هو المتنسك المتعبد » واللفظة سريانية ܩܪܘܝܐ Korouio .

قاقوزة : قازوزة : قال التبريزي في تهذيب الاصلاح : القاقُزَّة مولدة وانما هي القاقوزة ، والقازوزة وهي اناء من آنية الشرب ١ : ١٧٨ . وقال الاسكافي ص ٥٧ الصاغرة المشربة ، والقاقوزة نحوها . وقيل هي للشراب جلد مزقق . وقال الجواليقي ص ٣٧٣ « وقال (الليث) القاقُزَّة اناء من آنية الشراب وهي القاقوزة والقازوزة أيضاً . ويقال انها معربة ، وليس في كلام العرب ما يفصل

الف بين حرفين مثلين مما يرجع الى بناء (ققز) ونحوه . والجملة الأخيرة من كلام الليث نقلها عنه صاحب اللسان . ولخص الخفاجي هذا الشرح في شفاء الغليل ص ١٥٨ وفي القاموس : القاقوزة ، مشربة او قدح او الصغير من القوارير والطاس . وقال ابن قتيبة في أدب الكاتب : ولا تقل قاقزّة . قال الاقيشر الأسدي :

افنى تِلادي وما جمّعتُ من نَشَبٍ   قرعُ القواقيزِ افواهَ الأباريقِ [1]

وزعم صاحب الأغاني ١ : ٢٧٣ انها فارسية معربة . اقول هي لفظة سريانية ܩܩܘܙܐ Kocouzo : ومعناها : دُبَّة ، زُجاجة ، قارورة ، وقيل الصغيرة من القوارير [2] .

قانونة البنّاء : تُرّ ، زيج . سريانية ܩܢܘܢܐ ، ܩܢܘܢܬܐ Knouno Knountho : شاقول البنّاء .

قُدْس : وقدّس ومشتقاتها مادة ساميّة . قَدُسَ ، طَهُر ، وتبارك ، وقدّسه الله طهّره وبارك عليه ، والقُدْس الطُهْر والبركة ، والقُدّوس من اسماء الله جلّ ثناؤه أي الطاهر المنزه عن كل عيب . وبالسريانية ܩܕܫ Kadèsh وفي سفر الأيام الأول ١٨ : ١١ «وهذه أيضاً قدّسها الملك داود للرب» أي جعلها مقدسة خاصة بخدمة الله ، وفي سفر اللاويين ١٩ : ٢٤ «يكون كل ثمرها قُدْساً لتمجيد الرب» وفيه أيضاً ١١ : ٤٤ «لأني قدّوس» وفي المزمور ٩٣ : ٥ «ببيتك تليق القداسة يارب طول الايام» ومنها المَقْدِس ، وفي سفر الخروج ١٥ : ١٧ «لقد أقمت يارب مَقْدِسَك موضعاً لسكناك . ܩܘܕܫܐ Koudsho ܩܕܝܫܐ Kadisho قدّوس ، قدّيس . ܩܕܝܫܘܬܐ Kadishoutho ܩܕܝܫܐ

(١) الأغاني ١١ : ٢٧٦

(٢) قانون : فريضة ، سُنّة ، قال ابن سيده في المحكم « قانون كل شيء ، طريقه وقياسه ، وأراها دخيلة » . والقانون أيضاً : نشيد منثور يتلوه الروم والسريان في أدعيتهم ، واللفظة يونانية الأصل Kanôn ومنها اتخذها السريان ܩܢܘܢܐ Konouno والعرب .

Makdsho مقدس . وقدس الأقداس : وهو موضع من الهيكل كان يدخله عظيم الأحبار عند اليهود مرة في السنة ، وعند المسيحيين السريان : هو المذبح الذي عليه يُقرّب الكهنة والأحبار القربان الإلهي ، ويعني أيضاً القبة التي تظلل هذا المذبح ܩܕܘܫ ، ܩܘܕ̈ܫܐ Kdoush , Koudshé وفي شعر أمية بن أبي الصلت ورد « المقدّس » بمعنى القدوس قال :

فكل مُعمّرٍ لا بدّ يوماً وذي الدنيا يصيرُ الى الزوالِ
ويفنى بعد جِدّتِه ويبلى سوى الباقي المقدس ذي الجلالِ

ومن المادة :

القُدّاس : وهو القربان الإلهي من الخبز والخمر الذي تُتلى عليه دعوات خاصة ، لفظة مسيحية سريانية ܩܘܕܫܐ Koudsho والجمع قداديس [١] . والفعل : قدّسَ ܩܰܕܶܫ Kadèsh : أقام القداس . ومنها :

القِدّيس : وهو المؤمن الذي يسير بحسب الشريعة الإلهية ويتوفى طاهراً فاضلاً ، سريانية مسيحية ܩܰܕܺܝܫܳܐ Kadisho وهي (قديسة) ܩܰܕܺܝܫܬܳܐ Kadishto وجمع الأولى قديسون والثانية قديسات [٢] . وورد فعل ܩܰܕܶܫ أي طهّر وبرّر في العبرية Qaddèshe و ܩܕܫ : قَدُس (معجم برون ص ٥٦٥) وفي اللغة الأكدية : Uqaddash : طهر ، قدّس ، و Qaddushu : نقيّ ، تقديس ، ومن السريانية أخذتها الحبشية فجاء فيها Qaddash : قدّس ، بارك ، أقام القدّاس ، و Qeddûs قدّيس ، قدّوس الخ . ومن السريانية اقتبست العربية هذه المادّة .

(١) وجُمع في كتاب الناموس للروم : قدّاسات ، قال في قوانين ابيفانيوس عدد ١٠١ « القدّاسات التي تُقدّس في ... » وهكذا في كتاب مصباح الظلمة للقس ابي البركات ابن كبر القبطي الذي طابع الجزء الأول منه في باريس سنة ١٩٢٨ قال « وترتيب طقوسها واوضاعها في الآحاد والأعياد والصلوات والقدّاسات » ص ٤٨ و ٥٣ .

(٢) ورد هذا اللفظ في رسالة كتبها الخليفة المقتفي لأمر الله الى الحسن بن احمد العطار الهمذاني قال « فان الأب القديس النفيس » أخذاً من الاستعمال المسيحي ، وأضاف الى قوله « خامس اولي العزم » (معجم الأدباء لياقوت ٨ : ١١) .

قرَّب : القربانَ لله قدَّمه — وقرَّب الكاهنُ فلاناً ناولهُ القربانَ — (نصرانية ، سريانية وتوافقها العبرية) ܩܰܪܶܒ Karèb والاسم القربان :

قُربان : في اقرب الموارد : القربان كل ما يُتقرَّب به الى الله تعالى من ذبيحة وغيرها ، وعند اليهود ما يقدّمونه من التقدمات ، وما يقدّمه الكاهن من الخبز والخمر (نصرانية) وفي كتاب المرشد لابن جرير السرياني : الباب ٥١ « القربان « اسم سرياني دخيل في اللغة العربية معناه الهدية ويسمى قراب أيضاً واشتقاقه من الدنوّ والقرب » اه ، وفي سفر التكوين ٤ : ٣ « قدَّم من أثمار الأرض قرباناً » وفي القرآن : « اذ قرّبا قرباناً » وفي طبقات الأطباء ١ : ١٤٦ « صحة القربان بالخبز والخمر ـ وحكى الكلبي ان النعمان دخل (الدير) في بعض اعياده فرأى امرأة تأخذ قرباناً . فدعا الراهب الذي قرّبها وسأله عنها » . ܩܽܘܪܒܳܢܳܐ Kourbono ، لفظة سريانية توافقها فيها اللفظة البابلية Kirbannu او Kurbannu بمعنى : عطيّة ، تقدمة ، والفعل Karabu : ومعناه اكرم الآلهة بالصلاة . « الديانة الآثورية البابلية للأب بولس دورم ص ٢٨٤ و ٢٤٧ » والعبرية « معجم برون ص ٦٠٥ » .

قِريان : فصل معين من كتاب الله العزيز يُقرأ في البيعة قبل القداس في الآحاد والأعياد وغير ذلك والجمع قريانات ، وهو لفظ سرياني ܩܶܪܝܳܢܳܐ Kériono وفي تاريخ عمرو بن متى ص ١١٩ « وقرأ عليه القريان الأول ابراهيم قس دير مار كليليشوع ، والقريان الثاني ابو الفرج قس بيعة درب القراطيس » .

قريب : بمعنى عرّاب اي كفيل المعتمد ، لفظ سرياني مسيحي ܩܰܪܺܝܒܳܐ Karibo .

قَسْطَل : قال ياقوت في معجم البلدان ٧ : ٨٦ « القسطل في لغة العرب الغبار الساطع ، وفي لغة أهل الشام الموضع الذي نغترف منه المياه ، وفي لغة أهل المغرب : الشاه بلوط الذي يؤكل » وقال الخفاجي في الشفاء ص ١٦٣ هو غير عربي عرّبه المولدون . قلنا هو بالمعنى الذي يريده أهل الشام سرياني ܩܰܣܛܠܳܐ

kastolo ومعناه عين ماء ، وقال مؤلف كنز اللغة السريانية ٢ : ٤٤٥ « ومنه في حلب المواضع التي تغترف منها المياه في شوارعها » .

القَسّ : قَسّ فلان قُسوسةً وقِسّيسةً ، صار قِسّيساً وجمع القَس قسوس ، ومثله القِسّيس وجمعه قسّيسون وقُسّان وأَقِسّة . وهو دون الاسقف وفوق الشماس ، والقسّيسه درجة لا رتبة . فان بعض الرتب تتقدم عليها كرتبة الخور اسقف ، ورأس الدير ، ومقدم الكهنة . واللفظة ومشتقاتهـا سريانية ܩܫܐ kasho ܩܫܝܫܐ kashisho ܩܫܝܫܘܬܐ kashishoutho ومعناها اللغوي : الشيخ ولا فعل بالسريانية يعني معنى القَسّ . ومع هذا فقد قال ابن ابي أُصيبعة في طبقاته ٢ : ٨٩ في جنازة سهلان الطبيب الملكي « ثم أُخرج من الكنيسة بعد ان قُسّس عليه بقية ليلتهم الى دير القصير » اي صلى القسوس عليه . ولم يرد هذا الفعل لا في السريانية ولا في العربية . ويُستدرك على صاحب الأساس في قوله ٢ : ٢٥١ « قسّ النصارى رأسهم وكبيرهم » وعلى الاسكافي في قوله ص ١٩١ « القس كبير النصارى المتعبّد » وكذا قول التاج ٤ : ٢١٧ « رئيس النصارى في الدين والعلم » ، وقول الجوهري : القَسّ رئيس من رؤساء النصارى في العلم والدين ، والفيومي في المصباح ص ٧٧٤ « القسيس بالكسر عالم النصارى والقسّ لغة فيــه » وخصوصاً قول الفيروزابادي ٢ : ٢٤٠ « القسّ (بالفتح) رئيس النصارى في العلم » وقد نقده مؤلف الجاسوس ص ٣٤٠ وكلّ من هذه التعريفات مغلوط فيه لايثار اللغويين التقليد على الاجتهاد . فاس القس رأس المسيحيين ولا رئيسهم ولا كبيرهم ولا عالمهم . وانما هو « خادم الكهنوت عندهم أي خادم دينهم وإمامهم في أمور عبادتهم » . ومثله في الخطأ قول صاحب شفاء الغليل ص ١٧٨ في المطران أنه عابد النصارى ! وصوابه « انه رئيسهم في الدين والعلم وقاضي امورهم الشرعية » (١) .

(١) قَشّ : حطب ، قاش ، يبس كل نبات ، وفي المزمور ٨٣ : ١٣ « مثل القَشّ امام الريح » وفصيحه الوَقْش وهو صغار الحطب الذي تشيّع به النار . وفي ذيل أقرب الموارد –

قِطّ : هِرّ ، سنّور في بعض اللغات ، قال في الجمهرة ١ : ١٠٨ « ولا احسبها عربية صحيحة » قلنا هي سريانية وفيها لغات ܩܛܐ ، ܩܛܘܐ ، ܩܛܘ ، ܩܛܘܬܐ kitto , katou , kéto , kalo ·

قَطْلَب : معربة من السريانية : ܩܛܠ ܐܒܘܗܝ kotélabouï ومعناها اللفظي « قاتل أبيه » قال فيه دليل الراغبين « شجر دقيق الورق شديد الحمرة له حب نحو العنب اخضر فاذا نضج كان احمر كالياقوت » وبمثل هذا عرّفه الشرتوني ٢ : ١٠١٦ وقال فيه الشهابي ص ٦٠ « قَطْلَب : جنس جنبات حَرَجية من فصيلة الخلنجيات » و ص ٥٩ « ولم أجدها في التاج ولا في اللسان » ·

قَطونا : الذي يضاف اليه بزر قطونا ويقال له حشيشة البراغيث ولسان الحَمَل ، أعجمي معرب ، وفي شفاء الغليل ص ١٥٩ « أعجمي معرّب » هو لفظ سرياني الأصل ܩܛܘܢܐ katouno · [1]

قفّور : قال الجواليقي في المعرّب ص ٢٦٨ : « القفّور والقافور لغة في الكافور ، قال ابو بكر أحسبه ليس بعربي » وضبط اللسان والقاموس أولها · وقال ابو بكر بن دريد : فأما الكافور المشموم من الطيب فأحسبه ليس بعربي محض لأنهم ربما قالوا « القفور والقافور » وقال الازهري : وكذلك الكافور ، الطيب يقال له قفّور · وقال السيوطي في الكافور « المذكور في سورة الانسان : ٥ « كان مزاجها كافوراً » ذكر الجواليقي وغيره انه فارسي معرب (الاتقان ص ١٤٠) وكذلك قال بفارسيته الثعالبي (فقه اللغة ص ٣١٨) والمطران ادّى شير · وفي أقرب الموارد : القافور والقفّور : كافور الطيب · وقال الفيروزابادي ٢ : ١٢٨

— عن اللسان : القَشّ : ما يُكنس من المنازل أو غيرها . وهي بالسريانية ܩܫܐ ، ܩܫܬܐ ، ܩܫܫܐ kshosho , keshtho , késho بالمعنى الذي أوردناه .

(١) قطيفة : كساء له خَمَل (ابن سيده ٤ : ٧٩) مُلاءة ، مشملة ، كساء له خمل متفرق يلتحف به : ܩܛܝܦܬܐ katiftho وهي مما توافقت فيها اللغتان .

« الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يُظل خلقاً كثيراً وتألفه النمورة ، وخشبه أبيض هش ، ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر ، وانما يبيض بالتصعيد » وفي معجم الألفاظ الزراعية ص ١٢٦ « Camphre : كافور مادة عطرية بيضاء متبلورة تستخرج من شجر الكافور » وفي ص ١٦٧ « كافور شجر أخضر لامع يستخرج الكافور من ورقه » وفي معجم كيران الفرنسي ص ١٢٧ « انه ينبت في الهند والصين واليابان » وفي معجم شامبرس الانكليزي ص ١١٤ « ان اللفظة بالهندية Kapur وبلغة مالاي : Kapura » .

وللفظة بالسريانية لغات ثلاث : ܩܦܘܪ (قفور) و ܩܦܦܘܪ (قفّور) و ܩܦܘܪܐ (قفُورو) (ابن بهلول ع ١٨٢٠ وكنز اللغة السريانية ٢ : ٤٤٧ ودليل الراغبين ٦٩٣) أما العرب الأقدمون وان كانوا قرأوا « الكافور » في القرآن لكنهم لم يعرفوا كنهه . قال ابو حنيفة الدينوري في كتابه الأخبار الطوال المطبوع في ليدن سنة ١٨٨٨ ص ١٣٤ « فدخلها المسلمون (يريد المدائن) فاصابوا فيها غنائم كثيرة ووقعوا على كافور كثير فظنوه ملحاً فجعلوه في خبزهم فأمرّ عليهم » وفي تاريخ الطبري مج ٤ : ١٧٥ « قال حبيب بن صُهبان « دخلنا المدائن ... وأتينا على كافور كثير فما حسبناه الا ملحاً فجعلنا نعجن به حتى وجدنا مرارته في الخبز » .

ومع احصاء دوفال هذه اللفظة في عداد الألفاظ السريانية (٣ : ١٧٥) فاننا نرجح نجارها الهندي بدليل منابتها في الهند والصين ، ومن الهندية نقلها السريان على طريقتهم بالقاف دون الكاف ، وبهذا الوضع تلقاها منهم العرب . قال جرير (ديوانه ص ١٩٤) .

قالت فدتك مجاشع فاستنشقت من نخريه عُصارةَ القفّور

ومثل القفّور والكافور : الفُلفُل : وليس هو فارسي الأصل كما زعم الثعالبي

في فقه اللغة ص ٣١٨ والشرتوني في معجمه ص ٩٤٤ لكنه سنسكريتي الأصل Pippali [1] ، ومن هذا اللسان اقتبسته السريانية والفارسية والعربية واليونانية Peperi واللاتينية Piper والانكليزية Pepper والفرنسية Poivre . وهو بالسريانية ܦܠܦܠ ، ܦܠܦܠܐ : Felflé , Felfel [2] .

قِلاّية : قال الخفّاجي في شفاء الغليل ص ١٦٦ « قلاية ويقال قلّيّة من اللغة الرومية وقد عُرّبت قديماً ووقعت في كتب العهد ... وهي بناء مرتفع كالمنارة تكون لراهب ينفرد فيها وقد لا يكون لها باب ظاهر ، والصومعة دونها وهي معروفة . كذا في كتاب الكنائس » واصوب من هذا : ان القلاية لفظة لاتينية الأصل Cellula ومعناها غرفة صغيرة او غرفة صغيرة لراهب او راهبة ، أخذاً من Cella وتعني : غرفة ، مخدع ، معبد لاقامة انصاب الآلهة (قاموس Thiel ص ٢٥٤ و Petit larive ص ٢١٠) وذكر برون في معجمه ص ٥٨٨ أيضاً أنها باليونانية kella و kelliou . ومن اللاتينية نقلها السريان الى لغتهم فقالوا ܩܠܝܬܐ kéleitho (قيلَيتا) كما قالوا أيضاً kélo والأولى أشهر وآنس ، ومعناها : قلاية ، كوخ ، حجرة ، كرح ، صومعة الراهب (دليل الراغبين ٦٧٨) وتوسعوا فيها فاطلقت أيضاً على منزل البطريرك والأسقف وعمّ استعمالها فرق النصرانية في الشرق ، وجمعها قلايات وقلالي . ويستدرك على من قال بيونانيتها او باقتصارها على دار الأسقف ، كالبستاني والشرتوني في معجميهما والأب لويس شيخو .

القُلْب : بضم القاف : السوار ، جاء في الاساس ٢ : ٢٧٠ « وفي يدها قُلْب فضة ، سوار يشبّه بقُلْب النخلة في بياضها وهو شحمتها أي الجُمّار » والقُلْب يكون من ذهب او فضة او نحاس ، فلا يشترط فيه البياض . وهو

(١) معجم شامبرس ص ٥٨٥ .

(٢) وضبطها (منكانه) بكسر الفاء الثانية أيضاً ܦܠܦܠܐ Felfélé (مفتاح اللغة الآرامية ص ١١٥) .

في السريانية ܩܘܠܒܐ koulbo وورد في نبوة اشعيا ٣ : ٢١ في النقل السرياني البسيط « ܘܩܘ̈ܠܒܝܗܝܢ koulbaïhène : أساورهن » .

قَمَص : القَمَص الجراد اول ما يخرج من بيضه ܩܡܨܐ kamso وفي نبوة يوئيل « فضلة القمص يأكلها الزحاف » ١ : ٤ ، مما توافقت فيه اللغتان .

قنابِري : جاء في القاموس : القنابري بقلة الغُملول وفي ٣ : ٣٤٠ التُملول كعصفور ، نبت نَبَطية قنابرى وفارسيته بُرغُشت ، ويسمى شجرة البهق يكثر في أول الربيع في الأراضي الطيبة المنبتة للشوك والعوسج . وفي ٤ : ٢٦ الغُملول بقلة تؤكل مطبوخة ، وفي موضع آخر سماه الكُملول بالضم . قلنا الحرف سرياني ܩܘܢܒܪܐ kounboro قال فيه الدليل : خردل برّي ، قنبير ، قاقلّى ، بقلة الغُملول . ويظهر ان غملول وكملول لغتان في غُملول او تصحيف .

قَوصَرَّة : وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري (اللسان) قال الجواليقي ص ٢٧٧ « قال ابو بكر في الجمهرة ٣ : ٣٦٣ : لا أحسبها عربية صحيحة وان كانوا قد تكلموا بها وقد جاءت في الشعر الفصيح قال الراجز :

أفلحَ من كانت له قوصرّة يأكل منها كلَّ يوم مرّة

وفيه أيضاً ٢ : ٣٥٨ « فاما القوصرّة التي تسميها العامة قوصرة فلا أصل لها في العربية وأحسبها دخيلاً وقد روى لعلي بن ابي طالب » قلنا ورد في السريانية ܩܘܣܪܬܐ kousartho وتعني : قدر صغيرة ، وعن ابن سروشويه قُديرة صغيرة ، وفي معجم برون ص ٥٩٦ وعاء ، فلا نعلم اذا كانت القوصرة من هذا الحرف الذي أفصح دوفال باصله السرياني ؟

قُوق : القوق طائر من طير الماء طويل العنق قليل لحم الجسم ، وأنشد بعضهم : كأنك من بنات الماء قوقُ . (اللسان والعباب وحياة الحيوان للدميري) وفي أقرب الموارد : القاق والقوق طائر مائي طويل العنق ، وفي معجم ابن بهلول ع ١٨٢٩ ܩܘܩܐ koko : البيضاني والعقعق ، الغيهب وقيل ملك

الحزين وقيل الواق ، وقال ابن سروشويه : هو أبيض طويل العنق ويسمى العقعق الأبغث وهو البيضاني ثم ذكر انه في صدره حمرة وهو يحب فراخه حباً شديداً ، وسماه دليل الراغبين : ابو زريق ، بجع !

ووردت اللفظة في التوراة السريانية البسيطة ، مز ١٠١ : ٦ » وشابهت القوق في البرية » (الترجمة الشدياقية وترجمة سعديا الفيومي المتوفى سنة ٩٤٢ م . وأنت ترى اختلافهم في تعريف هذا الطائر واسمائه ، وفي معجم الشهابي ص ١٩٠ تعريف للقاق لا ينطبق عليه ، ومع ان اسمه في العبرية « قَاَت » (برون : ٦٠٣) فقد ذهب الكرملي ان اللفظة عربية (لغة العرب ٨ : ٣٢٦ و ٣٥٩) ونحن نحسبها سريانية .

قام : قام بمعنى نُشر وبُعث من الرمس ، ومنه القيامة : للبعث والنشور ، استعمال مسيحي خاص أخذاً من العبرية والسريانية : ܩܝܳܡܬܳܐ kïomto [(١)] .

قَيقَلان : في مبادي اللغة للاسكافي ص ١٩ « والمُردي والقَيقَلان : خشبة يدفع بها السفينة ورأسها في الأرض ، قال الشاعر :

أداري صدرها بالقَيقَلان »

ولم نعثر على لفظة القيقلان في المعاجم وأراها سريانية الأصل ܩܝܩܢܳܐ kikno ومعناها ، مِهاز ، منخزة .

قيُّوم : القيوم من الأسماء الحسنى ، لفظة سريانية ܩܝܳܡܳܐ kïomo و ܩܽܘܝܳܡܳܐ koïoumo ومعناها : القيّم ، الوصيّ ، الوكيل ، الدائم ، الكائن . ولا تعني : الذي لا ينام كما زعم الواسطي ، ولا الذي لا نِدَّ له . لكن : الدائم الكائن او الدائم الباقي . ولا الذي لا بدء له كما وهم الشرتوني (١٠٥٤)

(١) مما عربه الكلدان من السريانية لفظة « قِياموث » ܩܝܳܡܽܘܬܳܐ kïomoutho ومعناها : موسيقى ، فن الغناء والترنيم ، قال عمرو الطيرهاني في المجدل ص ١١٥ في ترجمة الجاثليق سبريشوع الرابع « كان عالماً وله معرفة بالتسابيح ، حافظاً للقياموث وجميع ما يقال في البيعة » .

او « القائم الحافظ لكل شيء والمعطي له ما به قوامه » كما ذهب الراغب الاصفهاني في المفردات ص ٤٢٨ . وفي نبوّة أشعيا ٣١ : ٨ « اني انا الربّ القيوم » « الدين والدولة ص ٨٢ » وفي مسالك الأبصار للعمري « الديّوم » وزان القيّوم ومعناه الدائم [1] .

* * *

(١) مما يستدرك على الشرتوني قوله ص ١٠٣٨ « القامسة بطاركة أقباط النصارى » وهو غلط ظاهر صوابه : قامصة بالصاد جمع قمّص ، مقدمو قسوس الأقباط أو خوارنتهم ، وليس بطاركتهم ، أخذاً من لفظة « ايغومانس » اليونانية Hégoumène ومعناها زائر ، مدبّر كالبريودوط ، وورد في كتاب الناموس للروم : اقنوم جمعه اقانة وهو معرّب « ايكونومس » وورد في توقيع كتبه أحد ملوك مصر لبطريرك الأقباط « مالكاً ازمّة كل أسقف وقمّص ومطران » (صبح الأعشى للقلقشندي ج ١١ : ٤٠٢) وانظر الجوهرة النفيسة لابن سباع القبطي ص ٩٣ .

ويُستدرك على السيوطي قوله في الاتقان ص ١٤٠ في « قل » قال الواسطي هو الدبا بلسان العربية والسريانية ، قال ابو عمرو ، لا أعرفة في لغة أحد من العرب ، انه فارسي معرب » فانه ليس من كلام السريان وانما الدبا ܕܒܐ Débo يعني : ذبابة .

ومن الألفاظ السريانية المعربة التي لم ترد في كلام الفصحاء ، قصَم : ܩܣܡ : كهّن ، سحر ksam ܩܨܘܡܐ ، ܩܘܨܘܡܐ kaçomo , koçoumo : عرّاف ، ساحر ܩܘܨܘܡܬܐ koçoumtho : ساحرة وكذلك هي في العبرية (معجم بروك ص ٩٠٠) قال ابن النديم في الفهرست ص ٤٥٢ « فيزجرون عليه ويقصمون » وأورد المطران اغابيوس المنبجي في كتاب العنوان ص ٦٨ و ٧٠ القاصوم والقاصومة بمعنى الساحر والساحرة .

ومن الألفاظ الطبية : قيروطي : مرهم من شمع وزيت يتداوى به ، وردت في تحرير مسائل حنين بن اسحق ܩܝܪܘܛܐ korouto .

ومما يفيد ذكره لفظة : قيطون : جاء في اللسان : وقيل بلغة أهل مصر وبربر ، وهو بيت في جوف بيت وهو المخدع بالعربية ثم أورده في بيت لأبي دهبل الجمحي . قال الجواليقي ص ٢٧٢ قيطون أعجمي معرّب ، والجمهرة ٣ : ٣٨٨ وفي شفاء الغليل ص ١٥٧ « قيل هو رومي معرّب » قلنا هو يوناني النجار khoïton (معجم بروك ٥٨٣) ومن اليونانية أخذه السريان ܩܝܛܘܢܐ kaïtouno : مخدع ، خِدر ، خباء . ومن السريانية أخذه العرب .

حرف الكاف

كابوس : قال ابن دريد ١ : ١٧٩ « الكابوس الذي يقع على النائم احسبه مولداً » وفي التاج : انما هو النيدلان وهو الباروك والجاثوم ، وفي الشفاء ص ١٦٨ ا كابوس هو مولد كما في المزهر . قلنا هو معرب من السريانية ܟܒܘܫܐ Cobousho .

كاثّ : الكاثّ مشدّداً ما ينبت مما يتناثر من الحصيد فينبت عاماً قابلاً ، قاله ابن شميّل ، زرّيع . قلنا هو حرف سرياني ܟܬܐ kétho وقع في كلام مار افرام ܟܬ ܟܬܐ ، وليست لفظة واحدة كما أوردها بعض اصحاب دواوين اللغة السريانية فقالوا فيها كاث الكاث ، ولكنها لفظتان معناهما كثف الزّرّيع لأن الكث يعني الكثف .

كاهن : الكاهن الذي يقدم الذبائح والقرابين وخادم الدين ومقرب الأقداس : لفظة سريانية وعبرية (معجم برون ص ٢٢٧) ܟܗܢܐ kohno ، والفعل كهّن : قام بوظيفته من تقديم ذبيحة وتبخير وغير ذلك ܟܗܢ kahène والاسم ، الكَهَنُوت : ܟܗܢܘܬܐ kohnoutho وأفصح أقرب الموارد بسريانيته .

كبيسة : السنة الكبيسة التي يُسترق منها يوم وذلك في كل أربع سنوات فيزاد على شهر شباط فيصير ٢٩ يوماً ، فعيلة بمعنى مفعولة ومعناها مقحم فيهـا ويقابلها البسيطة ، وكبسَ السنةَ بيوم ، زاده فيها . أحسبها سريانية الأصل ܟܒܝܫܬܐ kbishto .

— ومن الألفاظ العامية : قنان الجوز أي لبّه : ܩܢܐ kéno و ܩܢܬܐ kentho و ܩܢܢܐ knono . وقُبّيلة وجمعها قُبّيلات : لفظة معربة من السريانية ܩܘܒܠܐ ومعناها : قِرى ، دعوة ، وليمة : جاء في كتاب الناموس للروم في القانون المئة والثامن من قوانين ايبفانيوس القسطنطيني « أيّ كاهن رُأي يأكل أو يشرب في القبّيلات وحوانيت الباعة والمرّاقين . . . فليُفرَز » اهـ .

كَتّان : قال الشرتوني ص ١٠٦٦ « الكَتّان نبات يُزرع بمصر وما يليها له زهر أزرق في حجم الحمص وله بِزْر يُعصر ويُستصبح به وتُنسج منه ثياب . وحذف الأعشى منه الألف للضرورة وسماه الكتن » وقال فيه الشهابي ص ٣٩٢ « جنس نباتات معظمها عشبية من فصيلة الكتانيات يزرع نوعها الشائع للحصول على ألياقه ، وتزرع الأنواع الأخرى الآتية لزهرها » وعدّ منها اثني عشر نوعاً . وفي كتاب الجواليقي ص ٢٩٧ قال ابو هلال « وقال بعضهم في الكتان انه فارسي معرب » واضاف الناشر ما يأتي : قال ابن دريد ٣ : ٢٨ الكتّان لفظ عربي معروف ، وانما سمي كتّانا لأنه يُخيَّس ويلقى بعضه على بعض حتى يكتّن ، وذلك ان الكتن هو التلزّج والتوسّخ او الدَرَن والوسخ » اهـ . وفي المصباح ص ٨٠٩ عن ابن دريد « وسمي بذلك لأنه يكْتَن أى يسوَدّ إذا ألقي بعضه على بعض » اهـ وفي سفر اللاويين ١٦ : ٤ « يلبس قميص كتّان مقدّساً » وهو بالسريانية ܟܬܢܐ kétono ومنه نحتوا ܟܘܬܝܢܐ و ܟܘܬܝܢܬܐ koutinto , koutino ومعناهما : قميص كتان وغيره ، وجاء في أقرب الموارد ٢ : ١٠٦٦ « الكتّونة : القميص يلبسها الكاهن ، نصرانية سريانية » .

كِبْرِيت : قال الجواليقي ص ٢٩٠ « قال ابن دريد (٣ : ٢٩٥ و ٣٧٤) الكبريت الذي يوقد فيه النار لا أحسبه عربياً صحيحاً » وفي سفر التكوين ١٩ : ٢٤ « فأمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتاً وناراً » ܟܒܪܝܬܐ Kébrito وأحصاه دوفال ص ١٢٣ في الألفاظ التي توافقت فيها السريانية والعبرية ، وبرون في معجمه ص ٢٢٦ .

كُرّاث : جاء في معجم الشهابي ص ٥٠٨ « بقل زراعي من فصيلة الزنبقيات ، وقد تكون الكلمة من أصل سامي لأن لها أشباهاً في الارامية والآثورية » هي بالسريانية ܟܪܬܐ Cartho وردت في سفر العدد ١١ : ٥ « والقثاء والبطيخ والكرّاث » .

كَرّاز : الكَرّاز ، الكبش يحمل خرج الراعي وقيل هو من المعز الذي يجعل الراعي في عنقه جرساً فتتبعه بقيتها . وفي الدليل : تيس كبير يحمل خرج الراعي ، وفي المعجم السرياني العتيق : الكبش الذي يتقدم الغنم : ܟܪܘܙܐ Carozo .

كُرّاز : الكُرّاز بضم الكاف القارورة وقيل كوز ضيق الرأس . وفي معجم الأدباء ١٨ : ٩٢ كراز بالتخفيف ، وفي المصباح ٨١٧ قال ابن دريد : تكلموا به ولا أدري أعربي أم عجمي . قلنا هو سرياني ܟܪܘܙܐ Carozo وفيه ثلاث لغات ܟܪܘܙܐ ، ܟܪܘܘܙܐ ، ܟܪܙܐ Carzo , Crouzo , Crozo ومعناه كوز ضيق الرأس ، وبهذا الاسم يعرفه أهل ماردين وديار بكر وما اليها وهو من أوعية الماء كبير الحجم ضيق الرأس وجمعه كُرزان مثل غُربان .

كُرّاس : الكُرّاس الجزء من الكتاب يحتوي في الغالب على ثمان ورقات وكذلك الكُرّاسة ، وفي الأساس ٢ : ٣٠٣ « في هذه الكراسة عشر ورقات » ، قال الاسكافي ص ٩١ « الكُرّاسة ما تكرست أوراقه وتلبّدت » حرف سرياني ܟܘܪܘܣܐ و ܟܘܪܘܣܬܐ Courostho , Couroço ܟܘܪܣܬܐ و Coursto [1] .

كِرْح : بيت الراهب ، صومعة ، وفي مسالك الأبصار ص ٣١٤ « بالحيرة موضع يقال له الاكُيراح فيه دير ، والاكيراح قباب صغار يسكنها الرهبان يقال للواحد منها الكرْح » لفظة سريانية ܟܘܪܚܐ Courho والفعل ܐܬܟܪܚ Ethcrah : سكن الكِرْح .

قال نابغة بني شيبان :

(١) كرّة : قِدر نحاس مدوّرة يذاب بها القير : سريانية ܟܘܪܐ Coro ذكرها ابن بهلول وكنز اللغة ودليل الراغبين الذي انفرد عنها بلفظة (كرة) ولم نجدها في المعاجم العربية . ومثلها ܟܘܪܝܐ Corio .

آليتُ جُهداً وصادقٌ قَسَمي برب عبدٍ تجنَّه الكرخُ
يظلُّ يتلو الانجيلَ يدرسه من خشية الله قلبُه طفح

(شعراء النصرانية لشيخو ٣ : ١٣٩)

كَرْخ : جاء في أقرب الموارد : كرخَ الماءَ الى مواضعه كرخًا : ساقَهُ فهو كارخ (سوادية) وفي معجم البلدان ٧ : ٢٣١ الكَرْخ بالفتح ثم السكون وخاء معجمة ، ما أظنها عربية انما هي نبطية ، وهم يقولون كرخت الماء وغيره من البقر والغنم الى موضع كذا اي جمعته فيه في كل موضع وكلها بالعراق ، ثم ذكر كرخ باجدّا ، وكرخ البصرة ، وكرخ بغداد ، وهو محلة كبيرة فيها بناها المنصور وغيرها » قلنا المادة سريانية ܟܪܰܟ݂ Crakh : كَرَخَ ساقَ الماء الى مواضعه . و ܟܰܪܟ݂ܳܐ Carkho ومدلولها : مدينة مسوَّرة ، حصن ، قلعة وقعت في كتاب شرائع البلدان لبرديصان قال ص ٧ : ܘܠܐ ܢܶܒܢܶܐ ܟܪ̈ܟܶܐ « ولا ان يبنى أكراخًا » و ܟܳܪܽܘܟ݂ܳܐ Carokho : سوّاق الماء الى مواضعه ، سقّاء الأرزَ ونحوه . وأورد ابن بهلول عن ابن سروشويه عمود ٩٢١ ان الكرخ يعني مدينة صغيرة . ثم ان نهر كرخايا معناه النهر المكتنف المدينة ܟܰܪܟ݂ܳܝܳܐ Carkhoio [(1)] .

كَرَزَ : وعظَ ، نادى بشارة الانجيـل ، وصرّح الشرتوني ١٠٧٦ بسريانيتها : فهو كارز ، ومعتادُه ܐܰܟ݂ܪܶܙ Akhrèze و ܟܳܪܽܘܙܳܐ Corouzo : واعظ ، بشير ، مؤذّن . والكرازة : الدعوة الى الدين والوعظ والانذار ܟܳܪܽܘܙܽܘܬ݂ܳܐ Corouzoutho وهذه المادة يعم استعمالها في فرق النصرانية

---

(١) من معاني ܟܪܰܟ݂ Crakh أحاط ، اكتنف ، دار ، طاف . ومن المادة « الكَرَاخة » وفي القاموس وأقرب الموارد : الشُّقّة من البواري سوادية . و ܟܪܽܘܟ݂ܬܳܐ Crokhto معناها لفافة ، غشاء ، منديل .

عامة . وجرت على الألسنة من عهد متقادم ، وفي قوانين ايفانيوس ٨٢ « فان كانوا كاروزين بحسن العبادة » [1] ووردت مراراً في كتاب مصباح الظلمة للقس ابي البركات ابن كبر القبطي في أواسط القرن الرابع عشر كقوله ص ٥٢ و ٥٣ في ذكر بناء البيعة وتكريزها وتكريز البطاركة والأساقفة والقسوس والشمامسة وأراد بهما تقديس البيعة ورسامة البطريرك ومن دونه . ووردت فيه بمعنى الدعوة الى النصرانية قال ص ١٣٥ « وهي بيعة رسولية لأنها بُنيت على أساس البشارة الانجيلية بالكرازة الرسولية » ، واستعمل بعضهم فعل (كرز) للتنويه باسم الاسقف والمناداة به في أثناء الصلوات ، ومنه في المجدل لماري بن سليمان ص ١١٧ « قال ولم يُكرز له في عدة بلاد » واستعملوا المصدر بلفظه الأصلي فقالوا « الكاروزوث » والكاروزة ومنه « زاد في كاروزة « الرمش » المجدل لعمرو بن متى ص ٩٨ . يريد الدعاء الذي يُنوّه فيه بالجاثليق والأسقف وغيرهما ويتلى مساء .

(يتبع)

مار اغناطيوس افرام الاول برصوم

بطريرك انطاكية وسائر المشرق للسريان الارثوذكس

---

(١) وفي مقال ليوحنا بن مينا الكاتب القبطي ذيل به مقالة لحنين بن اسحق « فانه وعد التلاميذ بارسالهم لكرازة الأمم » (مباحث فلسفية دينية نشرها القس بولس سباط ص ١٩٩) .

معجم الدكتور : أ . فيشر

وصفه ونقده

للمستشرق الألماني الكبير الدكتور أ . فيشر عضو مجمع فؤاد الاول للغة العربية — معجم عربي كبير الحجم متسع المادة أسهب فيه ، وأطال في شواهده .

وقد نعي الدكتور الى مجمع فؤاد في ١٢ شباط سنة ١٩٤٩ عن اربع وثمانين من عمره . قضى منها أربعين سنة في جمع شوارد هذا المعجم وترتيب جزازاته واعداده للطبع . وكان الدكتور في الدورة الثالثة لمجمع فؤاد (سنة ١٩٣٦ م) قدم الى المجمع تقريراً عن معجمه الذي ما زالت جزازاته في بلده ملتمساً منه النظر فيه وإصدار قرار بطبعه على نفقة المجمع وتلى التقرير على الأعضاء في جلسة ٧ ابريل من السنة المذكورة . فكان مما قال فيه :

(قصدي من هذا المعجم أن أضمنه كل اللغة العربيه الأدبية الخاصة بزمان الجاهلية وبثلاثة القرون الأولى بعد الهجرة) .

وقال أيضاً : (وجمعت في معجمي كل الكلمات بلا استثناء التي في دواوين امرء القيس وفلان وفلان .

وهنا سرد اسماء دواوين العرب في الجاهلية والاسلام(وما اكثر مخطوطاتها وشروحها في مكاتب المانيا) وذكر في ما سرد من أسماء المصادر المفضليات والحماستين ومقامات الحريري والاصمعيات وامثال الميداني وصحيحي البخاري ومسلم وكامل المبرد والسيرة النبوية وتاريخ الطبري والاصطلاحات النحوية والحديثية !!

وقال في آخر التقرير (ويمكنني إتمام تصنيف المعجم وطبعه في ست سنين واقترح ان ينشر جزءاً فجزءاً في كل جزء ١٢٠ صفحة) .

فكم يكون عدد أجزاء هذا المعجم العربي ؟ ومع هذا فلم يكن الدكتور مؤلفه يحسن الكلام باللغة العربية فكان اذا تكلم كدّ نفسه وأجهد أعصابه [١].

وبعد أن انتهت تلاوة التقرير تذاكر الأعضاء في أمره فكان حوارهم يدور حول التساؤل عن جزازات المعجم وكثرتها وماذا عساه تكون عليه من الصحة والدقة ولماذا لم تطبعه حكومة المانيا وعما اذا كانت ميزانية المجمع المصري تفي بطبعه ونفقات تصحيحه ومن يقوم على ذلك ؟ وهل يطبع باسم المجمع أو يكون أساساً للمعجم الكبير الذي أزمع المجمع تأليفه أو تُشرى الجزازات وتحفظ في دار المجمع فيكون منها ثروة أساسية لأعمال المجمع . وقال الأستاذ نللينو : سعى بعض شركات المطابع في أوروبا لطبع معجم الدكتور فأبى مفضلاً اهداءه الى مجمع فؤاد العربي ليكون طبعه له إحدي مفاخره .

وانتهى حوار الأعضاء الى لزوم احضار الجزازات قبل كل شيء ثم ينظر في ما يجب عمله من شيء . وقدم الدكتور نموذجات من معجمه ليطلع عليها أعضاء المجمع فاختلفت أنظارهم فيها ثم أسدل الستار عليها وبقي الجدال يعود حواليها في كل مناسبة وفي كل دورة تقريباً .

ومرت على ذلك مراحل عدة آخرها ما قرأناه اخيراً في الصحف المصرية من ان مجمع مصر قرر شراء جزازات المعجم بالف وخمسمائة جنيه وهذا بالطبع تمهيد لطبعه على نفقة المجمع .

وكنت لأول عرض نماذجه على المجمع درستها وتناولت بالنقد والملاحظة بعض مواده وهي مادة (أخذ) وما سرده المؤلف من معانيها . والمؤلف — وان أشار الى ان من المعاني ما هو حقيقي وما هو مجازي — لكنه أبهم التفرقة بين المعاني الحقيقية والمجازية إبهاماً يوقع القارئ في حيرة من تفهم ما يقرأ . ولم يستطع المؤلف أن يجعل القارئ يميز بينها وبذلك يفوته تذوق البلاغة

(١) وتقرير الدكتور منشور في (محاضر جلسات المجمع) المطبوعة سنة ١٩٣٧م ص ٣٨٠

العربية في كثير من الأساليب وكثير من التعابير . وأودعت ملاحظاتي تقريراً قدمته الى رئاسة المجمع تلي في احدى جلساته نصصت فيه القول على فعل (أخذ) وما أخذته على المؤلف في سرد معانيه .

وبمناسبة ما جاء في الصحف من اقتناء مجمع مصر للمعجم رأيت أن انشر تقريري المذكور أو مؤاخذاتي في مجلة مجمعنا العلمي تقديراً لفضل الدكتور المؤلف وتنويهاً بخدمته للغتنا العربية وتنويراً للرأي العام العربي فيعرف كيف يستفيد من ذلك المعجم والى أي حدٍ يستطيع أن يثق به ويعول عليه .

وطريقة المؤلف في إيراد مواد معجمه انه في مادة (أخذ) مثلاً يذكر مرادفات فعل (الأخذ) في اللغات السامية القديمة ثم يذكر مادة (أخذ) وما تفرع عنها من المشتقات . واذا كان في بعض المشتقات غرابة يذكر المصدر الذي اقتبس منه ذلك المشتق ثم يعمد الى معاني (أخذ) ومدلولاتها فيسردها تحت رقم متسلسل طويل الذيل غير عابئ بتكرار المعاني ولا بتداخل التفاسير : يحسب انه يسرد معاني وانما هو يسرد شواهد لمعنى واحد مجازي او كنائي .

وهذا هو نص تقريري المقدم الى مجمع مصر بتاريخ ٢٥ يناير سنة ١٩٣٦

*
* *

لا يخفى ان الطريقة المتبعة في عرض مادةٍ من مواد اللغة أن يذكر أولاً معناها الحقيقي مقروناً بمثال يوضح طريقة استعمال ذلك المعنى . ثم يذكر المعنى المجازي مقروناً بمثال كذلك . غير ان الأفضل في بيان المعنى المجازي ان لا يقتصر فيه على المثال الواحد بل تذكر أمثلة كثيرة . وذلك لتعدد طرق المجازات والكنايات . وهذا ما رأيناه ماثلاً في مادة (أخذ) التي قرأناها في النموذج المعروض علينا من معجم زميلنا الفاضل الدكتور أوغست فيشر : فقد توخى في الأمثلة والشواهد التي استكثر منها زيادةَ الايضاح حتى أنه قسم طرائق استعمالات فعل (الأخذ) الى ٣٢ قسماً أو بحثاً أودع كل بحث عدة شواهد على الاستعمال الواحد .

غير ان أعظم ما يلاحظ على الزميل المؤلف في هذه التقاسيم (التكرار) في الأقسام و (التداخل) فيها ولولا هذا لكانت بحوث فعل (أخذ) من حيث استعمالات معانيه لا تتجاوز الثلاثة كما سنشير اليه في آخر التقرير ـ ولكانت شواهد هذه الاستعمالات أقل بكثير مما ذكر .

وها أناذا أسرد البحوث أو الأقسام التي ذكرها قسماً قسماً ثم أدل على ما فيها من تكرار وتداخل زادا عن العادة حتى تمنى المتفقه في أسرار لغة العرب والمعجب بمعجم الأستاذ فيشر لو تنزه المعجم عن هذا التكرار وعدم الدقة في تصنيف معاني فعل (الأخذ) :

(البحث الأول) :

ذكر فيه المؤلف أن فعل (الأخذ) يكون بمعنى إمساك الشيء والقبض عليه باليد ونحوها . وهذا هو المعنى الحقيقي لفعل (الأخذ) وقد مثل له بأمثلة كثيرة . منها آية (خُذها ولا تخف) وقول النابغة (وأخذتها قسراً وقلت لها اقعدي) وقد تجلى المعنى الحقيقي في هذين المثالين ووضح أكمل وضوح . ومن الأمثلة التي خفي فيها المعنى الحقيقي وكان ينبغي ذكرها في المعاني المجازية آية (خذوه فغلوه) اذ أن الأقرب في فعل (الأخذ) فيها أن يكون معناه استيلاء الملائكة على المجرم وحيازته باحدى طرق الحيازة اللائقة بهم وبروحانيتهم لا أنهم أخذوه بأيديهم أو قبضوا عليه بأذرعتهم . ولو سلمنا هذا المثال للمؤلف لانسلم له المثال الثاني وهو ما في الحديث الشريف : (إن الله ليملي للظالم حتى اذا أخذه لم يفلته) . فان معنى (الأخذ) المنسوب الى الله هنا ليس من معنى القبض ولا الامساك باليد في شيء . أو يقال ليس الأخذ في هذا الحديث أخذاً حقيقياً وانما هو كناية عن الاحاطة بالمجرم وحيازته والتمكن منه . فكان الواجب ذكر هذا الشاهد في أقسام المجاز لا الحقيقة .

(البحث الثاني) :

قال المؤلف ان الأَخذ فيه بمعنى (الحيازة) وهذا معنى مجازي كما لا يخفى : لأن القبض على الشيء باليد ونحوها سبب لحيازته ، والحصول عليه ، فيكون اطلاق (الأخذ) على (الحيازة) من قبيل إطلاق السبب وارادة المسبب . ومن العجيب ان يخالف المؤلف عادته فيقتصر على مثالين لمعنى الحيازة مع أن معظم الأَمثلة التي ذكرها في الأقسام التالية هي من قبيل (الحيازة) وتصلح أن تذكر في بحثها هذا .

(البحث الثالث) :

قال المؤلف ان الأخذ فيه يكون بمعنى أن يذهب المرء بالشيء ظلماً أو غصباً ، ومثّل لذلك بأمثلة منها آية (وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً) وحديث (مَن أَخَذَ شبراً من أرض ظلماً فانه يطوّقه يوم القيامة من سبع أرضين) ولا يخفى أن هذا القسم هو القسم الذي سبق بعينه : فان الأخذ فيهما كليهما بمعنى الحيازة . وكون (الأخذ) وقع بوجه الظلم لا يستدعي أن يكون غير (الأخذ) الواقع على وجه العدل حتى يكون هذا قسماً وذاك قسما . واختلاف الفعلين في فاعليها أو مفعوليها أو سائر متعلقاتها لا ينبغي ان يسبب اختلافاً او تعدداً في أصل معنى الفعلين : فالأكل أكل سواء قلنا أكل زيد باليد أو بالملعقة . وسواء قلنا أنه أكل على الأرض او على المائدة .

ومن تأمل كلام المؤلف وجده في تصنيفه لمعاني (أَخَذَ) قد أقام الاختلاف في الفاعل أو المفعول او المتعلق سبباً لجعل الفعل الواحد فعلين . واعتبار معناه معنيين . وهذا من أهم ما يؤخذ على الدكتور الفاضل في تأليفه هذا ولا سيما ان كان جرى هذا المجرى في جميع مواد الكلمات التي أودعها معجمه .

(البحث الرابع) :

قال المؤلف ان (الأخذ) فيه بمعنى القبض على الشيء في الحرب . يعني فيكون فعل أَخَذَ هنا بمعنى غنم .

ونقول في هذا القسم أو البحث ما قلناه في سابقه : من أن أخذ الشيء في الحرب هو الحيازة نفسها . وكونه في الحرب لا يجعل له معنىً جديداً مستقلاً . وقد مثل له بآية (وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها) وظاهرٌ أن (الأخذ) في هذه الآية بمعنى الحيازة . ومن العجيب أن المؤلف مثّل لهذا النوع من الأخذ أيضاً بقول ذي الرُّمة (أخذنا أباها يوم دارة مأسل) فجعل الأخذ بمعنى (الغنيمة) مع أنه بمعنى (الأسر) الذي عُقد له البحث التالي وهو :

(البحث الخامس) :

والأخذ فيه بمعنى أسرُ الشخص وسَبْيُهُ . ولا يجوز ان يجعل هذا قسماً مغايراً للأقسام التي قبله : فانها كلها من بابةٍ واحدة أعني الحيازة والاستيلاء .

(البحث السادس) :

(الأخذ) فيه بمعنى صاد الحيوان وهذا أيضاً مكرر مع ما قبله اذ الصيد حيازة أيضاً واختلاف المفعول في أخذ المال اذا غنمه ، وأخذ الرجل اذا أسَرَه ، وأخذ الظبي اذا صاده ـ لا يحدث اختلافاً ولا تنوّعاً في فعل (الأخذ) الذي معناه الحيازة كما ذكرنا مثاله آنفاً .

(البحث السابع) :

الأخذُ فيــه بمعنى فتَحَ بلداً أو تغلّبَ على أرض . وهذا أيضاً تكرار . لأن أخذ البلد والتغلّب على الأرض حيازة لها وإحاطة بها وحصول عليها .

(البحث الثامن) :

(الأخذ) فيه بمعنى أن يغلب أحداً أو يقهر جيشاً أو عدواً نحو (ما يشكُ اللعينُ فى أخذكَ الجيشَ) وهذا أيضاً حيازة واستيلاء فهو كسوابقه .

(البحث التاسع) :

بمعنى حبَس مجرماً . وقد مثّل له المؤلف بشواهد إن صحّ أن المراد بهــا الحبس كان الحبس أيضاً من قبيل الحيازة بل هو الحيازة بأكمل معانيها وأتمّ

صورها . على أننا نعتقد ان الأخذ الوارد في الشواهد المذكورة ليس بمعنى الحبس بل بمعناه الحقيقي وهو القبض على الشيء وإمساكه وضبطه . واذا كنا نفهم الحبس منه فقد حصل هذا الفهم بمعونة المقام ، ودلالة القرائن ، فقول أخوة يوسف (فخُذ أحَدَنا مكانه) ليس معناه احبسه بل امسكه . والسياق يدل على أن امساكه يكون لأجل حبسه . وهذا لا يستدعي الذهاب الى أن فعل (الأخذ) يكون بمعنى الحبس كما لا يخفى .

وليس الأخذ بمعنى الحبس أيضاً في الشاهد الآخر . وهو قوله : (في البكر يؤخذ على اللوطية ؟ قال يُرْجَم) : فإن الأخذ فيه بمعنى القبض والامساك الحقيقيين : أي انه سُئل عن القبض عليه وهو على تلك الحالة . وليس الأخذ بمعنى الحبس أيضاً في قوله (فأُخِذ طهمان فرُفع الى الوليد بن عبد الملك) بل معناه ضُبط وأمسك ثم قيد الى الخليفة . وهكذا نرى المؤلف قد أدخل في القسم الذي عقده لمعنى الحبس ما لا يصلح له من الشواهد .

(البحث العاشر) :

قال المؤلف ان (الأخذ) فيه بمعنى أن يمنع شخصاً ويكفّه (empêcher) ومثّل له بقول عمر بن الخطاب كما في حديث البخاري (فأخذتني والله أخذاً كسرتني عن بعض ما كنتُ أجد) .

نرجح أن يكون المراد بالأخذ هنا غير المنع والكفّ ، وربما كان بمعنى الغلبة والتأثير في النفس . ويكون المعنى غلبتني أم سلمة رضي الله عنها غلبةً كسرتني وصرفتْ نفسي . فالمنع والكفّ لم يستفد من فعل (أخَذَ) وانما استفيد من فعل (كسرَ) ففي كتب اللغة (كسرَ فلاناً عن مراده صرفه عنه) . نعم يكون (الأخذ) بمعنى الكفّ والمنع إذا عُدّي بعلى يقال (أخذ الأمير على يد فلان) اذا منعَه وكفّه عن الشر . وقد فات المؤلف ذكر هذا المعنى المهمّ من معاني (أخذ) .

(البحث الحادي عشر) :

(أخَذَ) بمعنى حجز على مال . كذا قال المؤلف . والحجز في لغة الفقة والقانون أن يحال بين المالك وبين التصرف في ملكه موقتاً . ولا نظن أن (الأخذ) ورد في اللغة بهذا المعنى ، بل لو فهم منه هذا المعنى لكان مفهوماً بطريق اللزوم أو بمعونة السياق . كما اذا قلنا (أخذ القاضي مال فلان لقاء دين عليه لفلان) فمعنى أخذ المال في هذا المثال حازه واستولى عليه فقط ويفهم معنى توقيع الحجز بدلالة السياق .

والشاهد الذي ذكره المؤلف من قول الطبري وهو فأخذها (أي ألفَ الخِوان) لا صلة له بمعنى الحجز . وانما معناه الحيازة والاستيلاء ، إلا اذا كان هنالك ما يدل على أن المراد من أخذ الأخونة حجزها لغرض قانوني أو إداري .

(البحث الثاني عشر) :

(الأخذ) بمعنى الطعن في الشخص ، ومثّل له المؤلف بقوله (أخذه بلسانه) وهذا المعنى لا غبار عليه . وربما اعتبر مجازاً من معنى القبض باليد : فكما ان من قبض على انسان فقد استولى على حريته بالقهر والاستذلال . كذلك من طعن فيه بلسانه فقد استولى على عرضه وكرامته بالقهر والاستذلال .

(البحث الثالث عشر) :

(أخذ) بمعنى تمكّن من شخص أو حيوان فقتله . وليس هذا المعنى بصواب في ما نظن ، وما ذكره المؤلف من الشواهد لا يدل عليه . وانما بعضها يدلّ على معنى القبض والامساك . وبعضها يدلّ على معنى الحيازة والاستيلاء ، ثم يفهم القتل من الأخذ الوارد فيها بمعونة القرائن لا بالوضع اللغوي . وفرقٌ ما بينهما .

وقول حسان (نقتلهم والسيوف تأخذهم) لا شاهد فيه وانما معناه ان السيوف تصيبهم وتتناولهم كما تتناول الأيدي الشيء المأخوذ ومتى تناولتهم السيوف الكثيرة جرحتهم جراحاً كثيرة ومتى جرحتهم كذلك قتلتهم . فأخذهم بالسيوف

سبب للقتل . وليس هو القتل بعينه ومثله قوله (فإنَّ أخذَ الكلبِ زَكاةٌ) إذ أن معنى أخذِ الكلبِ للصيد إمساكه له بفمه . وهذا قد يؤدي الى قتله فيعتبر قتله زكاة له .

ومثله قول ذي الرُّمة (أخَذْنا على الجفرين آلَ مُحَرِّق) أي استولينا عليهم فكان استيلاؤنا مفضياً الى قتلهم . وقول المؤلف بأن شارحا شرح قول ذي الرُّمة فقال (أخذنا . قتلنا) لا يصلح حجة : لأن هذا الشارح أراد تفسير (الأخذ) بلازمه لا بمعناه اللغوي .

(البحث الرابع عشر) :

(أخذ) بمعنى أهلك واستأصل ، ومثّل له بقول المتنبيّ (والضربُ يأخذ منكم فوق ما يَدَع) ولا شاهد فيه : لأن الأخذ هنا بمعنى التناول والاستيفاء فالشاعر جعل الضرب شخصاً يتناول من أجسامهم ونفوسهم ويحوز منهـا لنفسه أكثر مما يتركه منها . وهذا يؤدي الى هلاكهم وفنائهم .

(البحث الخامس عشر) :

(أخذ) بمعنى عاقب وعذّب ، ومثّل المؤلف له بأمثلة ليست من معنى العقاب أو العذاب في شيء . وانما المراد بها القهر والغلبة . وسياق الكلام هو الذي يدل على ان هذا القهر وقع عقاباً أو تعذيباً لهم . نحو آيات (أخذناهم بغتةً) (وكذلك أخْذُ ربك إذا أخَذَ القُرى) (فأخَذَهم الله ببدرٍ) الى غير ذلك ، وكلها تدل على أن الله استولى عليهم بالقهر والغلبة ، فكان هذا عقاباً أو تعذيباً .

بل إن آية (ثم أخَذْتُهم فكيف كان عِقاب) لا دليل فيها على أن (أخذ) بمعنى عاقب بل هي بمعنى ان الله قهرهم وغلبهم ، فكان هذا عقاباً لهم .

نعم قد يكون (الأخذ) بمعنى العقاب اذا عُدِّي الى المفعول الثاني بالباء فيقال (أخذ القاضي المجرم بذنبه) أي عاقبه عليه ، فيفسر حينئذ الأخذ بالعقاب . وهذا مما فات المؤلف ذكره أيضاً .

(البحث السادس عشر) :

ذكر المؤلف في هذا القسم ثلاثة معان مجازية لأخذ وهي (أعجب) يقال أخذ بقلبي إذا أعجبني وخلبني . و (أسكرَ) يقال أخذ الشراب برأسه . و (نوّم) نحو (لا تأخذه سِنَةٌ ولا نومٌ) . وهذا القسم موضع ملاحظة أيضاً اذ ليس الأخذ فيه بمعنى ما ذكر . وانما معناه الحيازة والاستيلاء وقد جاءها معنى (الاعجاب) و (السُكر) و (النوم) من السياق او من كلمات الشراب والنوم ونحوها . فليس هذا القسم إذن إلاّ أخاً للأقسام السابقة التي وقع الأخذ فيها بمعنى الحيازة والاستيلاء والغلبة .

(البحث السابع عشر) :

بمعنى إصابة الشخص بالأمراض والعوارض الجسمية . وقد مثّل له بقوله (أَخَذَتْه الحُمّى) و (أخذته سُعلة او بُحّة او رِعدة) الخ . وكلّ ذلك لا يحسن جعله قسماً من معاني (أخذ) بل هو داخل في الأقسام السابقة التي جاء فيها (الأخذ) بمعنى الغلبة والتناول والاستيلاء .

ومما يُستغرب في هذا القسم ان المؤلف جعل (الأخذ) فيه بمعنى الاختناق واستشهد له بحديث البخاري وهو (فلما دخلت سارةُ على الجبّار) ذهبَ يتناولها بيده فأُخذ) . ولا يخفى أن أُخذ هنا بمعنى اخَذَه الله بقهره فكفّه عن سارة ، أو أن (أُخِذَ) بمعنى سُحر كما سيذكره المؤلف في البحث (الواحد والعشرين) . وقد احتج المؤلف على ان (أُخِذ) بمعنى (اختنق) بما جاء في الشروح وهو قولهم (اختنق حتى صار كأنه مصروع او نحو المصروع) وهذا ذهول من المؤلف لأن الشراح إنما أرادوا بيان الحالة التي طرأت على الجبّار بعد ان قهره الله او بعد ان أثر فيه السحر : فكان كالمصروع الذي يظهر على فمه الزَبَد على هيأة المختنق . اما ان الأخذ يكون بمعنى الاختناق فلا اظنه صواباً .

(البحث الثامن عشر) :

يكون الأخذ بمعنى ان يعتري الشخص حالاتٌ نفسانية نحو (وتأخذه عند

المكارم هزّة) (فأخذهم من اليم ما اخذهم) (فأخذتني غضبة فلطمتها) . الى غير ذلك مما في الاستشهاد به نظر : لأنه كله من معنى الغلبة والاستيلاء فهو متكرر مع الأقسام السابقة .

(البحث التاسع عشر) :

بمعنى أصاب الناسَ واعتراهم عذابٌ او مصيبة نحو (فأخذهم الطوفان) (فأخذتهم الصاعقة) (أُخذوا بالسنين) (ولا تأخذكم في الله لومةُ لائم) ونقول في هذا القسم ما قلناه في ما قبله وقبل قبله .

(البحث العشرون) :

بمعنى أخذه المطر نحو (أخذهم المطر) و (أخذتهم السماء) و (أخذنا جارُ الطبع) وهذا أيضاً لا يدل على معنى جديد للأخذ بل كلّ ما ذكر من الأمثلة بمعنى الحيازة والغلبة . وجارُ الضبع : السيل الشديد يجر الضبع من وجارها .

(البحث الحادي والعشرون) :

بمعنى السحر . قال الفراء في تفسير (أخذته الأخذة) ان معنى (الأخذة) السحر ، وهذا معنى جديد للأخذ غير ما تقدم . وان كان لدى التحليل الدقيق يرجع الى معنى الغلبة والاستيلاء ، كما مرّ في القسم السابع عشر الذي مثّل له المؤلف بقصة الجبار مع سارة « وقد أُخِذَ عنها » أي سُحِر . وليس السحر سوى عارض يصيب المسحور ويستولي على نفسه ومشاعره ثم يتصرف فيهما كما يريد الساحر .

(البحث الثاني والعشرون) :

يكون الأخذ بمعنى أن تظفر العين شخصاً أي تراه : فكما يقولون (ما ظفرتك عيني منذ حين) يقولون (ما أخذتك عيني منذ حين) والمعنى فيهما كليهما (ما رأتك عيني) والأخذ في هذا الاستعمال مجاز كما لا يخفى : لأن العين تأخذ صورة ما تراه أي تتلقاها وتتقبلها أخذاً وتقبّلاً يشبه أن يكون

حقيقياً : كما يأخذ الورق الحساسُ صورة ما يقع عليه في التصوير الفوتوغرافي . فالأخذ بمعنى الإبصار ـ ان لم يكن حقيقةً ـ فهو مجاز وكان حقه أن يذكر في أحد قسمي الحقيقة المجاز اللذين ذكرهما المؤلف .

(البحث الثالث والعشرون) :

بمعنى أن تجهرَ العين شخصاً . وفسروا معنى (تجهره) بأن تراه عظيماً . فيقال مثلاً : (فلانةُ امرأة مُلأَّحةٌ تأخذها العين) و (كان سعيد لا تأخذه العين) كل ذلك بمعنى استعظام الشيء والاعجاب به . ولكن هذا المعنى كان ينبغي أن يذكر في البحث السادس عشر مع المعاني المجازية التي منها الاعجاب بالشيء . و (مُلأَّحة) أبلغ من مليحة .

(البحث الرابع والعشرون) :

(أخَذَ) بمعنى تناول الشيء أي قبض عليه باليد . نحو (فخُذْ أربعةً من الطير) (فلما سكتَ عن موسى الغضبُ أخذَ الألواح) (كان يأخذ الرُّطب بيمينه) الى غير ذلك من شواهد المعنى الحقيقي التي مرّ نظيرها في القسم الأول المعقود لإمساك الشيء والقبض عليه فهو مكرر .

ومما يلاحظ على المؤلف انه أقحم في خلال شواهد هذا الباب عبارةً مؤداها أن كلمة (أخذ) تكون في مواطن كثيرة زائدةً لا تفيد معنى الأخذ ، وانما تفيد معنى تصوير الحالة وتأكيد القصة . لكنه لم يذكر لنا موطناً واحداً من تلك المواطن الكثيرة لنفهم ما هو مراده .

(البحث الخامس والعشرون) :

(أخذ) بمعنى لبس الثياب والسلاح نحو (أخذ رداءه) (أخذتُ ثوبي) (خُذوا زينتكم) (أخذَتْ الأرضُ زخرفها) . لكنني لا أظن أن هذا المعنى غير المعنى الحقيقي الذي هو التناول والامساك باليد مُكنّى به عن اللبس . فاذا قلنا اخذ ثوبه بمعنى لبسه لم يكن المراد ان معنى الأخذ هو اللبس وانما المعنى أنه اخذه لغرض أن يلبسه .

وهذا كما اذا قلنا (اخذ قلمه) وتكرر منا هذا الاستعمال : فان الأخذ حينئذ يصبح مراداً به الكتابة . لكن لا يصح ان يقال أن (أخذ) بمعنى (كتبَ) ، وانما المراد به معناه الحقيقي . والكتابة فهمت من السياقِ وقرينةِ ذكر القلم ، وكذا يقال في أخذ الثوب والسلاح والزينة .

(البحث السادس والعشرون) :

(أخَذَ) بمعنى (شرب) ومن أمثلته قوله (ألا تأخذوا لبناً ؟) . والحق أن معنى الأخذ هنا كما في أخذ الثوب . اما الشرب فيفهم بقرينة ذكر اللبن . كما فهم اللُبس من ذكر الثوب . ولو جعلنا اللبس والشرب من معاني أخذ لصحّ لنا ان نقول ان من معاني اخذ ركب الفرس وركب القطار : في ما إذا قلنا أخذ فلان فرساً الى العزبة ، او اخذ فلان قطاراً الى طنطا .

(البحث السابع والعشرون) :

(أخذ) بمعنى آوى شخصاً واجاره نحو (فليُلْقِهِ اليمُّ بالساحل يأخذه عدوٌّ لي وعدوٌ له) وفي الطبري (تلكم صاحبتكم في بني جُمَح اذهبوا فخذوها فذهبوا اليها فأخذوها) . الى غير ذلك من الشواهد وكلها لا تدلّ على الإيواء والإجارة ، وانما تدل على معنى الأخذ الحقيقي لغرض الايواء أو الأجارة ، كما مرّ في أخذ الثوب لغرض اللبس ، واخذ اللبن لغرض الشرب .

(البحث الثامن والعشرون) :

بمعنى تزوج امرأة كما في حديث (لما أخذَ رسول الله صلى الله عليه وسلم صفيّة) ويقال ان الأخذ فيه كما في السابق ولا شاهد فيه على معنى جديد للأخذ .

(البحث التاسع والعشرون) :

بمعنى اشترى شيئاً بالثمن نحو (أخذَ الدار بعشرين الف درهم) ونحو (أخذَ الجارُ الدارَ بالشفعة) و (خذه ولو بقُرْطَيْ مارية) الخ . وهو ايضاً ليس معنى جديداً لأخذَ وانما هم تجوّزوا فيه عن الشراء ، فيحسن ان يذكر في جملة المعاني المجازية .

(البحث الثلاثون) :

بمعنى اقترض شيئاً كما في حديث (من أخذ اموال الناس يريد أداءها الخ) ولا شاهد فيه ايضاً لمعنى جديد وانما هو المعنى القديم المتكرر .

(البحث الحادي والثلاثون) :

بمعنى النيل والحصول على الشيء نحو قول الحماسي (وأخذي الحمدَ بالثمن الربيح) ونحو (لا يأخذون الملك إلا غصباً) وهذا ايضاً لا معنى جديد فيه ، وانما هو بمعنى الاستيلاء والحيازة . ويدل عليه قول المؤلف في عنوان بحث الحيازة (حصل على) ومعنى (حصل على) حاز الشيء حيازة فكان يحسن أن تذكر شواهد هذا البحث مع شواهد بحث (الحيازة) في القسم الثاني .

(البحث الثاني والثلاثون) :

الأخذُ بمعنى المحافظة على الأمر ومنه حديث (وإنما يؤخذ من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الآخِر فالآخِر) والأخذ هنا بمعناه الحقيقي كما لا يخفى ، وانما فهم معنى المحافظة من سياق الكلام لا من الوضع اللغوي .

*
* *

انتهت الأقسام أو البحوث الاثنان والثلاثون . وعندي انه يمكن ارجاعها الى ثلاثة بحوث مستقلة متحاجزة :

(١) بحث تذكر فيه المعاني الحقيقية الأصلية للأخذ ويُقتصر فيه من الشواهد على أوضحها دلالة .

(٢) بحث تذكر فيه كلمات (الأخذ) الدالة على معنى الحيازة والاستيلاء والغلبة والقهر . وهو معنى معظم كلمات (الأخذ) الواردة في لغة فصحاء العرب وقد استشهد بها المؤلف .

(٣) بحث تذكر فيه ضروب من المعاني لفعل (أَخَذَ) قد تجوّزوا فيها أيضاً عن معنى الاستيلاء والغلبة لكنه تجوُّز في غاية الخفاء واللطافة بحيث أصبح كأنه معنى جديد للاستيلاء .

وهذا كتجوّزهم في التعابير الآتية :

١ — أَخَذَه بلسانه	إذا عابه
٣ — أُخِذَ فلان	إذا سُحِر
٢ — ما أخذتُه	أي ما أبصرته
٤ — فلانٌ تأخذه العيون	أي تستعظمه
٥ — أَخَذَ فلان زينته	أي لبس ثوب زينته

هذا ما أردت بيانه في ملاحظاتي هذه على معجم الزميل الكريم الدكتور فيشر . ومن تصفح هذا النموذج أدرك ما لحضرته من التبحُّر في لغتنا العربية الشريفة ومن سعة الاطلاع على تاريخ كلماتها . ومختلف أساليبها وتعابيرها وشواهدها ، مع التثبت والاحتياط والأمانة في النقل جزاه الله عن عمله خير الجزاء .

المغربي

اسماء النبات والحيوان في المعجمات العربية

من المعلوم أن المعجم كتاب تُدرَج فيه مفردات اللغة على حروف المعجم ، او على طريقة اخرى ، وتعرّف . فاذا جُعل فيه ألفاظ ليست في تلك اللغة ، أو عُرّفت ألفاظه تعريفاً ناقصاً او مغلوطاً ، عُدّ معجماً سقيما .

واسماء النبات والحيوان في معاجمنا القديمة كانت تعرّف على حسب معرفتهم بتلك المواليد . وكانت هذه المعرفة ناقصة لا تتعدى بعض الأشكال الخارجية البارزة للنبات او للحيوان . وكانوا يجهلون المجهر ، ولهذا لم يتمكنوا من معرفة خلايا الأحياء ونُسُجها مما هو ضروري لتفريق بعضها عن بعض ، وتصنيفها ضروباً فأنواعاً فأجناساً ففصائل الى أعلى حلقة من حلقات التصنيف المتبع في أيام الناس هذه .

وعندما صُنفت المعجمات العربية أيام الخليل بن احمد الفراهيدي وتلميذه الليث وابن دريد والأزهري والجوهري وابن سيده وغيرهم من القدماء ، وابن منظور والفيروزابادي والزبيدي ممن جاءوا بعدهم ، كانت علوم المواليد والكيمياء والطبيعة كلها في حال بدائية بسيطة ، لا تتجاوز ما كان يعرفه اليونان والفرس والسريان ، وما أضافه العرب الى تلك العلوم . وكانت من النتائج الطبيعية لذلك حصول إبهام وتشويش في تعريف بعض النباتات والحيوانات ، واهمال عدد عظيم مما لا ينبت او لا يُزرع في جزيرة العرب أوفي البلاد التي امتد اليها سلطانهم .

وعندما كنت أصنف «معجم الألفاظ الزراعية» بالفرنسية والعربية كنت أصادف في معاجمنا القديمة عجائب وغرائب تتعلق باسماء المواليد . وهذه العيوب كثيرة . وهاكم منها بعض ما له صلة بالنبات والحيوان :

أولاً — خلوّ المعاجم من أسماء كثير من النبات والحيوان : لم تمتد الفتوحات العربية الى أمريكة ، ولا الى الشرق الأقصى ، ولا الى كثير من الأصقاع الشمالية والجنوبية من الكرة الأرضية . ولذلك لبث علماء العرب جاهلين بمعظم نبات تلك البلاد وحيوانها . ولبثت معاجمنا القديمة خالية منها . وهي آلاف مؤلفة . وبعضها له تأثير كبير في مرافق الانسان الاقتصادية . فمن النباتات الزراعية التي كانت مجهولة في تلك الأيام التبغ والذرة الصفراء (الذرة الشامية) والبرتقال والمندرين والكاكاؤو والونيلية والأناناس والقشدة والبنادورى (الطماطم) والفليفلة والراتينجية والمغنولية والزينية والدهلية الخ . الخ .

ومن دقائق النبات فطور مجهرية كثيرة تفتك بالزروع على أنواعها . ومن الحيوان حشرات لا تعد ولا تحصى تفتك بمختلف النباتات المزروعة ، او بشجر الحراج ، او بالألبسة ، او بالحيوانات الدواجن . وكل هذه الأحياء وغيرها لا ذكر لها في المعاجم العربية القديمة . وهذا يعد نقصاً مشيناً ، لأن تلاميذ مدارس التجهيز والزراعة والطب والصيدلة وغيرها يحتاجون جميعاً الى معرفة ما استقر عليه الرأي من اسماء عربية لتلك المواليد . ولا يجوز ان يركب كل مؤلف رأسه ، فيضع لها اسماء من عنده مهملاً للقواعد المتبعة في وضع المصطلحات العلمية . كما لا يجوز ان يُترك أمرها للعامة تسميها باسماء كثيراً ما تكون نابية او عجيبة .

ثانياً — خلط أعيان المواليد في التسمية : قلت ان تصنيف الأحياء ، على حسب خصائصها الداخلية والخارجية ، شيء لم تعرفه الاجيال القديمة . ولذلك كثيراً ما كانوا يخلطون في التسمية بعض الأنواع المتقاربة ببعض ، على حين ان كلاً من تلك الأنواع يُعدّ اليوم مستقلاً عن الآخر . فمعجماتنا مثلاً لم تفرق بين الأرز والعرعر والصنوبر والسرو ، فسمت كل نوع من هذا الشجر باسم الآخر . ومعناه انني اذا وقفت أنا وأنت أمام ارزة من أرز لبنان ، وقلت لك ما هو اسم

هذه الشجرة ؟ أجبتني بأنها تسمى أرْزة وعرعرة وسروة وصنوبرة ! واذا أريتك شجرة صنوبر وسألتك عن اسمها : أجبت ايضاً بأنها تسمى الأرز والعرعر والسرو والصنوبر وهكذا . فتأمل نتائج الخلط في تسمية اعيان المواليد .

ومن المؤسف ان يكون هذا الخلط في التسمية كثيراً . وفيما يلي بعض الأمثلة : لقد عرَّفوا الأوُزّ بالبط اي جعلوهما شيئاً واحداً ، على حين ان كلاً منهما نوع ينتسب الى جنس مستقل عن جنس الآخر . وقالوا ان القنب نوع من الكتان ، وهما من فصيلتين مختلفتين ، وليس في تحليتهما تشابه . وجعلوا اللوز والبندق نباتاً واحداً ، وأين هذا من ذاك ، فالأول من الورديات ، والثاني من البلوطيات . وهكذا جمعوا بين الكرنب والسلق على حين ان الأول من من الصليبيات والثاني من السرمقيات . وأطلقوا أسماء الثيل والنجم والنَّجيل والنَّجير والعِكْرِش بلا تمييز على عدة نباتات من النجيليات كل منها هو اليوم نوع مستقل عن الآخر . وعرَّفوا الأنقليس بالجرّي . وشتان ما بين هذين النوعين . لأن كلاً منهما ينتسب الى فصيلة من السمك ، فالأولى تسمى السلوريات والثانية الأنقليسيات . وهكذا سموا كثيراً من انواع النبات والحيوان باسماء انواع اخرى ، اما لجهلهم بها ، واما لقرب بعضها من بعض ، وصعوبة التمييز بينها علمياً في أيامهم .

اما الأسماء التي ضلوا في معرفة مدلولاتها فهي أيضاً كثيرة : فاذا راجعت مادة سَمْسَق في اللسان مثلاً تجده يقول : السمسق السِّمسِم وقيل المرْزَنجُوش ، والسمسق الياسمين وقيل الآس . قلت أين السمسم من المرزنجوش او من الياسمين او من الآس ؟

واذا فتشتَ فيه عن معنى كلمة جُلجُلان ألفيته يقول : والجلجلان ثمرة الكزبرة وقيل حب السمسم ، وقال ابو الغوث الجلجلان هو السمسم في قشره قبل ان يُحصد . وقال ابن الأعرابي يقال لما في جوف التين من الحب الجلجلان .

وفيه ان التِّقْدة هي الكُزْبَرة والكَرَوْياء ، وان اليَنْبُوت هو الخروب والخشخاش والأناغورس وخروب المعزى وهو ايضاً شجرة مثل شجرة التفاح الخ . فهل رأيت مثل هذا في معجم من معاجم اللغات الأوربية ؟

ويتضح من هذه الأمثلة انهم كثيراً ما اطلقوا الكلمة الواحدة على أكثر من نبات واحد ، إما لجهلهم بمدلول تلك الكلمة ، واما لأنها كانت تدل على نباتات مختلفة لدى بعض القبائل او في بعض الأقطار العربية . ولكن كل هذا لا يجوز ان يظل على حاله في معجم علمي حديث . وقصارى ما يمكن ان يذكر فيه كون الكلمة الفلانية تدل على كذا (نبات واحد معلوم) ، وان يُذكر في الشرح كونها تدل لدى العامة على نبات كذا او كذا في هذا القطر العربي او ذاك .

ثالثاً — تفسير الألفاظ بغير التفسير العلمي الحديث : راجع كلمة طير في اللسان مثلاً تجد ابن منظور يقول : « والطير معروف اسم لجماعة ما يطير » . وراجع كتاب الطير في المخصص تجد ابن سيده يدرج في جملة الطير الجراد والزنابير والذباب والنحل وغيرها من الحشرات التي تطير . فكل ما يطير هو عندهم طائر ، على حين ان الطير في العلم الحديث حلقة من حلقات تصنيف الحيوان ، والحشرات حلقة اخرى أهم من الأولى وبعيدة عنها في التحلية . وطيران بعض الحشرات لا يسوّغ جعلها مع الطير في حلقة واحدة .

وكلمة حشرة نفسها لا تدل في معاجمنا على كل ما تدل عليه كلمة « Insecte » في علم الحيوان . فهذه اللفظة الأخيرة تطلق على صف معلوم من المفصليات . فكل حشرة لها بنية متسقة التركيب ، اي انها تتألف دائماً من ثلاثة اجزاء واضحة هي الرأس والجوشن (اي الصدر) والسِرْم (اي البطن) . ويكون في الرأس العيون والفم والزُبانيان اي القرنان . وفي الجوشن ثلاث حلقات عليها ثلاثة ازواج من الأرجل لا تزيد ولا تنقص . ولذلك اطلق بعض العلماء على الحشرات اسم سداسية القوائم .

اما في كتب اللغة العربية فالحشرات هي الدواب الصغار أيًا كان مكانها في التصنيف · فالقنفذ عندهم حشرة ، وكذا الفأر والجرذ والحرباء والعظاية وغيرها · وهكذا جعلوا هذه الحيوانات في عداد الحشرات ، على حين انها جُعلت في التصنيف في حلقات بعيدة عن حلقة الحشرات · فالقنفذ من صف الثدييات ومن رتبة الحشريات اي آكلات الحشرات ، والفأر والجرذ هما ايضاً من الثدييات ومن رتبة القواضم · اما الحرباء والعظاية فمن العظاء · وهي كلها بعيدة عما يسمى حشرات في علم الحيوان ·

واذا أنعمنا النظر في كلمة شجرة نجد ان الشجرة علمياً هي كل نبات معمر له ساق خشبية جزؤها الأسفل عار بسيط وفوقه اما متسق من الورق (كما في النخل) ، او عدد من الشعب فالفروع فالأغصان فالأوراق (كما في المشمش مثلاً) · ويتضح من هذا التعريف العلمي الحديث للشجرة انه يجب ان تكون معمرة اي ان تعيش سنين ، وان يكون لها ساق خشبية لا ساق هشة رخصة عشبية ، وان يكون للشجرة الواحدة ساق واحدة عارية الأسفل ·

وهذه الشروط لاوجود لها في تعريف الشجرة في معجماتنا العربية · فالشجر فيها هو من النبات ما قام على ساق ، او ما سما بنفسه ، دقّ أو جلّ ، قاوم الشتاء او عجز عنه · ولهذا اذا راجعنا فيها أسماء بعض النباتات العشبية ، سنويةً كانت او محولة ، نجدهم يعبرون عنها بكلمة شجرة · فالخشخاش فيها شجرة ، والخردل شجرة ، والخطمي شجرة ، والخبازى شجرة ، والكرسنة شجرة صغيرة ، والشقار اي شقائق النعمان شجرة الخ · ومن المعلوم انها كلها أعشاب سنوية لا أشجار بالمعنى العلمي الحديث ·

هذه ثلاثة أمثلة على كلمات لم تعرّف في معجماتنا تعريفاً علمياً · ولنتصور حال التلميذ الذي يدرس المواليد في المدرسة عندما يفتش عن الحرباء في المعجم فيجد انه حشرة ، او يفتش عن الزنبور فيُلفيه طيراً ، او عن الخطمي فيلقاه شجرا ·

وكيف يوفق بين النصين نص كتاب المواليد ونص المعجم العربي ؟ فهذه التعريفات واشباهها في معاجمنا لا تصلح لهذه الأيام ، ولا بد من تعديلها ، إلا اذا أردنا ان تظل هذه المعاجم في واد والعلوم الحديثة في واد .

رابعاً — سقم التحلية لأعيان النبات والحيوان : من أهم عيوب معاجمنا التقصير المشين في تحلية أعيان النبات والحيوان . فمعظمها لم توصف بأكثر من انها نبت او نبات او شجر او عشب او بقل او حيوان او طائر او ما أشبه ذلك . واذا كانت مبذولة ، يضيفون الى هذه الكلمة لفظ « معروف » كأنه من الطبيعي ان يكون المطالع عارفاً بالأسماء التي يفتش عنها . وهو لو كان عارفاً بها لما احتاج الى معجم . فالسعتر نبت معروف ، والحنظل معروف ، والسَّمُر شجر معروف ، والكتان معروف ، والسمَّاق معروف ، والسوسن هذا المشموم ، والشحرور طائر الخ . الخ .

والأعيان التي حلوها جاءت تحلية كثير منها ناقصة او مغلوطة . وهي في الحالين بعيدة عن التحلية العلمية التي يجدها المطالع في كتب المواليد المسهبة او في معاجم اللغات الأوربية الكبيرة . ولا يمكن ان تكون تحلية القدماء للمواليد صالحة لأيامنا هذه ، لأن القدماء كانوا جاهلين بالأسس التي قام عليها تصنيف الأحياء . وعندي ان ابن البيطار أهم عالم عربي وصف النباتات الطبية وغيرها في مفرداته ، ولكن هذه التحلية على جلالة قدرها لا تتعدى بعض الأشكال الخارجية لتلك النباتات . وشتان ما بينها وبين التحلية الدقيقة الجامعة المانعة التي يراها المرء في كتب النبات المسهبة الحديثة . والخلاصة ان علوم الأحياء تقدمت كثيراً ، ولهذا تبدلت تحلية المواليد واصبحت تختلف عما كانت عليه في معاجمنا القديمة او فيما صنف القدماء من كتب في النبات والحيوان والزراعة والمفردات الطبية . وكما انه من أسباب اضاعة الوقت ان يراجع التلميذ هذه الكتب في عصرنا هذا ، كذلك من أسباب اضاعة الوقت مراجعته لمعجماتنا القديمة بغية الوقوف على تحلية عين من أعيان المواليد فيها .

خامساً — تفسير الكلم بألفاظ أعجمية : لكل عين من أعيان المواليد اليوم اسم علمي ثابت لا يتبدل . فمتى عرفتَ ذلك الاسم سهل عليك معرفة مدلوله . والمعجمات الاجنبية الكبيرة تذكر الاسماء العلمية للمواليد دائماً . ومن البديهي ان معاجمنا القديمة خالية منها ، اي ان مصنفي المعاجم القديمة لم يكن عندهم هذه الوسيلة المهمة التي يُرجع اليها في معرفة أعيان المواليد . ولهذا كثيراً ما كانوا يحتارون في طريقة التعريف بتلك الأعيان ، فتارة يعرفونها بأسماء مترادفة كقولهم مثلاً ان الدُّراقِن هو الفِرْسِك ، والباذنجان الأُنب والمغد ، وطوراً يحلونها بحلية بسيطة ، او يكتفون بقولهم انها معروفة . ومن جملة ما لجأوا اليه تفسيرهم الواضح منها باسماء غامضة أعجمية معربة وهو ما أعنيه في هذا البحث . فالفيروزابادي مثلاً فسر كثيراً من اسماء النبات وغيرها باسماء اعجمية فقال في القاموس : الحبق هو الفُوتَنج ، وحبق الراعي البرَنجاسِف ، والبندق الجِلَوز ، والشَّمار الرازيانج ، والفصفصة الإِسْفِسْت ، والزبل السرقين والسرجين ، وحَسُّ الدابة فرجنتها ، والمِحسة الفِرْجَوْن الخ . والناس يعرفون اليوم الحبق والبندق والشمار والفصفصة والزبل والحسة ، ويجهلون الاسماء الأعجمية المقابلة لها .

فتفسير كلمات معلومة واضحة بكلمات مجهولة غامضة امر غير محمود .

سادساً — كثرة الأغلاط العلمية : من العبث ذكر الأغلاط العلمية والخرافات المضحكة التي يصادفها الإنسان في المعاجم وفي كتب المفردات وكتب الزراعة والطب القديمة . وهي في المعاجم اقل منها في الكتب الأُخرى ، لأن أعيان المواليد تعرّف في المعاجم تعريفاً مقتضباً ، اما في كتب النبات والحيوان والزراعة والطب فالمؤلفون يحتاجون الى الشرح ، ولذلك نجدهم يخبطون في كثير من الموضوعات خبط عشواء .

فمن الأمثلة على الأغلاط العلمية في المعاجم قولهم ان الدُّلب (ويسمى الصنار) لا نَور له ولا ثمر ، وقولهم ((المخصص ج ١١ ص ١٥٧)) ان القُرّاص له ثمرة

كالبنادق ، ولكن لا نَور له ولا حب ، وقولهم ان الأسل لا ورق له (على حين ان لبعض انواعه ورقاً صغاراً) ، وقولهم ان نبات البردي كنبات النخلة الا أنها لا تطول ، وقولهم ان العفص شجر يحمل مرة بلوطاً ومرة عفصاً (المخصص ١١ ص ٢١٤) الخ . وجميع ذلك فيه نظر . .

سابعاً — تبدل مدلول الأسماء : كثير من اسماء النبات تبدل اليوم مدلولها ، فكانت في القديم تطلق على نباتات معروفة ، وأصبحت اليوم تطلق على نباتات اخرى . وخلوّ المعاجم القديمة من ذكر الاصطلاح الحديث نقص كبير فيها . وهاكم بعض الأمثلة على ذلك :

الاسم العربي	الاسم العربي أو الفرنسي لمدلوله في المعاجم	الاسم الفرنسي لمدلوله في الاصطلاح الحديث
البَلَسان	Balsamier	Sureau
القَيْقَب	الأزادرَخت اي Azédarach	Erable
السَّلْجَم	اللفت اي Navet	Colza
الزَّنْبَق	دهن الياسمين ودهن الظَّيَّان ودهن الجُل	Lis
الشَّيْلَم	الزُّوان اي Ivraie	Seigle
الكِشْمِش	(عنب لا نوى له) ?	Groseiller
الزَّيزَفون	الخلاف اي Elaeagnus في الشام	Tilleul
الفُلّ	(نبات مجهول تحليته غير تحلية الفل المعروف)	Jasmin sambac

الخ .

ثامناً — اسماء عامية يفيد إقرارها : أعرف كثيراً من النباتات والحشرات ليس لها في المعاجم القديمة اسماء عربية خاصة ، ولكنها تُعرف لدى الكافة باسماء عامية قديمة أو حديثة ، خفيفة على السمع ذاع استعمالها في بعض الأقطار العربية . فاسماء كهذه من المفيد أن تُدمج في عداد الألفاظ المقبولة . وفيما يلي بعضها :

الاسم العربي	الاسم العامي	الاسم العلمي	ملاحظات
بقة الزرع	السُّونة	Eurygaster integriceps	اشتهر لفظ السونة في الشام والعراق وايران
سَنْط فَرْنِس	الفتنة، العنبر	Acacia Farnesiana	
بَلُّوط البُرتقال	المَلُّول	Quercus lusitanica	الملول كلمة مشهورة في جميع جبال الشام
البلوط الأشعر	العِزْر	Quercus cerris	العزر كلمة مشهورة في جبال العلويين
عَرْعَر الشام	الدِّفْران	Juniperus communis	الدفران سريانية مشهورة في جبال الشام
العرعر . العرعر الكاذي	اللِّزّاب	Juniperus excelsa	اللزاب كلمة مشهورة في جبال الشام

الخ .

ولا جناح علينا اذا ما أقررنا استعمال مثل هذه الأسماء ، فالقدماء أضافوا الى معاجم اللغة العربية اسماء نباتات لم تعرفها العرب في جزيرتهم ، بل عرفوها في الشام والعراق وايران ومصر بعد الفتوحات ، كالسنديان تُطلق على نوع من البلوط ، وكالأبهل تطلق على الأرز وعلى نوع من العرعر ، وكالعرطنيثا والزعرور والبرسيم واللوطس والبندق والدراقن ومئات من أسماء المواليد المماثلة مما عربوه وأضافوه الى كتب اللغة .

تاسعاً — اسماء مواليد فيها تصحيف : كثير من الأقدمين كانوا يهملون التنقيط ، حتى اذا قام الذين جاءوا بعدهم بحصر المفردات في كتب اللغة ضلوا في بعض الكلم بين الباء والتاء والثاء ، وبين السين والشين ، وبين الصاد والضاد ، وبين العين والغين ، وبين الجيم والحاء والخاء ، وبين الفاء والقاف ، وبين الراء

والزاي ، وبين الطاء والظاء ، وضلوا أيضاً بين الحروف المتقاربة ؛ فكانت مغبة ذلك رسم عدد كبير من اسماء المواليد ، ولا سيما المعربة منها ، على أشكال شتى ، كالسماق مثلاً فمن اسمائه العَبْرَب والعَنْزَب والعَتْرُب (ومن العجيب قول صاحب القاموس انها كلها بمعنى وليس فيها تصحيف) وكالشلجم والسلجم ، والجمجم والجمخم ، والنيلوفر والنينوفر والشِّبِت والشِّبِث الخ .

اما رسم الأسماء المعربة على أشكال شتى فهو كثير . فقد قالوا المَرْزَجُوش والمرزنجوش ، والمردقوش ، والياسمين والياسمون ، والعَبَيْثُران ، والعبوثران ، والشُونيز والشِينيز الخ .

واعتقد ان إهمال الشكل في القديم كان سبباً مهماً آل الى ورود الأحرف على حركات مختلفة في اسماء المواليد المعربة ، كقولهم الكَرَنْب والكَرْنَب ، والسَّنُّوت والسَّنُّوت ، والقُنَّب والقِنْب وأمثال ذلك كثير جداً . ولا أظن ان اختلاف النطق لدى القبائل العربية هو السبب الداعي الى اختلاف الحركات في أحرف الاسم الواحد ، لأن النباتات التي تدل عليها هذه الأسماء ليست منابتها جزيرة العرب .

الخلاصة : يتضح من هذا المقال الذي لم اخرج فيه عن أسماء المواليد ، ان معجمات العربية تشتمل على نواقص ومعايب كثيرة ، وانها لا تصلح لهذا الزمن . ومع ذلك من الإنصاف القول بان علماء اللغة الذين صنفوا تلك المعجمات قد بذلوا جهداً كبيراً في تصنيفها ، وانه كان من الصعب عليهم ان يأتوا بأحسن منها في تلك الأيام الخوالي . فهم يستحقون كل شكر على عملهم المجيد . والمقصرون هم علماء العصور الأخيرة الذين جمدوا ولم يعملوا شيئاً في اصلاح المعاجم القديمة وفي جعلها تساير العلوم والفنون الحديثة وتتسع لها .

ولا شك انه من أشق الأمور تناول المعجمات القديمة بالتشذيب والتنقيح بغية جعلها تستقيم على ما نريده لها . وأهون من ذلك تصنيف معجم لغوي جديد

يشتمل على الضروري من ألفاظ المعاجم القديمة ، وعلى ما يستقر الرأي عليه من ألفاظ العلوم والفنون والمخترعات الحديثة . والمهم ان نعرّف جميعها تعريفاً علمياً صحيحاً ، اي على مقتضى المعاني في معارف هذه الأيام .

ومما لا غنى عنه أيضاً تصنيف معجم فرنسي عربي وآخر انكليزي عربي ، على ان يتضمن كل منها أصح الألفاظ العربية المقابلة للكلم الأعجمية ، وأهم المصطلحات العربية المرجّحة للعلوم والفنون والآداب والفلسفة .

ولا شك ان هذا العمل شاق لا يضطلع به الا مجمع لغوي . واعتقد انه ليس له إلا مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، اذا جدّ واجتهد وعرف كيف يستعين بوسائله وبجهود علماء اللغة والاختصاصيين بالعلوم الحديثة ومصطلحاتها .

مصطفى الشهابي

شعر ابن أبي حصينة

الأمير ابو الفتح الحسن [١] بن احمد بن عبد الجبار بن أبي حُصَيْنَة [٢] السلمي المعري شاعر مكثر عاش بين سنتي ٣٨٨ — ٤٥٢ هـ . وكان قويّ الصلة بالدولة «المرداسية» التي حكمت مدينة حلب ونواحيها في تلك الحقبة (٤١٤ — ٤٧٨) حَظِيّاً لديها ، كثير المدح لأمرائها . وله أشعار وأخبار مفرقة في كثير من كتب الأدب والتاريخ (معجم الأدباء ج ٤ ص ٦٦ — ٧٥ . فوات الوفيات ج ١ ص ١٢٢ — ١٢٣ . تاريخ ابن الوردي حوادث سنتي ٤٤٩ و ٤٥٢ تاريخ ابن عساكر ج ٤ ص ٣٠٥) وغيرها .

ومن أخباره أنه مدح مرةً نصر بن صالح بن مرداس بحلب فقال له : تمنَّ ، فقال : أتمنى أن اكون أميراً ، فجعله أميراً يجلس مع الأمراء ويخاطب بالأمير ، ثم وهبه يوماً مكاناً بحلب قِبَلَ حمام الواساني فعمله داراً وزخرفها ونقش عليها :

دار بنيناها وعشنا بها   في دعة من آل «مرداس»
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا   علي في الأيام من باس
قل لبني الدنيا : ألا هكذا   فليفعل الناس مع الناس

ولما تكامل بناؤها عمل دعوة حضرها نصر بن صالح فلما قرأ الأبيات قال : يا أمير ، كم خسرت على بنائها ؟ قال : يا مولانا مالي علم ، هذا الرجل قد تولى عمارتها . فسأل المعمار فقال : غرم عليها ألفي دينار مصرية ، فأمر نصر باحضارها مع خلعة كريمة ، وبعد أيام حضر رجل من أراذل «المعرة» ينبز بالزقّوم ، فأمر نصر بجعله من أجناد «المعرة» فقال احمد بن محمد بن الزويدة المعري :

---

(١) سماه ابن عساكر وياقوت « الحسين » .   (٢) وردت كلمة « حصينة » مضمومة الحاء بالحركة في عدة مواضع من النسخة البغدادية ، ومفتوحة في النسخة الدمشقية .

أهل «المعرة» تحت أقبح خطة ... وبهم أناخ الخطب وهو جسيم
لم يكفه تأميره «ابن حصينة» ... حتى تجنَّد بعده «الزقوم»
يا قوم قد سئمت بذاك نفوسنا ... ياقوم!أين الترك؟أين الروم؟!

فاشتهرت الأبيات وسمعها الأمير ابو الفتح ، فاقتحم باب ابن الزويدة ، ففتح له وقال : الآن والله كان عندي «الزقوم» وقال : والله ما بي من الهجو ما بي من كونك قرنت اسمي بابن حصينة ؛ فقال ابو الفتح قبَّحك الله . وهذا هجو ثانٍ .
ومن شعر ابي الفتح :

بكت عليّ غداة البين حين رأت ... دمعي يفيض وحالي حال مبهوت
فدمعتي ذَوْبُ ياقوت على ذهب ... ودمعها ذَوْبُ دُرٍّ فوق ياقوت

وقوله : أشرُّ من فاقة الزمان ... مقام حُرٍّ على هوان
فاسترزق الله واستعنه ... فانه خير مستعان
وان نبا منزل بِحُرٍّ ... فمن مكان الى مكان

وقوله : اذا المرء لم يرض ما أمكنه ... ولم يأت من أمره أحسنه
فدعه فقد ساء تدبيره ... سيضحك يوماً ويبكي سنه

وقد جمع بعض شعره في حياته مواطنه ومعاصره ابو العلاء المعري ، في ثلاث مجلدات وشرح بعضه ، وتوفي ابو العلاء قبله بثلاث سنوات فرثاه بقصيدة ذكر منها ابن الوردي وياقوت ١٦ بيتاً ، مطلعها :

العلم بعد ابي العلاء مضيع ... والأرض خالية الجوانب بلقع

ومنها : رفض الحياة ومات قبل مماته ... متطوّعا بأمَرِّ ما يتطوع
عين تسهّد للعفاف وللتقى ... أبداً وقلب للمهيمن يخشع

وعلق عليها ابن الوردي بقوله : فانظر الى ما رثاه به هذا الرجل ووصفه من تقاه ورفضه للحياة وتطوعه ، وهو أعلم به من الأجانب . ويقول ابن الوردي أيضاً عن شعر ابي الفتح : (ج ١ ص ٣٦٦) : ولولا التطويل لذكرت من

شعر ابي الفتح كثيراً ؛ فانه السهل الممتنع ، سلس القياد ، عذب الألفاظ ، حسن السبك ، لطيف المقاصد ، عريّ عن الحشو . اه

وقد اطلعت على مجموعتين من شعره ، احداهما في مكتبة « المجمع العلمي العربي » بدمشق ، والثانية في مكتبة دار الآثار ببغداد ، فأما نسخة المجمع فقد نقلت بالتصوير عن نسخة في مكتبة « الاسكوريال » في اسبانية ، وتقع في (١٧٢ لوحة) عن (٢٤٣ صفحة بقطع الثمن ، كل صفحة تحوي ١٢ سطرا) والكتابة نسخية جميلة ، مشكلة الحروف . وأول هذه النسخة :

فالراجح اللبّ يأبى أن يحمّله وزراً هوى رَجّح الأكفال في الأُزُرِ

وآخرها — بعد انتهاء قصيدة — :

سقيت الحيا أيها المنزلُ وجادتك أنواؤه الهطّلُ

(آخر الجزء الأول من شعر ابي الفتح بن أبي حصينة السلمي ، ويتلوه في الجزء الثاني أرجوزة في هذا الممدوح أيضاً أنشده اياها بديهاً ، وقد شرب على فيض شاذروان ، أولها :

لله يوم مؤذِن بسعده عند فتى أمسى نسيج وحدِهِ

والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم تسليما ه) .

وليس في هذه النسخة ما يدل على اسم جامع هذا الشعر . وقد يفهم من كلمةٍ وردت في (لوحة ١٣٤) أنه جمع في حياة الناظم وتلك الكلمة هي (وقال أيضاً : وعرّضتُ برجل اغتابني بحضرته) ثم أورد قصيدة .

أما تاريخ كتابة هذه النسخة فغير مذكور فيها ، ولكنه سابق لعام ٧٨٧ حيث يوجد في هامش آخر صفحة منها كتابة لأحد مطالعيها مؤرخة في ذلك العام وفي ١١ شهر ذي القعدة منه . وكتابات أخر بعد هذا التاريخ .

ونقص النسخة من أولها يسير قد لا يتجاوز مقدمة الديوان ، وستة أبيات من أول القصيدة الرائية التي مطلعها :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر فازجر عن الغي قلباً غير منزجر

ويحوي هذا المجموع من شعر ابي الفتح ١١٥ قصيدة ومقطوعة ، كلها في مدح الأمير ثمال بن صالح بن مرداس ، الذي حكم مدينة حلب في فترتين من الزمن (٤٣٣ — ٤٤٩ و ٤٥٣ — ٤٥٤ هـ) وآخر قصيدة مدحه بها مما هو في هذه النسخة نظمها في سنة ٤٤٩ (انظر لوحة ١٣٣) . ولأبي الفتح أشعار كثيرة في المدح والرثاء وغيرهما من فنون الشعر ، لا توجد في هذه النسخة التي هي أوفى ما اطلعت عليه من شعر هذا الشاعر .

أما النسخة الثانية فهي وان كانت أقل شعراً ، وأحدث خطاً ، إلا أنها أعظم قيمة ، وأعم فائدة ، إذ هي أثر جليل من آثار حكيم « المعرة » وفيلسوفها ابي العلاء . ومن الغريب ان جميع من كتبوا عن ابي العلاء وتعرضوا لذكر مؤلفاته من متقدمي الباحثين ومتأخريهم — ممن اطلعت على كتاباتهم — لم يتعرضوا لذكر هذا الأثر ، سوى ابن العديم ، فقد أشار اليه في كتابه عن المعري بقوله (ص ٥٤١ تعريف القدماء بأبي العلاء) : وجمع شعر الأمير ابي الفتح بن ابي حصينة السلمي ، وشرح مواضع منه في ثلاث مجلدات .

وقد ابقت لنا يد الحدثان مما جمعه ابو العلاء وشرحه من شعر ابي الفتح قسما صالحاً ، سأتحف من قراء « مجلة المجمع العلمي » مَن يرى منهم الإخبارَ بهذا الأثر « العلائي » مُتحفاً .

في ثبت المخطوطات التي أهداها الآباء الكرمليون لخزانة الآثار العراقية ، والتي تبلغ ٥٣٣٥ مخطوطاً ، كتاب رقمه (١٢٦١) واسمه (ديوان ابن ابي حصينة) . يقع في مجلدة لطيفة الحجم ، قليلة الورق (صفحاتها ٢٠٠ قياس الصفحة ١٥ × ١٠ س . م . والمكتوب فيه ١٣ × ٨½ س . م . وعدد السطور مختلف ٢٤ — ٢٠ سطراً ، والخط من نوع الرقعة ، بقلم دقيق ، وبعض الحروف مشكل بالحركات) .

كتب في الصفحة الأولى من تلك المجلدة (النصف الأول من ديوان الأمير الجليل ابو الفتح (كذا) الحسن بن عبد الله بن احمد بن ابي حصينة السلمي) ثم كلمات اخر تتعلق بمحتويات المجلدة بغير خط الكاتب الأصلي . وفي الصفحة الثانية (بسم الله الرحمن الرحيم . قال الشيخ الأجل الأوحد ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي رحمه الله : الدهر مديد طويل ، يجوز أن يحدث في آخره كما حدث في أوله ، لأن الله سبحانه قدير على الممتنعات ، كلما حكم به فهو آت ، تقدست أسماؤه ، وجلت نعماؤه ، ولا يمنع أن ينشي (كذا) في هذا العصر من الشعراء من هو لاحق بالمتقدمين . وشبيه من سلف من الفحول الأولين . وكان مولاي الأمير الجليل ابو الفتح الحسن بن عبد الله بن ابي حصينة سألني ان اسمع شعره ، فقرئ علي ما أنشأه من انواع القريض ، فوجدت لفظه غير مريض ، ومعانيه صحاح مخترعة ، واغراضه بعيدة مبتدعة ، وهو وان كان متأخراً في الزمان ، فكأنه من فرط في عهد النعمان ، ومن سمع كلامه علم انه لم يغر شهادة ، ولا حرم في ابداع الكلم سيادة ، والحمد لله الذي خص بمدائحه السيد الأجل ، تاج الأمراء ، فخر الملك ، أعز الله نصره ، وأعلى ذكره ، وقد جمع الله الألسن على مدائحه ، كل لسان يبلغ مجهود الانسان ، فعيي يقدر على كلام قليل ، وبليغ يصل الى المقام الجليل ، وثالث يقتصر على النية ، ويأمل بها بلوغ الأمنية ، وما زالت العرب في قديم الزمان تفتخر بالشعر وتجله ، ويعظمه مكثر الحي ومقله ، وانما عرضت الملوك أموالها اللأعطية راغبة في ثناء باق ، واستعباد من لا يجنح الى الاباق ، ويتفق في الزمان الواحد شعراء كثيرة (كذا) لا يحمد منهم إلا قول الرجل او الرجلين . وقد كان علي بن عبد الله بن حمدان اقام سوقاً للشعراء ، وتفرد بتقريبهم دون (ص ٢ :) الأمراء ، فرحل اليه قريبهم والبعيد ، والتمس عنده النوال الرغيب لا الزهيد ، فما اشتهر منهم إلا نفر قليل ، منهم احمد بن الحسين المتنبي ، واحمد بن محمد النامي ، والحارث بن سعيد

المعروف بأبي فراس ، ورجل يعرف بابن كاتب المكثمري ، وهو أقلهم حظاً في مسير القصيد . ولما كان السيد الأجل تاج الأمراء ، فخر الملك ، مبرّزاً في الفهم ، خالص الغريزة من التهم ، يعرف عقود الكلم معرفة الصيرفي ، قيّض الله سبحانه له من يشفي الغلة ، ويخلص مدى الدهر من الخلة ، فحديثه يعبر على الدهور ، والى أن يؤذن بنفخ الصور . وقد قال القائل :

يموت رديء الشعر من قبل أهله   وجيده حيٌّ وان مات قائله

قال الأمير الجليل ابو الفتح الحسن بن عبد الله بن احمد بن ابي حُصينة السلمي ، أيد الله عزّه ، يمدح الأمير الأجل تاج الأمراء ، فخر الملك ، سيف الخلافة وعضدها ، شرف المعالي ، بهاء الدولة العلوية ، وزعيم جيوشها المستنصرية ، علم الدين ، ذا الفخرين ، مصطفى امير المؤمنين ، ابا العلوان ، ثمال بن الأمير الأجل أسد الدولة ، ومقدمها وناصحها ، ابي علي صالح بن مرداس السلمي رضي الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومثواه -- وأنشدت بالرافقة سنة ثلاث وثلاثين واربعمائة :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر   فازجر عن الغيِّ قلباً غير منزجر)

ثم قصائد يبلغ عددها ٦٢ تزيد بيوتها على (سبعماية والف بيت) منها القصيدة التي تبلغ ٦٨ بيتاً والنتفة التي لا تزيد على سبعة أبيات ، وكل هذه القصائد موجودة في نسخة « المجمع العلمي » ولكن النسخة البغدادية تمتاز بطول بعض مقدمات القصائد ، ففي نسخة المجمع (لوحة ٣٢) : وقال يمدحه أيضاً في جواب قصيدة جاءته من بغداد . وفي النسخة البغدادية (ص ٣٩) : وقال يمدحه وقد وصلت الى حضرته السامية من بغداد قصيدة احمد بن طاهر بن احمد صاحب دار العلم بها ، رضي الله عنه ، يمدحه بها ، ويتوسل به (كذا) اليه فعمل هذه القصيدة وأنشدها يوم مجلس سلامه بالثغر المحروس وذلك في شعبان سنة ٤٣٧

وقد تختلف النسختان في تاريخ بعض القصائد (انظر لوحة ٧٦ من نسخة المجمع ، وص ٨٥ من النسخة البغدادية) وفي النسخة البغدادية قصيدتان هذا نص

مقدمتيها — ص ٨٣ (وقال يمدحه وأنشدها في يوم طهور[1] ولد أخيه الأمير الأجل عز الدولة وشمسها ، ابي سلامة ، محمود بن الأمير الأجل ، خاصة الأمراء ، شمس الدولة ، ذي العزيتين ، ابي كامل ، نصر ابن الأمير الأجل شهاب الدولة ابي طاعن صالح ، وذلك بظاهر حلب سنة خمس وأربعين وأربعمائة :

خير الأحاديث ما يبقى على الحقب   وخير مالك ما دارى عن الحسب)

و ص ٨٥ (وقال يمدحه وهذه القصيدة عملها على لسانه [رحمها[2] الله تعالى] يعاتب اليمن وذلك في سنة خمس واربعين واربعمائة :

ما قُدّم البغيُ إلا أخّر الرشَدُ   والناس يلقون عقبي كلما اعتقدوا)

ومن ذكر تاريخ نظم هاتين القصيدتين ، يظهر أن جمع ابي العلاء لهذا الشعر وشرحه له ، هو من آخر مؤلفاته ، وفي السنوات الأربع الأخيرة من عمره [توفي سنة ٤٤٩] . ويعزز هذا الرأي أن ابن العديم عَدّ هذا الشرح آخر ما عَدّ من مؤلفات أبي العلاء ، ويعززه أيضاً ما جاء في مقدمة الديوان من أوصاف ثمال بن صالح ، أوصافاً تدل على أنه كان في عهد كتابة تلك المقدمة أميراً .

وآخر هذا القسم من المجموعة في ص ١٠٢ (بعد نهاية القصيدة الدالية التي مطلعها :

كم تكثران العذل والتفنيدا   أفتحسبان المستهام رشيدا

وآخرها :

يبلى الزمان ولا يزال حديثها   حتى تزول الراسيات جديدا

(تم النصف الأول من ديوان الأمير ابو الفتح (كذا) الحسن بن عبد الله ابن احمد بن أبي حُصينة السلمي (ووافق الفراغ من نساخته في فجر يوم السبت المبارك الخامس عشر من شهر رجب الفرد من شهور سنة اربع وخمسين والف ، على يد الفقير الى عفو الجليل ، الخليل بن خليفة العزيز . سامحه الله تعالى يتلوه

---

(١) طهور تستعمل في نجد بمعنى « ختان » .

(٢) كلمة [رحمها الله تعالى] من زيادة النساخ .

في الجزء الثاني ان شاء الله تعالى وقال أيضاً يمدحه وهذه القصيدة عملها ردّاً على الأمير ابي الفتيان محمد بن سلطان بن حيوس شاعر أمير الجيوش الدزبري في قصيدته التي يمدحه بها، ويذكر مقتل شبل الدولة حيث يقول فيها :

ودع الأُلى مرقوا فإن بعادهم　　عن ذا الجناب لهم عقاب مؤلم

أولاد «مرداس» لسيفك طعمة　　في كل ارض أنجدوا او أتهموا

فقال ابن أبي حصينة مجيباً له، وذلك في سنة احدى واربعين واربعمائة :

مالي وللفصحاء لا تتكلم　　كثر الجمان فما له لا ينظم

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين الطيبين الطاهرين) .

وفي هذا القسم من المجلد خرم . سقط منه ورقة واحدة بين صفحتي ١٠٠ و ١٠١ لم يتنبه له مرقم الصفحات إذ آخر صفحة ١٠٠ هو بيت :

يُرجى كما ترجى الغمامة عفوه　　ويخشى كما يخشى الغمام انتقامه

وأول صفحة ١٠١ هو بيت :

حتى لظن الناس أن لكفه　　إحناً على امواله وحقودا

وفي ص ١٠٣ من هذه المجموعة (شرح ديوان بن حصينة (كذا) للعلامة أحمد بن سليمان الشهير بابي العلاء المعري سامحه الله تعالى والمسلمين) ثم في ص ١٠٤ (بسم الله الرحمن الرحيم : قال الشيخ الأجل الأوحد أبو العلاء احمد بن عبد الله ابن سليمان التنوخي المعري رحمه الله في شرح القصيدة التي أولها :

هل بعد شيبك من عذر لمعتذر　　فازجر عن الغي قلباً غير منزجر

قوله : ما البيض : يجوز فيه الرفع والنصب ، أما النصب فعلى ان يجعل مفعولاً معه ، والرفع أجود وهذا البيت ينشد على وجهين . قال الشاعر :

فما أنا وال ... [1] في متلف　　يطيح بالذكر الضابط

---

(١) مكان النقط كلمة غير واضحة ، وكل البيت مضطوب مبهم المعنى .

وقوله : عن وجد يخامره ؛ اي يخالطه ، وأصل ذلك من خمرة اللبن ، وأصل المخامرة ان تكون بين شيئين يطيب كل واحد منهما الآخر ما يصيبه منه ، فأما قولهم مخامر ، في معنى مداج فانما يريدون به كالذي يستتر بالخمر وهو ما واراك من شي (كذا ولعله : شجر) • قوله : بشعب تعار : الشعب الطريق في الجبل ، وتعار اسم جبل وهي تؤنث ، قال الشاعر :

أقفرت من سروب قومي تعار فأرومٌ فشابة فالديار

والضال وهو غير مهموز ما ينبت من السدر على غير شط نهر • فان كان على الماء فهو عبريّ ، وأصل الأعشار من قولهم : قدر اعشار ، اذا كانت مكسرة قد تشعبت ، وهو من جنس قولهم : حَبْل أرماث وارمام • وأما قول الأعشى أو امرء القيس : في اعشار قلب مقتل ؛ فقد قيل فيه قولان : أحدهما أن يكون من أعشار القدر ، أي قلبه قد تقطع فكأنه أعشار قدر • والآخر ان يكون من أعشار الجزور وهي الأنصباء التي يضرب عليها بالقداح • والمرخ شجر كثير النار ، من قولهم اقدح بمرخ أو عفار ثم اشدد يديك أو ارخ • وأصل الحج القصد ، يقال حج القوم الرجل ، اذا اكثر التردد اليه ، قال الراجز يصف فرساً بقوله : [ص ١٠٥]

ظل يحج وظللنا نحجبه وظل يرمي بالحصى يترّبه

وأصل الاعتمار الزيارة • وشرخ الشباب أوله ، ويقال شرخ وشخر على القلب ، قال حسان :

ان شرخ الشباب والشعَر الأسـ ود ما لم يعاص كان جنونا

ويقال رجل شارخ وقوم شرخ ، مثل ما يقال : تاجر وتجر ، وصاحب وصحب • والسمادعة جمع سميدع ، وهذه الهاء تدخل للمبالغة فيقال الصياقلة والطيالسة • والشم (كذا) اذا وصف به القوم أريد به التنزه عن الدنايا ، والشمم في الأنف إشراف في القصبة ، وورود في الأرنبة قال كثير :

أناس ينال الماء قبل شفاههم لهم واردات العرض شم الأرانب

ويجوز : ولا عجب ولا عجباً ؛ فان نصبت فعلى المصدور ، وان رفعت جعلت « لا » بمعنى « ليس » ومن شرح القصيدة التي أولها :

لأية حال حكموا فيك فاشتطوا وما ذاك إلا حين عممك الوخط)

وآخر هذا الشرح في ص ١٨٦ (وقولهم : خُذ ؛ من الشواذ ، والأصل فيه : أوخذ فجاءت على حرفين ، كما قالوا : كل والأصل : أكل (كذا) . ويقال سعد الرجل يسعد فهو سعيد ، ولم يجاوز ذلك كما قالوا راحم ورحيم . وانما منعهم ان يقولوا : ساعد ، في معنى سعيد ، انه غير متعد ؛ فأشبه « فعل » الذي يجيء اسم فاعله على « فعيل » مثل : كرم فهو كريم ، وظرف فهو ظريف ، ويقال : أسعده الله ، وكان القياس ان يقولوا : فهو مسعد ، فاقتصروا على قولهم : فهو مسعود ؛ كأنهم بنوه على سعد . وحكى قوم : سعده الله وأسعده . انتهى شرح ديوان ابن أبي حصينة بحمد الله وحسن توفيقه . وكان الفراغ من نساخته في شروق يوم السبت المبارك ، سادس شعبان المكرم من شهور سنة أربع وخمسين والف هجرية ، وذلك على يد الفقير الى عفو الملك الجليل ، الخليل ابن خليفة العزيز المكي الرومي الحنفي ، عامله الله بلطفه الخفي والمسلمين) .

ويقع هذا الشرح في ٨٣ صفحة من هذه المجموعة ، وقد سقط منه ورقة واحدة بين صفحتي ١٤٢ — ١٤٣ غفل عنها المرقم ، أو تغافل .

ويحتوي هذا الشرح على ايضاح الكلمات الغريبة من شرح ابي الفتح الموجود في هذه المجموعة فقط . ثم باقي المجموعة من ص ١٨٧ الى ١٩٤ صفحات بيض تركها الكاتب بعد أن كتب في أولها كلمة (ترجمة ابن ابي حصينة) وكأنه أراد أن يكتب فيها ترجمة المذكور ، فنسي ، أو لم يعثر له على ترجمة فتركها خالية .

ثم من ص ١٩٤ ـ الى ـ ٢٠٠ : ترجمة ابي العلاء المعري ، ليس فيها اسم جامعها ، ولعلها من صنيع الكاتب وفيها نقول من تاريخ « قاضي القضاة » ومن تاريخ « ابن خلكان » ـ كذا فرق بينهما الكاتب ـ ومن تاريخ « الاسنوي » ومن كلام « ابن الجوزي » وآخر ما جاء في صفحة ٢٠٠ من هذه الترجمة :

« وقد ذكر له بعض الفضلاء حكايات غريبة في الذكاء ، خوارق للعقل قد تفرد بها ، وكذلك الحفظ لكل ما سمعه ، ووقفت قديمًا على مؤلف ألفه بعض الفضلاء وذكر فيه من أموره عجائب وغرائب ، وقد ذكرت في تذكرتي المعروفة بالعا ... [1])

وفي عقب هذه الصفحة « شيء من ذلك » وهو آخر كلمة في المجموعة . وثَمّ نقصٌ ، والله أعلم به .

(الظهران) حمد الجاسر

(١) كلمة أخفاها أثر التجليد فلم يظهر منها الا حرف « ال » .

ابو الفتح بن جني

عصره — مكانته العلمية — آثاره

عصره :

ليس شك في ان القرنين الثاني والثالث الهجريين كانا أزهر عصور الاسلام تأليفاً في العربية وعلومها وبحثاً في قواعدها وآدابها فقد نبغ فيهما جماعة من كبار المؤلفين مثل عيسى بن عمر الثقفي (— ١٤٩ [١]) وابي عمرو بن العلاء (— ١٥٩ [٢]) والخليل بن احمد الفراهيدي (— ١٧٥ [٣]) والفراء ابي زكريا يحيى (— ٢٠٧ [٤]) الذي قال عنه ثعلب : لولا الفراء لما كانت اللغة لأنه حصلها وضبطها ولولاه لسقطت العربية لأنها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب • ومثل ابي عبيدة معمر بن المثنى (— ٢٠٩ [٥]) وابي زيد الانصاري (— ٢١٤ [٦]) الذي كان سيبويه اذا قال سمعت الثقة فقد عناه • ومثل ابي عمر صالح الجرمي (— ٢٢٥ [٧]) وابن الاعرابي محمد بن زياد (— ٢٣٠ [٨]) والمازني ابي عثمان (— ٢٤٧ [٩]) والمبرد محمد بن يزيد (— ٢٨٥ [١٠]) وغيرهم ••

هؤلاء نفر من أعلام المؤلفين في القرنين الثاني والثالث يبينون لنا أية درجة رفيعة وصلت اليها العربية وعلومها ، ولكن ما أصيب به هذان القرنان

---

(١) ابن خلكان مطبعة الميمنية ١/٣٩٣ .
(٢) ابن خلكان مطبعة الميمنية ١/٣٨٧ .
(٣) » » » » ١/١٧٤ .
(٤) نزهة الالباء للانباري : ١٢٧ .
(٥) » » » » ٢/١٠٥ .
(٦) » » : ١٢٣ .
(٧) » » » » ١/٢٢٨ .
(٨) ابن خلكان ١/٤٩٢ .
(٩) » » » » ١/٩٢ .
(١٠) » » ١/٤٩٥ .

من ضياع الآثار والمؤلفات واندماجها فيما ألف بعدها يهوّن من شأنها اذا قيسا الى القرن الرابع الذي جمع الى سعة البحث وعمق التفكير ونضج العقل العلمي تأليفاً كثيراً قيماً موجوداً ؟ ففي هذا العصر نبغ الزجاج ابرهيم بن محمد بن السري ابو اسحق (— ٣١١) استاذ ابي علي الفارسي ، الذي قال عنه ابن الانباري : إنه من أكابر أهل العربية ، صنف مصنفات كثيرة وكان صاحب اختيار في النحو والعروض ومن كتبه التي كان لها صدى بعيد وأثر عميق فيما ألف بعده من موضوعه ، كتاب المعاني في القرآن ، والمذكر والمؤنث ، وفعلت وأفعلت ، والرد على فصيح ثعلب ، والأمالي والاشتقاق ، وما ينصرف وما لا ينصرف ، وشرح أبيات سيبويه [١] . وممن نبغ في هذا العصر ابن السراج ابو بكر محمد ابن السري (— ٣١٦) تلميذ المبرد وأستاذ ابي سعيد السيرافي وابي علي الفارسي وابي الحسن الرماني والزجاجي . وهو صاحب المؤلفات القيمة ومنها كتاب الأصول في النحو وهو الكتاب الذي يقول عنه ابن خلكان من أجود الكتب المصنفة في هذا الشأن واليه المرجع عند اضطراب النقل واختلافه . وكتاب جمل الأصول ، وكتاب الاشتقاق ، وشرح الكتاب لسيبويه [٢] ويقول ابن الأنباري إنه أخذ مسائل سيبويه ورتبها أحسن ترتيب وكان ثقة [٣] .

وفي هذا العصر أيضاً نبغ ابو بكر محمد بن احمد بن منصور الخياط السمرقندي (— ٣٢٠) استاذ ابي علي الفارسي والزجاجي . وقد جرت بينه وبين الزجاج مناظرة مشهورة وكان هذا ممن يخلط المذهبين الكوفي والبصري ، وقد ذكره أبو علي الفارسي في الرسالة التي كتبها الى سيف الدولة رداً على ابن خالويه ، وفيها يقول : « وأما قوله اني قلت إن ابن الخياط لا يعرف شيئاً فغلط في الحكاية ، كيف أستجيز ذلك وقد كلمت ابن الخياط في مجالس كثيرة ، ولكني قلت

(١) نزهة الألباء ٣٠٨ وابن خلكان ١/ ١١ وتاريخ آداب اللغة لزيدان ٢/ ١٨١ .
(٢) ابن خلكان ١/ ٣٠٥ . (٣) النزهة : ٣١٤ ومعجم الأدباء ٧/ ١٠

إنه لا لقاء له لأنه دخل بغداد بعد موت محمد بن يزيد (المبرد)، وصادف احمد بن يحيى ـ ثعلباً ـ وقد صم صمماً شديداً لا يخرق الكلام سمعه، فلم يمكن تعلم النحو منه، وإنما كان يقوله فيما يؤخذ عنه على ما عليه دون ما كان يقرأ عليه، وهذا أمر لا ينكره أهل هـذا الشأن ومن يعرفهم [1] » وللخياط من المؤلفات: معاني القرآن، وكتاب النحو الكبير، والموجز، والمقنع في النحو [2]، ولم يبق من آثاره شيء فيما أعرف.

ومن رجال هذا العصر ابو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري (— ٣٢٧) الذي كان يقول احفظ ثلاثة عشر صندوقاً، وقيل انه كان يحفظ مائة وعشرين تفسيراً للقرآن باسانيدها، وله تصانيف كثيرة في اللغة والأدب والعربية [3] وكان من أعلم الناس في علم الكوفيين وأكثرهم حفظاً للغة [4].

ومن رجال هذا العصر أيضاً الزجاجي ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحق (— ٣٣٩) وقد أخذ عن استاذه الزجاج ونسب اليه، وعلي بن سليمان الاخفش وابن السراج وابن دريد [5]، ومن آثاره الباقية كتاب الجمل وهو أعظم مؤلفاته وأكثرها انتشاراً، وكتاب الأمالي وكتاب الزاهر [6].

ومن رجال هذا العصر المشهورين أبو سعيد السيرافي وأبو علي الفارسي وعلي ابن عيسى الرماني وسندرسهم فيما بعد درساً مفصلاً، أما المغمورون في أيامنا هذه ممن كانوا مشهورين في ذلك العصر ولهم فيه تأثير كبير فنذكر منهم: علي بن طلحة بن كرد ابن النحوي (— ٤٢٤) الذي يقول عنه

---

(١) ياقوت، معجم الأدباء ٦/٢٨٣ وما بعدها. ويذكر الزبيدي في طبقات النحاة ابن الخياط أخذاً عن المبرد وانتقل عن ثعلب.

(٢) انظر معجم الأدباء ٦/٢٨٣ والنزهة: ٣١٢

(٣) ابن خلكان ١/٥٠٣ وجرجي زيدان ٢/١٨٢.

(٤) النزهة: ٣٣٠.

(٥) النزهة: ٣٧٩ وابن خلكان ٢/٢٧٨.

(٦) انظر تاريخ الآداب العربية لجرجي زيدان ٢/١٨٣.

الحافظ السِلَفي : صحب الفارسي وعلي بن عيسى الرماني وقرأ عليهما كتاب سيبويه ، والواسطيون يفضلونه على ابن جني وعلي بن عيسى الربعي . وصنف كثيراً ومن كتبه كتاب اعراب القرآن في خمسة عشر مجلداً غسله قبل موته لتصوفه [١]

ومنهم احمد بن بكر العبدي أبو طالب (— ٤٠٦) أخذ العربية عن السيرافي والفارسي والرماني ونبغ فيها وألف كتاب شرح الايضاح [٢] .

ومنهم علي بن عبيد الله الدقاق ابو القاسم الدقيقي (— ٤١٥) وكان أحد الأئمة في هذا الشأن أخذ عن الثلاثة : الفارسي والسيرافي والرماني ، وكان مباركا في التعليم وله شرح الايضاح ، وشرح كتاب الجرمي وكتاب العروض ، وكتاب المقدمات [٣] .

ومنهم علي بن عبيد الله السمسمي أو السمساني ابو الحسن (— ٤١٥) أخذ عن السيرافي والفارسي وكان جيد المعرفة بالعربية ، صحيح الخط ، غاية في اتقان الضبط [٤] .

ومنهم ابو العلاء صاعد بن الحسن بن عيسى الربعي الموصلي (— ٤١٧) أخذ عن السيرافي والفارسي ، كان عارفاً باللغة والأدب والأخبار دخل الأندلس واتصل بالمنصور بن ابي عامر فأكرمه واستوزره [٥] .

ومنهم عبيد الله بن جرو الاسدي المعتزلي (— ٣٨٧) اخذ عن الفارسي والسيرافي وكان ذكياً بارعاً قدمه أستاذه ابو سعيد السيرافي ليكون اماماً لعضد الدولة [٦] .

ومنهم محمد بن جعفر بن محمد الهمذاني المراغي (— ٣٧١) أستاذ بختيار بن معز الدولة ، ألف الاستدراك لما أغفله الخليل ، والبهجة على نمط كامل المبرد .

---

(١) ياقوت معجم الأدباء ٥/٢٢٦ .
(٢) ياقوت معجم الأدباء ١/٣٨١
(٣) » » » ٥/٢٧١ .
(٤) » » » ٥/٢٧١
(٥) » » » ٤/٢٦٦ .
(٦) » » » ٥/٤

وقال ابو حيان التوحيدي : كان قدوة في النحو والأدب مع حداثة سنه ولم أر مثله (١) ...

هؤلاء نفر من الأئمة كان لهم ذكر بعيد في ذلك القرن ولكنهم أضحوا مغمورين جداً في عصرنا على الرغم من آثارهم الكثيرة ؛ هذه الكثرة العظيمة من النحاة واللغويين تبين لنا خصب العصر من الوجهة اللغوية كما تبين لنا غنى البيئة التي عاش فيها مؤلفنا ابو الفتح بن جني ولا شك في انه قد استفاد منها كثيراً وتعلم فيها وناقش رجالها كما سنرى فيما بعد .

ثم انه من الجدير بنا أن نلاحظ أن كثرة هؤلاء العلماء كانوا يعتنقون مذهب الاعتزال عقيدة حتى أن القدماء قد لاحظوا ذلك فتحدثوا في كتب الطبقات عن طبقات من النحويين المعتزلة ، ذكر ياقوت في ترجمة أحمد بن علي أبي بكر الميموني الزرندي النحوي ان أبا الفتح منصور بن المعذر النحوي ذكر في كتابه جماعة من المعتزلين النحويين فذكر السيرافي والفارسي والرماني وابا بكر الميموني وغيرهم (٢) . وقال في ترجمة ابي الحسن البوراني أن محمد بن اسحق ذكره في نحاة المعتزلة ، وأنه من طبقة ابي علي الفارسي .

وفي رأينا أن هذه الظاهرة ترينا ارتباط النحو والنحاة بالحرية الفكرية التي يميل اليها المعتزلة في بحوثهم ، ولا يضعف هذا ما حفظه لنا المؤرخون من حملة ابي سعيد السيرافي على المنطق وأصحابه في مناظرته الشهيرة مع متى المنطقي فإن هذه الحملة ، على الرغم من مبالغة راويها ابي حيان التوحيدي (٣) في تضعيف قول متى ، لترينا اهتمام النحاة بالمنطق اهتماماً جعل مثل متى يذهب هذا المذهب ويغالي في تفضيل العلم اليوناني والمنطق اليوناني على النحو العربي والأسلوب العربي مغالاة

(١) ياقوت معجم الأدباء ٦/٣٢٥ . وبغية الوعاة ص ٢٨ .
(٢) » » » ٢/٢٣٩ .
(٣) انظرها في الامتاع والمؤانسة ج ١/١٠٨ وما بعدها .

تجعل أبا سعيد يفرط في الحملة على المنطق مع أنه بلا شك موقن بفضل المنطق اليوناني والعلم اليوناني على عقله وعلمه ، والحق أن أبا سعيد أُوتي لساناً بليغاً فغلب خصمه وأصيب متى بالفشل لركاكة لسانه وسوء اسلوبه ..

* * *

بعد هذا الذي ذكرناه عن النحاة عامة في هذا العصر وعن مخاصم التعليمي خاصة نريد أن نهتم بدراسة شخصيات ثلاث كان لها الأثر الكبير في نحاة هذا العصر أجمعين وفي ابن جني خاصةً وهم ابو سعيد السيرافي وابو علي الفارسي وابو الحسن الرماني وهم الذين رأينا اسمهم يتردد في ترجمة كل من ذكرنا من رجال هذا العصر وما ذلك إلا لخطير شأنهم وكثرة آثارهم ، وعمق تأثيرهم في غيرهم .

أبو سعيد السيرافي : هو الحسن بن بهزاد عبد الله المرزباني القاضي (— ٣٦٨) .

ولد بسيراف ـ على ساحل بحر فارس ـ حوالي سنة ٢٩٠ هـ وفيها ابتدأ بتحصيل العلم ثم خرج من بلده قبل العشرين وثلاثمائة فمضى الى عُمان وتفقه فيها على مذهب ابي حنيفة النعمان ثم رجع الى بلده [1] فأقام فيها قليلاً ثم رجع الى عسكر مكرم فأقام بها مدة قرأ فيها على محمد بن عمر الصيمري المتكلم وكان يفضله ويقدمه على جميع أصحابه ثم قدم بغداد فقرأ فيها على ابي بكر محمد بن علي مبرمان وابي بكر بن السراج كتاب سيبويه [2] ثم اتصل بالقاضي ابي محمد بن معروف قاضي قضاة بغداد فقرأ هذا عليه العربية ثم ولاه قضاء الجانب الشرقي نيابةً

---

(١) يذكر العلامة كرنكو في مقدمة أخبار النحويين للسيرافي في ص ٤ ان السيرافي قرأ في بلده على ابي ذكوان ، وعسل بن ذكوان وان ابا سعيد ذكر ذلك في آخر كتاب أخبار النحويين وقد رجعنا الى عبارة السيرافي فلم نجد فيها ما يفيد انه قرأ عليها وانما قال [وقد كان من نظرائه — أي المبرد — في عصره ممن قرأ كتاب سيبويه على المازني جماعة لم يكن لهم نباهة مثل ابي ذكوان ووقع الى سيراف في ايام الزنج .. وعسل بن ذكوان] وهذه العبارة لا تفيد ان السيرافي قرأ عليها بل لعلها تفيد العكس لأن السيرافي ولد في أواخر القرن الثالث وابو ذكوان وقع الى سيراف سنة ٢٥٧ ايام الزنج .

(٢) أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٠٨ وياقوت ٨/١٤٥

ولما رأى طيب سمعته وأمانته ولاه قضاء الجانبين [1] . وفي بغداد اتصل ابوسعيد بابن دريد فقرأ كتبه ونشر مذهبه [2] ، كما اتصل بابي بكر بن مجاهد فقرأ عليه القرآن ودرسا عليه جميعاً النحو . ويذكر الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد من شيوخه محمد بن ابي الأزهر البوشنجي (— ٣٢٥ [3]) وعبد الله بن محمد بن زياد (— ٣٢٤) وقد عظمت مكانته في بغداد فالتف حوله علماؤها ومتأدبوها وتخرج به جمهرة كبرى من الناس وليس أدل على ذلك مما يحدث به عنه ابو حيان التوحيدي وتلميذه صديقه المعجب بأدبه وفضله ودينه وخلقه .

قال ابو حيان : قال لي الوزير أين أبو سعيد من أبي علي ؟ وأين علي بن عيسى منهما ؟ وأين ابن المراغي من الجماعة وكذلك المرزباني ... فكان من الجواب : ابو سعيد أجمع لشمل العلم وأنظم لمذاهب العرب وأدخل في كل باب وأخرج من كل طريق وألزم للجادة الوسطى في الدين والخلق وأروى للحديث وأقضى في الأحكام وأفقه في الفتوى وأحضر بركة على المختلفين وأظهر أثراً في المقتبسة [4] ونقل ياقوت عن ابي حيان أيضاً من كتابه الذي ألفه في تقريظ الجاحظ وقد ذكر جماعة من الأئمة كانوا يقدمون الجاحظ ويفضلونه فقال : ومنهم ابو سعيد السيرافي شيخ الشيوخ . وامام الأئمة معرفة بالنحو والفقه واللغة والشعر والعروض والقوافي والقرآن والفرائض والحديث والكلام والحساب والهندسة ، أفتى في جامع

---

(١) ياقوت ٨/١٤٩ .

(٢) هذا ما يذكره ابن الأنباري في النزهة ص ٣٢٢ وتنقله عنه دائرة المعارف الاسلامية ٤/٦٣ ويلاحظ الأستاذ كرنكو ان لقاء السيرافي لابن دريد بعيد جداً حيث يقول : وأظن هذا محالا فيما يتعلق بابن دريد لأنه توفي ببغداد سنة ٣٢١ وقد ذكرنا ان ابا سعيد لم يرحل من سيراف الا سنة ٣٢٠ ولم يسكن ابن دريد سيراف على ما علمنا قبل وصوله الى دار السلام انظر ص ٧ من أخبار النحويين البصريين للسيرافي .

(٣) البغية : ١٠٤ .

(٤) الامتاع والمؤانسة : ١/١٢٩ وياقوت في معجم الأدباء ٨/١٧٨ مع اختلاف بسيط .

الرصافة خمسين سنة على مذهب أبي حنيفة فما وجد له خطأ ولا عثر منه على زلة وقضى ببغداد ، وشرح كتاب سيبويه في ثلاثة آلاف ورقة بخطه في السليماني ، فما جاراه فيه أحد ولا سبقه الى تمامه انسان هذا مع الثقة والديانة والأمانة والروايه صام أربعين سنة واكثر الدهر كله[١] .

ونقل ياقوت عن ابي حيان أيضاً كلمة من كتابه محاضرات العلماء جاء فيها : قال ابو حيان حضرت مجلس شيخ الدهر وقريع العصر العديم المثل المفقود الشكل ابي سعيد السيرافي وقد أقبل عليه الحسين بن مردويه الفارسي يشرح ترجمة المدخل الى كتاب سيبويه من تصنيفه فقال له : علّق عليه واصرف همتك اليه فانك لا تدركه الا بتعب الحواس ولا تتصوره الا بالاعتزال عن الناس فقال : أيّد الله القاضي انا مؤثر لذلك ولكن اختلال الأمر وقصور الحال يحول بيني وبين ما أريد . قال : ألك عيال ؟ قال : لا . قال : عليك ديون ؟ قال : دريهمات . قال : فأنت ريح القلب حسن الحال ، ناعم البال ، اشتغل بالدرس والمذاكرة[٢] .

واعجاب ابي حيان التوحيدي بشيخه ابي سعيد كثير ، وشهاداته بفضله وعلمه شهادات لها قيمتها في تبيين مكانة ابي سعيد في عصره . ثم انه ليس أدل على هذه المكانة من انتشار اسمه في العالم الاسلامي وكتابة أمرائه إذ ذاك اليه يستفتونه فقد ذكر ياقوت نقلاً عن ابي حيان في الامتاع أن نوح بن نصر الساماني كتب اليه كتاباً سنة ٣٤٠ وخاطبه فيه بالامام وسأله عن مسائل تزيد على اربعمائة . وكتب اليه المزربان بن محمد ملك الديلم من اذربيجان كتاباً خاطبه فيه بشيخ الاسلام وسأله عن مائة وعشرين مسألة أكثرها في القرآن وكتب اليه ابن حنزابة امير مصر كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الجليل وسأله عن ثلاثمائة كلمة من فنون الحديث . وكتب اليه ابو جعفر ملك سجستان على يد ابي سليمان

(١) ياقوت معجم الأدباء ٨ ص ١٥٠ . (٢) ياقوت معجم الأدباء ٨/١٥٢ .

المنطقي كتاباً خاطبه فيه بالشيخ الفرد سأله عن سبعين مسألة في القرآن ومائة كلمة في العربية وثلاثمائة بيت من الشعر وأربعين مسألة في الأحكام وثلاثين مسألة في الأصول على طريق المتكلمين [1] .

قلت : ويظهر ان ابا حيان التوحيدي كان سيرافياً يميل الى ابي سعيد ويغالي في حبه ويتعصب له على خصمه الفارسي ابي علي فقد قارن بينهما في حضرة الوزير ابي عبد الله العارض في احدى مسامراته بعد أن ذكر محاورة ابي سعيد لمتى المنطقي وفوزه عليه وسؤاله العارض عن مكانة السيرافي بين علماء عصره فتحدث التوحيدي عنهم فرداً فرداً وكان مما قاله عن ابي علي الفارسي : وأما ابو علي فأشد تفرداً بالكتاب وأشد اكباباً عليه وأبعد من كل ماعداه مما هو علم الكوفيين وما تجاوز في اللغة كتب ابي زيد وأطرافاً مما لغيره ، وهو متقد بالغيظ على ابي سعيد وبالحسد له كيف تم له تفسير كتاب سيبويه من أوله الى آخره بغريبه وأمثاله وشواهده وأبياته (وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) لأن هذا شيء ماتم للمبرد ولا للزجاج ولا لابن السراج ولا لابن درستويه مع سعة علمهم وفيض كلامهم [2] . وحكى ياقوت عن ابي حيان أن تلاميذ ابي علي كانوا يحملون على السيرافي أيضاً فاجتمع أبو حيان الى بعضهم مرة فقال : انكم لا تزالون تعتنون فيه وتزرّون على مؤلفه فما لكم وله ؟ فقالوا : نريد أن نرد عليه ونعرّفه خطأه . قال أبو حيان فحصّلوه واستفادوا منه ولم يرد عليه واحد منهم .

وإنما بلغ ابو سعيد هذه الرتبة لأنه قضى عمره في الدراسة والتعليم والنّسخ والقضاء ، وكان الى ذلك زاهداً متين الخلق كبير النفس . قال الخطيب البغدادي : كان ابو سعيد زاهداً لم يأخذ على الحكم أجراً إنما كان يأكل من كتب يمينه فكان لا يخرج الى مجلس الحكم ولا الى مجلس التدريس حتى ينسخ عشر ورقات

(١) ياقوت معجم الأدباء ١٧٩/٨ والامتاع ١٢٩/١ مع اختلاف بسيط .

(٢) الامتاع ١٣١/١ .

يأخذ اجرتها عشرة دراهم تكون بقدر مؤنته . وكان بعيد القرين لأنه كان يقرئ علوم الدين والرياضيات واللغة والأدب وهو في كل هذا إما في الغاية وإما في الوسط (١) .

هذا وقد تخرج به جمهرة من الفحول الأجلة كابن خالويه الحسين بن حماد الامام المشهور (٢) واسماعيل بن حماد الجوهري صاحب الصحاح (٣) وابي علي المحسن بن ابراهيم الصابئ (٤) وعلي بن المستنير حفيد قطرب (٥) وغيرهم ممن رأيت فيما تقدم .

أما آثاره فهي : شرح كتاب سيبويه ، وألفات القطع والوصل ، وأخبار النحويين البصريين ، وشرح مقصورة ابن دريد ، والاقناع في النحو ولم يتممه فتممه ابنه يوسف ، وكان يقول وضع أبي النحو في المزابل بالاقناع يريد أنه سهّله ، وشواهد كتاب سيبويه ، والوقف والابتداء ، وصنعة الشعر والبلاغة ، والمدخل الى كتاب سيبويه ، وصفة جزيرة العرب (٦) . ويقول الأستاذ كرنكو في مقدمة أخبار النحويين (٧) «ولم يذكروا شروحه للأبيات الواردة في الجمهرة في اللغة لابن دريد فان هذه الشروح موجودة في المجلد الثاني والثالث من النسخة المحفوظة في ليدن وقد أدخلت هذه الشروح في المطبوعة حين هذبت الجمهرة للطبع» . قلت ولم يذكروا أيضاً ما يذكره صاحب شذرات الذهب من أن له كتاباً اسمه (كتاب الأفعال) .

(يتبع) اسعد طلس

---

(١) ياقوت معجم الأدباء ٨/١٤٥ . (٢) ياقوت ٤/٤ . (٣) ياقوت ٢/٢٦٦ .
(٤) « « « ٨/١٥٣ . (٥) « ٨/١٧٨ .
(٦) ياقوت ٨ / ١٤٩ — ١٥٠ . (٧) أخبار النحويين ص ٨ .

ولاة دمشق

في العهد السلجوقي

نصوص مستخرجة من تاريخ دمشق الكبير للحافظ ابن عساكر
(مخطوطة الظاهرية تاريخ رقم ١)
مهد لها وحققها

صلاح الدين المنجد

تمهيد

تحديد الزمن

نقصد بالعهد السلجوقي [1] الحقبة التي تبدأ بزوال السلطان الفاطمي وخروج جند المصريين من دمشق بدخول مقدّم الغزّ اتسز بن اوق اليها عام ٤٦٨ هـ .

---

(١) انظر تفسير سوفاجه لكلمة سلجوقي في :

Sauvaget, Quatre Decrets Seldjoukides p. 7. Beyrouth 1947.

وأحسن مصدر لفهم تاريخ السلاجقة بدمشق هو ذيل تاريخ دمشق للقلانسي (تحقيق امدروز ١٩٠٨) وينظر ما كتبه الأستاذ كرد علي في الجزء الأول من خطط الشام. وما كتبه في دمشق مدينة السحر والشعر (القاهرة ١٩٤٤) وما سنذكره في المصادر الآتية . ويُقرأ عن السلاجقة بصورة عامة :

تاريخ دولة آل سلجوق	للأصبهاني	(ليدن)
الفتح الوهبي	للمنيني	(مصر)
الحكاية السلجوقية	لليزدي	(ليدن)
تواريخ آل سلجوق	لمحمد بن ابراهيم	(ليدن)

W. Barthold, Histoire des Turcs d'Asie Centrale. Paris 1934 (Adaptation Française par. Mme Donkis)

E. de Zambaur, Manuel de Généalogie et de Chronologie pour l'histoire de l'Islam. Hanovre, 1927.

ويرجع الى مصادر أخرى عن السلاجقة في كتاب :

رائد التراث العربي ، اقتباس صلاح الدين المنجد . بيروت ١٩٤٦ (فصل السلاجقة) .

وتنتهي بخروج آخر البوريين منها ودخول نور الدين محمود بن زنكي اليها عام ٥٤٩ هـ وتأسيسه الدولة النورية فيها .

وهي حقبة قصيرة امتدت ثمانين عاماً وعاماً ؛ ولكنها كانت من أكثر العهود شأناً في تاريخ دمشق وأعظمها أثراً في تطوّرها ونهضتها ومستقبلها .

وما العهود التي تلت هذه الحقبة ، أيام نور الدين والأيوبيين ، الا امتدادها ، ونمو للأعمال التي بدأت فيها .

وقد امتازت هذه الحقبة بأمور جديدة عامة حملها معهم السلاجقة وأتباعهم عندما هبّوا يدفعهم مثل أعلى ديني يريدون الدفاع عنه والمحافظة عليه ، ورغبة في التوسع الاقليمي يودّون تحقيقها . فنشروا هذه الأمور في كل مكان بلغوه ، وكانت دمشق احد المراكز التي نشروها فيها . كما أنها امتازت بأمور اخرى خاصة بدمشق وحدها .

كيف دخل السلاجقة دمشق

في سنة ٤٦٣ هـ جمع اتسز بن اوق [1] ـ مقدّم الأتراك الغزّ بالشام ـ جنده ، وكان احد قادة الب ارسلان ، وقصد ارض فلسطين فافتتح الرملة وبيت المقدس ، وطرد الفاطميين منها ، وأخذ يواصل الغارات على دمشق . وكانت فلسطين وسورية تحت سلطان الفاطميين ما عدا حلب ، فقد كان فيها بنو مرداس . واستمر اتسز يغير على دمشق سنوات حتى استطاع ان يستولي عليها سنة ٤٦٨ هـ مستفيداً من الحصار الاقتصادي الذي لجأ اليه بقطع الميرة عنها ورعي زروعها خارج اسوارها سنوات . فأدى ذلك الى فقدان الأقوات ثم غلاء الأسعار . ثم جلا اهلها وضعفت المقاومة فيها ودخل اتسز اليها . وكان آخر والٍ فيها من قبل الفاطميين معلى بن منزو .

(١) أثبتها غروسّه « آبق » وهو خطأ .

كان اتسز طموحاً ؛ فقد حاول ان يغزو مصر سنة ٤٦٩ هـ ، فعاد عنها مدحوراً مهزوماً . ودفعت هزيمته الفاطميين أن يستعيدوا فلسطين ودمشق . فخرج نصر الدولة الجيوشي من مصر سنة ٤٧١ هـ ونزل على دمشق محاصراً لها . فاستولى على أعمالها وأقام يضايقها . وكان في شمال سورية تتش بن الب رسلان ، وكان قد قصد الشام يريد اخذ حلب من بني مرداس . فاتفق هو ومسلم بن قريش العقيلي أمير الموصل على اخذها . ولكن مسلماً خلف وعده وتخلف عن مساعدته فلم يستطع تتش ان يستولي عليها وحده . فلما خاب أمله من أخذ حلب ، توجه الى دمشق ملبياً دعوة اتسز لنجدته . ولم يلبث نصر الدولة أن رحل عن دمشق عندما اتاه خبر قدومه . وخرج اتسز فتلقى تتش وسلم البلد اليه . ثم قبض تتش على اتسز وأخيه فقتلها . فخلص له الحكم وحده ، واستقام له الأمر فيها وفي أعمالها ، وفي فلسطين . وهكذا اصبحت دمشق للسلاجقة ، واخذوا يتوارثون الحكم فيها [1] .

أعمال السلاجقة بدمشق

آ — الأمور العامة :

نحن نذكر من هذه الأمور التي قام بها السلاجقة في كل مكان ، ما كان مسرحه دمشق .

(١) انظر عن دخول السلاجقة دمشق :

R. Grousset, Histoire des Croisades t. 1, Introduction, p. XLV. Paris 1948.

J. Sauvaget, Esquisse d'une Histoire de la Ville de Damas. dans (Revue des Etudes Islamiques 1934, Cahier IV. p, 450 et suiv).

وذيل تاريخ دمشق للقلانسي ص ٩٨ ، ١٠٨ ، ١١٢ . والكامل في التاريخ لابن الأثير ج ١٠ ص ٧٠ ، ٧٢ (ط . اوربة) . وخطط الشام للأستاذ كرد علي . الجزء الأول . ومادة « تتش » لهوتسما في دائرة المعارف الاسلامية .

٦ — القضاء على المذهب الشيعي

بدأت محاربة المذهب الشيعي بدمشق بقطع الدعوة للخليفة الفاطمي الذي يمثل هذا المذهب وإعادة الدعوة للخليفة العباسي الذي يمثل السنة . وكان الفاطميون قد دخلوا دمشق سنة ٣٥٩ هـ فما زال يُدعى لهم على المنابر حتى جاء اتسز . فكان اول ما فعل إبطال الدعوة لهم ، وإبطال الأذان بحي على خير العمل وما يتبعها من سب للصحابة . وهذه ظاهرة شيعية ذات شأن ، سبقت دمشقُ حلبَ في إبطالها . فانها لم تُبطل في حلب التي كانت مركزاً شيعياً ذا شأن إلا فيما بعد ، بعد خمس وسبعين سنة ، على يد نور الدين عام ٥٤٣ هـ .

وبُدِيءَ بتأسيس المدارس لنشر المذاهب الفقهية . فقامت أول مدرسة بدمشق ـ وهي الصادرية ـ عام ٤٩١ هـ . فسبقت دمشق في تأسيس المدارس القاهرة . وقامت في هذه الحقبة ست مدارس للحنفية وواحدة للشافعية واثنتان للحنابلة . وكان بُناة مدارس الحنفية والشافعية من الأمراء ، أما المدرستان الحنبليتان فبناهما تاجر وعالم .

وبتأسيس هذه المدارس ورد على دمشق من الشرق علماء كبار ، فدرّسوا فيها . وشجع الولاة والأمراء العلماء وقرّبوهم .

وساعد على زوال المذهب الشيعي أن أهل دمشق أنفسهم كانوا على عداء معه . وهو عداء قديم . ولم يستطع هذا المذهب ، حتى في أيام الفاطميين ، أن يثبت فيها أركانه . حتى أن العلماء والمحدثين الذين كانوا يدرّسون في المسجد الأموي في هذه الحقبة الفاطمية ـ أي قبل تأسيس المدارس ـ كانوا حنفية أو شافعية .

فلما دخل نور الدين دمشق فيما بعد ، كان المذهب الشيعي قد قُضي عليه فلم يبذل عناء في طمس مظاهره ، بل انصرف الى قتال الصليبيين

وتحصين المدينة ، وبناء الجوامع والمدارس والربط والخوانق والمشافي [1] .

٢ً — محاربة الباطنية والاسماعيلية

وثمة خطوة ثانية خطاها السلاجقة في محاربة الشيعة هي القضاء على الباطنية والاسماعيلية في دمشق . فقد كان فيها كتلة من الباطنية تعمل على نشر مبادئها . وكانت تعمد في نشر هذه المبادئ الى العنف ولا تحجم عن اغتيال من يعاندها . ولقد اغتالت هذه الفئة نظام الملك في بغداد ، واغتالت الأمير مودود في مسجد دمشق . وقد زاد شأنها في دمشق عندما ورد اليها داعي الباطنية بهرام من بغداد سنة ٥٢٠ فتلقاه الوزير المزدقاني بالترحاب وأمر بتسليمه بانياس ، وكانت ثغراً ذا مكانة ، لتكون له مأمناً وملجأً . فعظم أمر بهرام واتبعته العامة والغوغاء . يقول القلانسي : « فضاقت صدور الفقهاء والمتدينين والعلماء وأهل السنة والمقدّمين ، وأحجم كل منهم عن الكلام فيهم والشكوى لواحد منهم دفعاً لشرّهم ، لأنهم شرعوا في قتل من يُعاندهم ومعاضدة من يوازرهم ويُرافدهم ، بحيث لا ينكر عليهم سلطان ولا وزير ، ولا يفل حد شرهم متقدم ولا أمير » .

وكلام القلانسي يوضح لنا شدة شوكة هؤلاء الباطنية ، واستياء الفقهاء والعلماء والمقدّمين ، والخوف الذي دبّ في النفوس منهم وسكوت اولي الأمر عنهم . هذا الاستياء الشديد ، كان لا بُدّ أن يؤدي الى انفجار أو ثورة .

وبعد عامين في سنة ٥٢٣ قُتِل بهرام داعي الباطنية . فقام مقامه اسماعيل العجمي . فبادر الوزير المزدقاني الى مساعدته . وعاد الباطنية الى ما كانوا عليه

(١) انظر : ذيل تاريخ دمشق للقلانسي ص ١٠٨ ، ١٠٩ .
خطط الشام لكرد علي الجزء الأول .
دور القرآن بدمشق (المقدمة) لصلاح الدين المنجد . دمشق ١٩٤٦ ص٦و٧
دمشق مدينة الشعر والسحر لكرد علي ص ٢٠ .
تنبيه الطالب للنعيمي دمشق ١٩٤٨ .
Sauvaget , Comment étudier l'Histoire du Monde Arabe . (Revue Africaine , N° 406 - 409 , 1946) .

من شدة وشوكة . وكثر أذاهم ؛ فازدادت شكوى الناس من الخاصة والعامة . وبلغت النقمة عليهم نفوس الأمراء وعلى رأسهم تاج الملوك .

رأى تاج الملوك أن الوزير المزدقاني هو ساعد الباطنية ، وأنه لن يستطيع الفتك بهم قبل ان يفتك به . فدبر ان يقتل . وتم اغتياله وهو خارج من مجلس تاج الملوك نفسه . ثم أحرقت جثته بعد أيام . وصحب مقتله ثورة الأحداث والأوباش بدمشق على الباطنية أنفسهم ، وكانوا قد ذهلوا لمقتل الوزير . ويصف القلانسي هذه الثورة فيقول : « فانطلق أهل دمشق فقتلوا من ظفروا به منهم ، وكل متعلق بهم منتم اليهم ، وتتبعوهم في اماكنهم واستخرجوهم من مكامنهم وافنوهم جميعاً تقطيعاً بالسيوف وذبحاً بالخناجر . وجعلوا مصرعين على المزابل . وقبض منهم نفر كثير التجأوا الى جهات يحتمون بها ، فأريقت دماؤهم هدراً . وصلب عدد منهم على شرفات سور دمشق ... »

وقد ساعد على هذه الثورة شحنة البلد ورئيسه ، وبالغا في التحريض على ذلك .

هذه الثورة تظهر مبلغ الحقد ، الذي كان يكنه أهل دمشق ، على الباطنية . وهي صورة لنفسية أهل دمشق . يصبرون صبراً طويلاً على الأذى حتى تحسب أنهم ضعاف لا حياة فيهم ، ويبالغون في تلقي الأذى حتى لتحسب انهم يريدون الذل ، ثم يثورون فجأة ثورات عنيفة شديدة مخيفة ، واذا الباغي قد زال ، يتبعه أذاه .

وهذا الأمر قد تكررت صوره في تاريخ دمشق القديم والحديث .

وقد أثرت هذه الضربة في عزيمة الباطنية ، حتى المقيمين في بانياس مع الداعي . فذلوا وتفرق شملهم في البلاد . وسلم اسمعيل ثغر بانياس للصليبيين في السنة نفسها .

على أنهم لم يغفروا لتاج الملوك ما فعل . فقد أرسل اليه باطنية ألموت اثنان من الخراسانية في السنة نفسها . فتوسطا حتى استخدما في قصر تاج الملوك وما زالا يتدرجان الى ان رتبا لحفظ ركابه . فوثبا عليه ، بعد ثلاث سنوات سنة ٥٢٥ ،

وضربه احدهما بالسيف طلباً لرأسه ، والآخر في خاصرته . ولكنه نجا من الموت ، وُقتل الباطنيان . ولم يبرأ جرح خاصرته فمات سنة ٥٢٦ .

ولم تقم للباطنية بعد هذه الضربة قائمة في دمشق . وُقضي عليهم . وتركها من نجا من القتل الى حصونهم بألموت ومصياف . وظلوا يفسدون ويقتلون حتى جاء نور الدين ثم صلاح الدين [1] .

٣ — بدء الحروب الصليبية

بدأت الحروب الصليبية والسلاجقة بدمشق . ومهما كانت أسباب هذه الحروب ، الدينية والاستعمارية ، فإن الصليبيين استطاعوا ان يدخلوا آسية الصغرى من شمالها الغربي ويجتازوها الى جنوبها الشرقي . وانتصروا بالقرب من اسكي شهر Dorylée على قلج ارسلان السلجوقي في اوائل تموز سنة ١٠٩٧م ٤٩٠ هـ . وقطعوا البلاد بلا عناء مارين بقونية وجبال طوروس الشرقية . فخلى السلاجقة لهم السبيل ، وساعدهم الأرمن في منطقة مرعش ، ومنها هبطوا الى سورية الشمالية وقصدوا انطاكية يريدون حصارها ، وكان فيها امير تركي من أتباع السلاجقة اسمه ياغي سيان .

ارسل ياغي سيان ، صاحب انطاكية ، ولده الى دمشق سنة ٤٩٠ هـ ، وكان فيها الملك دقاق بن تتش يطلب المعونة منه . وتقدم الفرنج فنزلوا على بغراس وأرتاح والبارة . فجهز دقاق عسكراً لنجدة ياغي سيان . فلقوا الفرنج عند البارة ، وتقاتلوا . وعاد الفرنج الى الروج وانطاكية .

---

(١) يُراجع بصورة خاصة :
القلانسي ذيل تاريخ دمشق ص ٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٣٢ ، ٢٤١
وابو شامة ، الروضتين : الجزء الأول
وكردعلي ، خطط الشام الجزء الأول
» ، دمشق مدينة السحر والشعر ص ٢٢ — ٢٥

كان ذلك اول عسكر يجرّد من دمشق . ومن ذلك الحين اتيح لدمشق ان تتبوّأ مركزاً جديداً حربياً . ولقد بوأها السلاجقة الأشداء هذا المركز الحربي . وظلت كذلك ايام نور الدين والأيوبيين ، وايام الملك الظاهر بيبرس .

قاتل ولاة دمشق الفرنج طوال هذه الحقبة ، خلا السنوات الأخيرة من حكم ابق بن محمد ، وامدوا سائر الولاة الذين كانوا يقاتلونهم ، وكانوا يعودون غالب الأحايين ، مظفرين . فكانت دمشق تشهد مواكبهم تطوف في اسواقها ، وفيها الأسلاب والغنائم ورؤوس القتلى .

ولقد عمد طغتكين الى بيع الأراضي خارج دمشق ، وكانت داثرة معطلة لا مالك لها ، ممن يرغب في عمارتها ، وصرف ما حصل من ثمنها في الأجناد المرتبين للجهاد .

وكان دفاعهم عن دمشق نفسها من غارات الصليبيين عنيفاً . وبذلوا في سبيل ذلك كل شيء . حتى أن والدة شمس الملوك لما رأت تهاون ابنها في قتالهم ورغبته في تسليم دمشق اليهم سنة ٥٢٩ هـ وخروجه عن سنن آبائه ، أرسلت له من قتله .

ولقد تعرّضت دمشق لمؤامرات الصليبيين وكادت تسقط في أيديهم . فقد هاجموها بعد انتقال بانياس اليهم سنة ٥٢٣ ، وخيموا على جسر الخشب والميدان المجاور له . فهاجمهم بوري وقتل منهم كثيراً . ثم هاجموها سنة ٥٤٣ بخمسين الفاً ، ونزلوا ناحية للمزّة وخيموا عليها لقربها من الماء ، فقام معين الدين يدافع عن البلد أحسن دفاع ، وهب اهل دمشق من الأجناد والأتراك واحداث البلد والمطوعة والغزاة فدحروا الفرنج واضطروهم الى الرحيل . وقد حرقوا الربوة وراءهم وما يجاورها .

وكان يشارك اهل دمشق في قتال الفرنج رجال الغوطة والمرج ، واهل الأرباض خارج الأسوار كالعقيبة وقصر حجاج والشاغور .

ولولا دمشق وسلاجقتها لاستولى الصليبيون على كثير من مدن الشام الداخلية .

وقال علا شأن دمشق الحربي ، عندما دخلها نور الدين وبدأ بتحصينها وتعمير اسوارها ، وجعلها مركزاً للحروب والغزوات على بلاد الفرنج (١) .

ب — الأمور الخاصة :

وثمة امور خاصة رأتها دمشق وامتاز بها عهد السلاجقة بعد عهد الفاطميين .

١ — دمشق مركز الحكم والسلطان .

شهدت دمشق في هذا العهد هيبة الحكم تعود . فمنذ تولى عنها بنو امية لم يستقر فيها حكم . وشعرت بهؤلاء الولاة الأشداء يعيدون الدين قوته وللحكم روعته . وأسسوا قلعتهم وفيها دار امارة ، وكان في دار الامارة بلاط صغير فيه الجنود التركمان والحرس والوزراء والعمال والكتاب . واصبح في دمشق جيش

---

(١) انظر : القلانسي ص ١٣٤ ، ١٩٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٦ ، ٢٩٩ ...
كرد علي ، خطط الشام الجزء الأول
كرد علي ، دمشق مدينة السحر والشعر ص ٢٥
ابو شامة ، الروضتين الجزء الأول وذيل الروضتين

R. Grousset , L' Empire du Levant , p. 195 Paris 1946
» Histoire des Croisades t l, p. 85 et suiv

وارجع للتفصيل الى :

C. Caben , La Syrie du Nord à l'époque des Croisades Paris 1940
Rey , Les colonies Franques de Syrie aux X IIe et X IIIe Siècles . Paris 1883 .
P. Deschamps , Les Châteaux des Croisèes en Terre Sainte 2 Vol . Paris 1934 - 1939 .

ولا يمكن الاستغناء عن :

Recueil des Historiens des Croisades . Paris depuis 1841 .
1° Historiens Occidentaux , 5 tomes parus (1844 - 1895)
2° Historiens Orientaux,(Arabes) 5 tomes parus (1872 - 1906)
3° Historiens Grecs , 2 tomes (1875 - 1881)

ويضاف اليها الجزآن الثالث عشر والرابع عشر من البداية والنهاية لابن كثير .

من الأتراك ومن أهلها يدافعون عنها . وضُرب فيها دينار خاص نُقش عليه اسم الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي ووالي دمشق ، ولم يكن يفعل ذلك من قبل .

٢ً — الأمن والرخاء والاستقرار .

وأحسّ أهل دمشق بما يقدمه الولاة اليهم من الاحسان في السيرة واستعمال العدل والكف عن الظلم والأمر بالمعروف ، بعد أن كان ولاة الفاطميين يسيئون السيرة ويظلمون ويجورون ويخرّبون ويصادرون . وأنس الناس بالأمن بعد الاضطراب وبالهدوء بعد الثورة . وكانت سيرة الولاة كأحسن مايكون ، اذا استثنينا شمس الدولة وابق في آخر أيام ولايتهما فقد أحسن تاج الدولة السيرة ، وأجمل طغتكين في تدبير أهل دمشق وبالغ في الدفاع عنها وضرب على ايدي المفسدين . فحسنت الأحوال في ولايته ، وعمرت دمشق بجميل سياسته . ورخصت الأسعار وجاءت الغلاّت . وسار بوري سيرة أبيه في العدل . وأعاد على جماعة من الرعية أملاكاً لهم في ظاهر البلد اغتصبت منهم في زمن الولاة من قبل . وأحسن شمس الملوك السياسة باديء بدء ورفع عن الرعية ضرائب كانت تؤخذ منهم ثم لما عدل عن خطته ، فصادر العمال وتقاعس عن قتال الفرنج ، أنكرت أمه ذلك عليه ودبرت قتله . وجرت الأمور على استقامة ايام محمود بن بورى ولم يشب هذه الحقبة شائبة الا في أيام آبق على يد مؤيد الدين الصوفي .

وعندما أحس اهل دمشق بالأمن استقرت الأمور . فانصرفوا عن الدفاع عن انفسهم الى امور اخري من الزراعة والصناعة . وكثرت الغلات فرخصت الأسعار . ورفعت الأقساط والضرائب فخلصوا من الفقر . وعاد أهل دمشق اليها بعد أن كانوا يفرّون منها ويجلون عنها . وخرجوا الى الأرباض يزرعونها ويعمرونها حتى عمرت عدة ضياع كانت خالية وأجريت عيون مياهها وظهرت خيراتها .

فحسن السياسة والعدل أديا الى هيبة الحكم . وادت هذه الى الأمن .

وأنتج الأمن انصراف الناس الى اعمالهم فزاد الانتاج ، وكثرت الثروة، وازدهرت دمشق .

٣ — العمران بعد الخراب .

ولقد كان من نتائج الاضطراب المستمر في المدينة طوال عهد الفاطميين ، ونشوب الثورات من حين الى حين ان كثرت الحرائق وازداد الخراب . ولم يترك الفاطميون آثاراً في دمشق في ايامهم الا القليل . منها الربوة ، وبعض جسور بنيت على نهر تورا ، وتابوت السيدة سكينة ، وقبر السيدة فاطمة في مقبرة الباب الصغير . وهذا كله قليل . ولقد كان من اعظم النكبات التي حلت بدمشق في هذه الحقبة حريق المسجد الأموي عام ٤٦١ هـ . فقد احرقه الجند المصريون . فلما جاء السلاجقة واستتب الأمن مالوا الى العمارة . وساعد الولاة الرعية في العمارة ايضاً ودفعوهم اليها .

أهم الآثار العمرانية .

وأهم ما عُمّر وبُني في هذه الحقبة ما يلي :

١ — **المسجد الأموي** : أعيدت عمارته في ايام تتش . والغريب أن المؤرخين القدامى سكتوا عن أخبار إعادة عمارته . ولولا الكتابات القديمة التي وُجدت في المسجد لخفي امر ذلك . وقد بدئ بهذه العمارة زمن تتش . وجدد سنة ٤٧٥ هـ المقصورة والقبة والسقف والطاقات وترخيم الأركان . — أي ما يتعلق بالمصلى — وجدد الحائط الشمالي سنة ٤٨٢ هـ وسنة ٥٠٣ هـ وسنة ٥١٢ هـ .

٢ — **القلعة** : وكان لا بد من وجود قلعة فبنى تاج الدولة تتش [١] قلعة لطيفة في الجانب الشمالي الغربي من السور على انقاض رومانية ، وجعلها دار إمارة وسكنها . وبنى لولده رضوان بها داراً . وزاد فيها شمس الملوك وشيدها ...

(١) يذكر سوفاجه في دراسته عن دمشق ... Esquisse أن الذي بناها اتسز ، ولا يذكر دليله ولا المصدر الذي أخذ عنه. ولم نجد ما يؤيد قوله. وما ذكرناه نقله ابن طولون عن ابن شداد . انظر الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ص ٣ .

وقد احدث شمس الملوك في هذه القلعة بابين مستجدين الأول من الشمال والثاني باب جسر الخندق الشرقي سنة ٥٢٧ . وأنشأ فيها دار المسرة ، وحماماً من شمالها ، وفرغ من ذلك كله سنة ٥٢٨ .

٣ — **السور** : ونجد في كتابة قديمة مؤرخة سنة ٥٣٨ إشارة الى عمارة الباب (باب الفراديس) والسور المبارك من قبل مقدّم الأكراد مجاهد الدين بزان . وهو الذي بنى المدرسة المجاهدية الجوانية ، والمجاهدية البرانية .

٤ — **المدارس** : وقد أسس في دمشق في العهد السلجوقي من المدارس ما يلي :

المدرسة الصادرية	بناها الأمير صادر بن عبد الله		سنة	٤٩١	للحنفية
〃 الامينية	〃 امين الدولة كمشتكين		〃	٥١٤	للشافعية
〃 المعينية	〃 الأمير معين الدين انر		〃	٥٢٤	للحنفية
〃 الطرخانية	〃 〃 ناصر الدولة طرخان		〃	٥٢٥	〃
〃 البلخية	〃 الكز الدقاقي	بعد	〃	٥٢٥	〃
الخاتونية البرانية	بنتها خاتون ام شمس الملوك	〃	〃	٥٣٦	〃
المدرسة الشريفية	بناها الشريف الحنبلي	قبل	〃	٥٣٦	للحنابلة
〃 المجاهدية	〃 مجاهد الدين بزان		〃	٥٣٩	للحنفية
〃 المسمارية	〃 مسمار الهلالي		〃	٥٤٦	للحنابلة

٥ — **الخوانق** : وانشئت الخانقاه الطواويسية — وفيهـا قبة صفوة الملك ام دقاق — سنة ٥٠٤ . وكان باب الخانقاه السميساطية يفتح للشمال فلما ولي تاج الدولة سأله المتصوفة في فتح باب لها من الغرب في دهليز الجامع فأذن لهم . ففتح حيث هو الآن . فهذا الباب حديث ، وما تزال آثار الباب القديم ظاهرة . وهو من الحجر الأسود المنحوت .

٦ — **المساجد:** ومما أنشئ من المساجد في هذه الحقبة مسجد الوزير المزدقاني على الشرف الشمالي غربي تربة ست الشام . وهو اليوم في رأس الجوزة الحدباء على يمين الصاعد . ولم يبق من آثاره سوى كتابته القديمة .

ومسجد مجاهد الدين بزان عند باب الفراديس وقد اصبح مدرسة .

ومسجد تتش ، ولم أهتد الى موضعه . ومسجد القدم الذي جدد سنة ٥١٧ .

وغيرها كثير .

٧ — **الترب:** وعمرت قبة في الدحداح لوالدة تاج الملوك بوري . وعندما توفيت سنة ٥٢٢ هـ قبرت فيها . ولم يبق لها أثر [1] .

تلك نظرة موجزة عن حالة دمشق السياسية والعمرانية ايام الولاة السلاجقة . وها نحن اولاء ندع ابن عساكر يحدثنا عن اولئك الولاة :

(يتبع) **صلاح الدين المنجد**

---

(١) انظر :

القلانسي ، وخطط الشام ، ودمشق مدينة الشعر والسحر ، ودراسة سوفاجه عن دمشق .

أما الآثار العمرانية فانظر فيها :

Sauvaget, Monuments Ayyoubides de Damas t. 1. Paris 1938

» Quatre Decretes Seldjoukides

Creswell. the Origin of the Cruciform Plan of Caïrene Madrasas . le caire 1922

Repertoire Chrolonogique d'épigraphie Arabe (R. C. E. A) t. V lll . N° 2942 - 2981 - 3072 - 3025 - 3033 ...

المنجد	أبنية دمشق الاثرية المسجلة	بيروت ١٩٤٨
»	خطط مدارس مدينة دمشق	بيروت ١٩٤٧
»	مسجد دمشق ، نص قديم	دمشق ١٩٤٨
النعيمي ،	تنبيه الطالب ، الجزء الاول	دمشق ١٩٤٨
ابن عبد الهادي ،	ثمار المقاصد وذيل أسعد طلس	بيروت ١٩٤٣

الموفي في النحو الكوفي

للسيد صدر الدين الكنغراوي الاستانبولي الحنفي

علق عليه الأستاذ محمد بهجة البيطار

— ٣ —

المرفوعات

« الفاعل » ما أسند اليه الفعل او شبهه [١] نحو : كان زيدٌ عالماً ، وقائم زيد . وحقه ان يلي الفعل وقد يتقدم عليه [٢] إلا إذا كان نكرةً إلا اذا أفاد[٣] ، نحو :

ما للجمال مشيها وئيدا   أجندلاً يحملن أم حديدا[٤]

ويكون [٥] جملةً نحو : بدا لي ، يقوم زيد . ولا يحذف إلا من المصدر ، إلا عند الكسائي [٦] ، نحو :

(١) كاسمي الفاعل والمفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمصدر .

(٢) قال الصبان : فلا يضر عندهم تميز المبتدأ من الفاعل في نحو : زيد قام ، وتظهر ثمرة الخلاف في التثنية والجمع فنحو : الزيدان قام ، والزيدون قامَ ، جائز عند الكوفيين ممتنع عند البصريين . (٣) اي لا يجوز ان يتقدم الفاعل ـ اذا كان نكرة ـ على فعله إلا إذا افاد ، إذن فيكون في تقدمه حكم الابتداء بها ، قال ابن مالك رحمه الله :

ولا يجوز الابتدا بالنكره   ما لم تفد ، كعند زيد نمره

(٤) هو قول الزبّاء الملكة العربية الشهيرة ، التي ملكت الشام والجزيرة ، وأخبارها كثيرة ، (٣٥٨ ق هـ) . (٥) اي الفاعل . (٦) اجاز الكسائي حذف الفاعل من المصدر وغيره تمسكاً بنحو قوله : فإن كان لا يرضيكَ اخ البيت .

فإن كان لا يرضيك حتى تردَّني الى قَطَرِيٍّ (١) لا إخالك راضيا

ولو عدمت قرينة ، او اتصل او كان المفعول محصوراً بـ « إنما » لا بـ « إلا » وجب تقديمُ الفاعل (٢) ، ولو اتصل مفعوله وهو منفصلٌ ، وجب تقديم المفعول (٣)

وكذلك إذا اتصل مكنيٌّ المفعول الى الفاعل ، نحو : ضرب عمراً غلامُه ، وقال الطُّوال كقوله :

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبرٍ وحسن فعلٍ كما يُجزى سنمار (٤)

(١) قطريٌّ هو ابن الفجاءة الخارجي ، والبيت لسواد بن المضرِّب ، وكان هربَ من الحجاج خوفاً على نفسه ، والمعنى : إذا كانت حالتي التي تراها — وهي الفرار من ذلك الخارجي الممقوت — لا ترضيك ، ولا ترضي حتى تُرجعني اليه ، فإني أظنك لا ترضى ، لأني عزمتُ على عدم تحقيق ما يرضيك . والشاهد : حذفُ مرفوع كان ويُرضيك لدلالة الحال عليها . (٢) إذا عدِمت القرينة التي تميز الفاعلَ من المفعول ، وجب تقديم الفاعل بسبب خفاء الاعراب وعدم القرينة ، إذ لا يعلمُ الفاعل من المفعول ـ والحالة هذه ـ إلا بالرتبة كما في نصر موسى عيسى ، وأكرم ابني أخي . وإن وقع الفاعل ضميراً متصلاً وجب تقديمه أيضاً ، إذ لو أُخر لزم ان لا يكون متصلاً ، والفرض أنه متصل ، نحو : أكرمتك وأكرمت زيداً . وكذا الحال اذا حُصرَ المفعول بإنما ، فيجب تقديم الفاعل على المفعول ، لأنه لو أُخر انقلب المعنى ، نحو : إنما نصر زيدٌ عمراً . (٣) لأنه لو قدِّم الفاعل وجب انفصال الضمير مع إمكان اتصاله ، كعلمني الأستاذُ .

(٤) فيه عودُ الضمير على متأخرٍ لفظاً ورتبةً ، قال ابن هشام في أوضح المسالك : ولا يجيزه أكثر النحويين لا في شعر ولا في نثر ، وأجازه فيهما الأخفش وابنُ جني والطُّوال وابن مالك ، والصحيح جوازه في الشعر فقط .

(وسِنمَّار اسمٌ لرجل روميٍّ بنى قصراً عظيماً بظهر الكوفة ، للنعمان بن امرىء القيس ملك الحيرة ، فلما فرغ من بنائه ألقاه من أعلاه ، لئلاَّ يبني لغيره مثله ، فضربت به العربُ المثل في سوء المجازاة .

ويجب كذلك اذا كان الفاعلُ محصوراً بـ «إنما» بخلاف «إلاّ» — هذا عند الكسائيّ ، وذهب الفرّاء وابنُ الأنباريّ الى وُجوب تقديم المفعول إذا كان الفاعل محصوراً بـ «إلاّ» .

والعامل في الفاعل هو الفعل المسنَدُ أو شِبهه ، وقد يُحذف فعله لقرينة ، وهو كثير بعد «لو» و«لولا» وقد يُحذفانِ معاً .

نائب الفاعل (١) :

ما أُسنِدَ اليه المجهول او شبهُهُ (٢) ويجوز إنابة المفعول به (٣) .

والمصدر غير العلة (٤) والمحل المنصرف (٥) اتفاقاً ، والحال الضروريّ اذا كان جُملةً عند الشيخين (٦) ، لا مفرداً خلافاً للفرّاء (٦) ، ولا التمييز خلافاً

---

(١) جرى المصنف في هذه الترجمة (نائب الفاعل) على مصطلح ابن مالك رحمه الله ، وهي أولى وأخصر من قول كثير (المفعول الذي لم يسمَّ فاعله) لأنه لا يشمل غير المفعول مما ينوب كالظَّرف مثلاً ، إذ المفعول به هو المراد عند الاطلاق ، ولأنه يشمل المفعول الثاني في أُعطي زيدٌ ديناراً وليس مراداً (انظر الخضري والصبان) . (٢) قد يحذف الفاعل للجهل به ، أو لغرض لفظي صحيح كتصحيح النظم ، أو معنويٍ كأن لا يتعلّقَ بذكره غرضٌ ، وكالإيجاز ، والعلم به ، والإبهام ، والتعظيم ، والتحقير ، والخوف منه ، أو عليه ، فصار بذلك شبه المجهول . (٣) نحو : «وغيضَ الماء ، وقضيَ الأمر» .

(٤) لم يُشترط في المصدر النائب عن الفاعل أن يكون مختصاً بوصفٍ أو إضافة أو عَدَدٍ كما يتضح من مثاله «نُفِخَ نفخةٌ» . (٥) المتصرف ما يفارق النصب على الظرفية والجرّ بمِن . (٦) أجاز الكسائي والفرّاء قيام الجملة التي هي خبرٌ لكان وجعل مقام الفاعل ، نحو : (كين يقامُ) و(جُعِل يفعل) . واستبعد جَوازه الرضيُّ في شرح الكافية لوجهين (أحدهما) أن هذين الفعلين من عوامل المبتدإ والخبر ، وما حُذِف في هذا الباب من الفاعل —

للكسائي (١)، نحو: ضربَ عمرٌو، ونُفخ نفخةٌ، وصيمَ رمضان، وكين يُقام، وكين، وطيبتْ نفسٌ.

ولا يتعين المفعول به إذا وُجد، فيجوز إنابة غيره، نحو: ليُجزى قوماً بما كانوا يكسبون (٢). ولا ينوب الثاني من باب علمتُ، ولا ثانياً: أعلمت

— فليس بمنويٍ، ولا يُحذف المبتدأ إلا مع كونه منوياً، فلا ينوب على هذا خبر كان المفردُ أيضاً عن الفاعل، نحو: كين قائمٌ، وقد أجازه الفرّاء دون الكسائي (والثاني) أن الجملة لا تقوم مقام الفاعل إلا محكية أو مؤولةً بالمصدر المضمون، ولا معنى لكين القيامُ (ص ٧٤ ج ١ شرح الرضي على الكافية).

(١) في شرح الرضي للكافية: وأجاز الكسائي نيابة التمييز لكونه في الأصل فاعلاً فقال في طابَ زيدٌ نفساً طيبت نفسُ زيدٍ. (٢) أي إنه إذا وجد مع الفعل مفعول به، ومصدر وظرف وجارٌ ومجرور جاز عند الكوفيين نيابة غير المفعول، سواء تقدم النائب عن المفعول به او تأخر، لقراءة ابي جعفر: «ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون» فيجزى: مبني للمفعول، و «بما» نائب فاعل مع تقدم المفعول به وهو «قوماً» عليه. وقوله:

وإنما يُرضي المنيبُ ربَّه ما دام معنياً بذكرٍ قلبَه

والشاهد نيابة الجارّ والمجرور مع وجود المفعول مؤخراً، وكقول رؤبة:

لم يُعن بالعلياء إلا سيدا ولا شفى ذا الغيّ إلا ذو هُدى

والمعنى: لا يهتمُّ بالمكارم إلا شريف النفس، ولا يبعد الضالّ عن ضلاله، وسيء خصاله، إلا من هداه الله، والشاهد: نيابة الجارّ والمجرور مع وجود المفعول به، وقد اجاب البصريون بأن البيتين ضرورةٌ. قال في شرح الجامع: والحقُّ أنه إن كان الغير أهمَّ في الكلام كان أولى بالنيابة من المفعول به، مثلاً إذا كان المقصود الأصليّ وقوعَ الضرب أمامَ الأمير أقيم ظرف المكان مقام الفاعل مع وجود المفعول به كما افاده السيد (ص ٤٢ ج ٢ حاشية الصبان).

مطلقاً (١) ، ولا ثاني أعطيت اذا كانت نكرة والأول معرفة (٢) .

فصل في الاسناد :

إذا كان المسند اليه ظاهراً ذات حر متصلاً ، مفرداً او مثنى يجب تأنيث المسند مفرداً (٣) ، واذا كان مذكراً ، مفرداً او مثنى ، فالتذكير ، وإلاّ فوجهان (٤)

(١) اي إن ما كان خبراً في الأصل ، لا ينوب فيه المفعول الثاني ولا الثالث ، سواء ألبس أم لا ، وسواء أكان جملة ام لا ، وسواء أكان نكرة والأول معرفة ام لا . (٢) وجهه ان النائب عن الفاعل مسند اليه كالفاعل ، والمعرفة احقُّ بالاسناد اليها من النكرة . (٣) نحو قوله تعالى : « إذ قالت امرأة عمران » فهنا أنّث المسند « قالت » لأن المسند اليه « امرأة عمران » ظاهر ، متصل بفعله ، حقيقي التأنيث ، وهو المراد بقوله (ذات حر) وأصل حر (حرح) بدليل تصغيره على (حريح) وجمعه على (أحراح) فحذفت لامه وهي الحاء اعتباطاً ، فبقي كَيَدٍ ودمٍ وهو بكسر الحاء (فرج المرأة) ، ولكن المراد هنا مطلق (الفرج) . ويا عجباً للمؤلف كيف اختار هذا اللفظ (ذات حر) الذي اضطرَّ اليه ابن مالكٍ في الفيته ، فقد يُغتفر في الشعر ما لا يُغتفر في غيره ، وقد كان في وسعه ان يقول (المؤنث الحقيقي)، ولعلّ مذهب الكوفيين اضطره الى(ذات حر) !.

(٤) التأنيث نحو : « كذبت قبلهم قومُ نوح » و « قالت الأعراب آمنا » واورقت الشجر ، والتذكير نحو : اورق الشجر ، « وكذب به قومُك » « وقال نسوة » وقام الرجال ، وجاء الهنودُ ، إلا أن سلامة نظم الواحد في جمعي التصحيح اوجبت التذكير في نحو : قام الزيدون ، والتأنيث في نحو : قامت الهنداتُ ، خلافاً للكوفيين فيهما ، فقد اجازوا في الفعل معهما التذكير والتأنيث ، واحتجوا بنحو : « إلا الذي آمنت به بنو اسرائيل » « إذ جاءك المؤمناتُ » وقوله :

نبكي بناتي شجوَهنَّ وزوجتي والناظرون إليَّ ثم تصدَّعوا —

ومكنى المذكر [1] المفرد فعل ، والمؤنث فعلت ، والمثنى المذكر فعلا ، والمؤنث فعلتا ، والجمع فعلوا وفعلت وفعلن .

فصل في التنازع [2]

إذا تنازع العاملان [3] ، في فاعل بعدهما ، نحو : جاء وقعد الزيدان ، قال الكسائي : هو فاعل الثاني ، وفاعل الأول محذوف [4] . وقال الفرّاء : هو فاعلهما [5] ، وقال الجمهور : هو فاعل الأول ، وفاعل الثاني تكنيه وجوباً ، وقد عُزي الى الفرّاء ايضاً فتقول : جاء وقعدا الزيدان ، واذا تنازعا في مفعول فكذلك . إلا ان غيرهما جوّزوا إعمال الثاني بحذف

--- والمعنى : ان بنات ذلك الشاعر وزوجته والمحبين اجتمعوا وبكوا حزناً وهماً ، ثم تفرقوا بعد ذلك . والشاهد تجريد (بكى) من علامة التأنيث ، مع ان الفاعل جمع مؤنث سالم ، فهو حجة للكوفيين (٢١١ ج ١ المنار على التوضيح) .

(١) اي ضميره كما هو ظاهر . (٢) التنازع لغة التجاذب ، واصطلاحاً : توجّه عاملين الى معمول واحد ، كل منها طالب له من جهة المعنى ، نحو قول المؤلف رحمه الله : جاء وقعد الزيدان ، فكل واحد من جاء وقعد يطلب « الزيدان » بالفاعلية . (٣) إذا تنازع العاملان جاز إعمال ايها شئت ، باتفاق من البصريين والكوفيين ، فقد سمع من العرب إعمال كل منهما ، فالخلاف الآتي في المختار منها لا في اصل الصحة . (٤) بناء على مذهبه في جواز حذف الفاعل في باب التنازع عند إعمال الثاني فراراً من الإضمار قبل الذكر .

(٥) توجيهاً للعاملين الى الاسم الظاهر ، وبناء على منع الإضمار في الأول عند إعمال الثاني .

مفعول الأول [١] نحو : ضربت وأكرمت زيداً ، او بكنايته مؤخراً ، نحو ضربت وأكرمت زيداً إياه ، وبذكره إذا كان ضرورياً [٢] نحو : علمتني قائماً ، وعلمت زيداً قائماً .

ويجوز حذفه أيضاً ، تقول : علمتك وعلمتني قائماً [٣] ، وقس عليه اذا تنازعا في شيء يطلبه أحدهما فاعلاً ، والثاني مفعولاً ، الا أنه لا سبيل الى اهمالها هنا . فيجب إعمال الأول عند الفراء [٤] . وأما مبنى الاختلاف فانهم منعوا الكناية قبل التصريح لفظاً ورتبة [٥] ولم يجوز غير الكسائي حذف الفاعل [٦]

(١) وافق البصريون ههنا الكسائي في حذف المفعول لأنه فضلة يحذف في السعة ، ولأنه يلزم على ذكره التكنية قبل التصريح (الاضمار قبل الذكر) . وعود الكناية على متأخر لفظاً ومعنى وحكماً ، ولا ضرورة اليه فترتكب مخالفة القياس .

(٢) يعني ان لم تستغن عن المفعول أظهرته ، ليؤمن حذف ما لا يجوز حذفه .

(٣) إنما جاز حذفه عند الكوفيين لأنه مدلول عليه بثاني مفعولي الفعل الآخر ، قال الأشموني : وأما الحذف فمنعه البصريون ، وأجازه الكوفيون لأنه مدلول عليه بالمفسر ، وهو أقوى المذاهب ، لسلامته من الاضمار قبل الذكر ومن الفصل .

(٤) الفراء يقول : ان استوى العاملان في طلب المرفوع ، فالعمل لهما ولا اضمار ، لأنهما كالعامل الواحد ، فأخواك في نحو : قام وقعد أخواك ، فاعل لقام وقعد ، فهو فاعل لفعلين عنده ، وان اختلفا ، وكان أولهما يطلب مرفوعاً أضمرته مؤخراً ، فراراً من حذف الفاعل ، ومن الاضمار قبل الذكر فتقول : أكرمني وأكرمت زيداً هو .

(٥) أي لأنه قبيح .

(٦) أي اذا دل عليه دليل ، فاذا قلت : اجتهد فسرني يسار ، وجعلت يساراً فاعلاً لسر ، كان فاعل (اجتهد) على رأي الكسائي محذوفاً لدلالة ما بعده عليه ، وعلى رأي سيبويه والجمهور ضميراً مستتراً يعود اليه ؛ لأن عود الضمير على المتأخر أهون من حذف الفاعل وهو عمدة ، ولكل وجهة ، ولكلا المذهبين شواهد تراجع في شروح الألفية وحواشيها عند قول ابن مالك : وأعمل المهمل في ضمير ما تنازعاه والتزم ما التزما

ولم يجوز إعمال الثاني الفراء [١] .

المبتدأ والخبر

المبتدأ ذو الخبر : ما أسند اليه مؤخر ، او مقدم ، لا يعمل فيه ، عارياً عن النواسخ ، وهو هو ، نحو : زيد قائم ، وانسان عمرو ، وقائم أنت [٢] . وعامله الخبر عند الشيخين [٣] . العائد من الخبر عند الجمهور . ولا يجوز الابتداء بالنكرة ، ما لم تفد [٤] ، ويجب تقديمه اذا كانا متساويين نحو : هذا زيد ، وأفضل منك

(١) أي لأنه اذا أعمل الثاني أدى ذلك الى الاضمار قبل الذكر (الكناية قبل التصريح) وهو ممنوع عندهم كما تقدم . (٢) هذه الأمثلة مرتبة على تعريف المبتدأ وعائدة اليه ، ففي المثال الأول اسند اليه مؤخر وهو « قائم » ، وفي الثاني مقدم وهو « انسان » وفي الثالث لفظ « أنت » يرتفع بالضمير العائد اليه من الخبر « قائم » لا بالخبر ، وهو معنى قوله : « لا يعمل فيه » وقوله : عارياً عن النواسخ ، اي نواسخ المبتدأ ، وهي كان ، وإنّ ، وظنّ ، وأخواتها ، وما ، ولا ، وقوله « وهو هو » اي ان الخبر هو المبتدأ في المعنى ، او هو وصف المبتدأ ، والوصف في المعنى هو الموصوف ، ألا ترى انك اذا قلت « زيد عالم » كان « عالم » في المعنى وصفاً لزيد ، وهو « زيد » متصفاً بالعلم ؟ (٣) هما إماما الكوفة الكسائي والفرّاء ، وقد تقدم ذكرهما ، وكأن عامله الخبر عندهما ، فعامل الخبر هو المبتدأ ، اي فهما يترافعان ، وهو مذهب الكوفيين كما ترى في انصاف الأنباري وغيره .

(٤) أي لأنها مجهولة ، والحكم على المجهول لا يفيد غالباً ويسوغ ان حصلت به فائدة ، كأن يخبر عنها بمختص مقدم ظرف او مجرور ، نحو : « ولدينا مزيد » ، « وعلى أبصارهم غشاوة » فالذي سوغ الابتداء بغشاوة ومزيد في الآية قبله الإخبار عنها بظرف ومجرور مختصين باضافتها لما يصلح للابتداء ، وقد قال ابن مالك رحمه الله :

ولا يجوز الابتدا بالنكرة ما لم تفد كعند زيد نمرة

ولم يشترط سيبويه والمتقدمون لجواز الابتداء بالنكرة الا حصول الفائدة ، —

افضل مني (١) او كان المبتدأ مما له الصدر نحو: من ابوك ؟ (٢) او كان خبره مما لو قدّم لعمل فيه نحو: زيد قام (٣)، بخلاف: قاما الزيدان (٤)، او كان خبره محصوراً نحو: ما زيد الا قائم (٥)، وقد يحذف (٦) ويجب في نعت مقطوع: نحو الحمد لله الحميدُ، ومصدرٍ ناب عن فعله، نحو: سمع وطاعة (٧) وكل خبر

--- ورأى المتأخرون أنه ليس كل أحد يهتدي الى مواضع الفائدة فتتبعوها، فمن مُقلّ مخل، ومن مكثر مورد ما لا يصح، او معدّد لأمور متداخلة. قال الأشموني: والذي يظهر انحصار مقصود ما ذكروه في الذي سيذكر، وذلك خمسة عشر أمراً، وعدّدها. (١) اي يجب تقديم المبتدأ اذا استوى مع الخبر تعريفاً وتنكيراً كما ترى في المثالين، فلو قدمت «زيداً» في الأول لكان مبتدأ، وأنت تريده خبراً، وكذا في المثال الثاني. (٢) فانّ «مَن» الاستفهامية لها الصدارة، ومثلها «مَن» الشرطية و«ما» التعجبية، و«كم» الخبرية، وهي مبتدآت نحو «من يعدل يفلح» و«ما أحسن الفضيلةَ ؟» و«كم شغفٍ بحب الخير رأيت» اي كثيراً. (٣) فلا يجوز تقديم الفعل على أنه خبر. (٤) أي فإنه جائز، لأنّ (قاما) ليس عاملاً في (الزيدان) بل هو عامل في الضمير البارز.

(٥) فقائم وهو الخبر محصور بإلا. وقد اقتصر المؤلف على هذه الوجوه من وجوب تقديم المبتدأ، ونحن قد راعينا هذا الايجاز فلم نزد عليه.

وقال الإمام الأنباري (المتوفى سنة ٥٧٧) ذهب الكوفيون الى انه لا يجوز تقديم خبر المبتدأ عليه، مفرداً كان او جملة. اي خلافاً للبصريين، واورد حُجج كل من القولين على عادته، ورجح قول البصريين، ونحن لم نخرج عن غرض المؤلف من رسالته هذه، وهو حصرها في المذهب الكوفي من دون تطويل ولا ترجيح.

(٦) اي المبتدأ اذا عرف: قال ابن مالك: وفي جواب كيف زيد قل دَنِف فزيد استُغني عنه اذ عُرف. (٧) اصله مصدر منصوب بفعل محذوف وجوباً، من المصادر التي جيء بها بدلاً من افعالها لكنهم قصدوا به الثبوت والدوام فرفعوه وجعل خبراً عن مبتدأ محذوف وجوباً حملاً للرفع على النصب، اي امري سمع وطاعة.

لا بد فيه من عائد الى المبتدأ [١] وقد يتعدد [٢] ويكون جملة ، ويدخله الفاء [٣] . ويحذف ، ويجب في نحو : ضربي زيداً قائماً اي ما هو سد مسده الحال [٤] ، ومثله: لعمرك لأفعلن [٥] ، وقد يترك مستغنى عنه ، إذا ظهر المراد ، نحو : كل رجل

---

(١) ذهب الكوفيون الى أن خبر المبتدأ يتضمن ضميراً يرجع الى المبتدأ ، وان كان اسماً غير صفة (اي جامداً) لأنه في معنى ما هو صفة ، نحو : زيد اخوك ، وعمرو غلامك ، فهو في معنى زيد قريبك وعمرو خادمك ، فلما كان خبر المبتدأ هينا في معنى ما يتحمل الضمير وجب ان يكون فيه ضمير يعود الى المبتدأ ، واجمعوا ـ بصريين وكوفيين ـ على انه يتضمن الضمير اذا كان صفة نحو : زيد فاضل ، وعمرو حسن . (٢) قال ابن مالك في آخر بحث المبتدأ :

وأخبروا باثنين او باكثرا عن واحد كَهُم سَراة شُعَرا

وفي التنزيل : « وهو الغفور الودودُ ذو العرش المجيدُ » . (٣) نحو : الذي يجتهد فله جائزة ، فالمبتدأ هنا : اسم موصول ، مشبه باسم الشرط في عمومه ، واستقبال الفعل الذي بعده ، وكونه سبباً لما بعده ، فهو في قوة ان تقول : « من يجتهد فله جائزة » . ولهذا اذخلت الفاء في الخبر كما تدخل في جواب الشرط .

(٤) في شرح الرضي على الكافية (ج ١ ص ٩٤) : وذهب الكوفيون الى ان نحو : قائماً ، حال من معمول المصدر لفظاً ومعنى ، والعامل فيه المصدر الذي هو مبتدأ ، وخبر المبتدأ مقدّر بعد الحال وجوباً ، اي : ضربي زيداً قائماً ـ حاصل ، ولا يصح وقوع هذه الحال خبراً ، لأن الخبر وصف للمبتدأ في المعنى كما مر ، ولا يوصف الضرب بالقيام . وللنجم الرضي بيان وتعليل لفساد مذهبهم في هذه المسألة (ص ٩٥) وليس من شأننا تسجيل المناقشات في هذه التعليقات .

(٥) اي لعمرك قسمي ، فان المبتدأ صريح في القسم ، وجواب القسم ساد مسد القسم المحذوف .

وضيعته (١)، ولا يقدم على المبتدأ إذا كان مصدراً بـ «إنّ» او «أن» او «كأنّ» او «لكنّ» او «ليت» او «لعلّ» النواصب (٢) وكثر حذفه بعد «لا» التبرئة، ويجب في لغة تميم (٣) وقد يدخله الباء بعد «ما» و «لا» و «هل» (٤) فينصب

---

(١) اي مع ضيعته، والضيعة في اللغة العقار، وهو ههنا كناية عن الصنعة قال الكوفيون: وضيعته، خبر المبتدأ، لأن الواو بمعنى مع، فكأنك قلت: كل رجل مع ضيعته، فاذا صرحت بمع، لم تحتج الى تقدير الخبر، فكذا مع الواو التي بمعناه، فلا يكون هذا المثال إذاً، مما نحن فيه، اي مما حذف خبره.

(٢) اي لأن هذه الحروف فروع على الفعل في العمل، فأريد ان يكون عملها فرعياً أيضاً، والعمل الفرعي للفعل أن يتقدم المنصوب على المرفوع، والأصلي ان يتقدم المرفوع على المنصوب، فلما اعملت العمل لفرعيتها، لم تتصرف في معموليها بتقديم ثانيهما على الأول كما تصرف في معمولي الفعل، لنقصانها عن درجة الفعل.

(٣) أي كثر حذف المسند الذي هو خبر «لا» التي لنفي الجنس، أو(لا) التبرئة (تسمى: لام التبرئة ـ لتبرئة المتكلم وتنزيهه الجنس عن الخبر ـ والنافية للجنس) بعد دخولها، وفي شرح الكافية: ويحذف كثيراً، وبنو تميم لا يثبتونه، ثم قال بعد بحث في الموضوع: فعلى هذا القول يجب اثباته (اي خبر لا) مع عدم القرينة عند بني تميم وغيرهم، ومع وجودها يكثر الحذف عند اهل الحجاز، ويجب عند بني تميم، وفي الشرح أيضاً: ووجه مشابهة لا التبرئة (لإنّ) أن (لا)للمبالغة في النفي ـ اي لكونها لنفي الجنس ـ كما أنّ (إنّ) للمبالغة في الإثبات، وقيل حملت عليها حمل النقيض على النقيض (ج ١ ص ١٠٠) طبعة الدار العلية سنة ١٢٧٥

(٤) نحو: ما زيد بحاضر، ولا رجل بأفضل منك، وقيل بلا التبرئة أيضاً نحو: لا خير بخير بعده النار، والأولى أنها بمعنى (في) وهل زيد بقائم.

بنزعه بعد ما كثيراً وبعد غيره شاذاً [١] وقد يدخل اللام في الخبر بعد إن غالباً ، اذا كان مضارعاً اتفاقاً [٢] او ماضياً ، خلافاً للشيخ وهشام [٣] وورد بعد لكن [٤].

المبتدأ الموافق ذو الفاعل : هو شبه فعل [٥] اسند الى فاعله الظاهر ، ترافعا [٦] ، وحكمها حكم الفعل مع فاعله [٧] ويدخل عليه إن وأخواتها ، تقول . إن قائماً

(١) ذهب الكوفيون الى أنّ (ما) في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر ، وهو منصوب بحذف حرف الخفض ، فاذا حذف حرف الخفض من قولك ما زيد بقائم ، وجب أن ينصب لفظ « قائم » بنزع الخافض ، فنقول : « مازيد قائماً »

(٢) منه قوله تعالى : « وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة » « إني ليحزنني أن تذهبوا به » . (٣) اما الشيخ فالكسائي واما هشام فهو ابو عبد الله بن معاوية الضرير ، النحوي الكوفي المتوفى سنة ٢٠٩ هـ وفي المغني لابن هشام : « الثالث : الماضي المنصرّف المجرّد من (قد) أجازه الكسائي وهشام على إضمار قد ، ومنعه الجمهور ، وقالوا : انما هذه لام القسم ، فمتى تقدم فعل القلب فتحت همزة إنّ : كعلمت ان زيداً لقام ، والصواب عندهما الكسر (ج ١ ص ١٧٥) فمن حق المؤلف أن يقول ... او ماضياً وفاقاً للشيخ وهشام . (٤) في المغني (٢٠٨/١) : ولا تدخل اللام في خبرها خلافاً للكوفيين ، احتجوا بقوله : ولكنني من حبها لعميد « ولا يعرف له تتمة ولا قائل ولا نظير ، ثم هو محمول على زيادة اللام »

(٥) المراد بشبه الفعل : اسم الفاعل ، واسم المفعول ، والصفة المشبهة ، واسم التفضيل ، والمنسوب . (٦) قال ابن هشام في اوضح المسالك : وارتفاع الخبر بالمبتدأ ، لا بالابتداء ، ولا بهما ، وعن الكوفيين أنهما ترافعا . (٧) قال الرضي في شرح الكافية : الكوفيون جوزوا رفع الصفة للظاهر على أنه فاعل لها من غير اعتماد على الاستفهام أو النفي نحو : قائم الزيدان ، كما يجيزون نحو : في الدار زيدان بعمل الظرف بلا اعتماد .

زيد ، وإن قائماً الزيدان [١] .

المنصوبات

المبتدأ المخالف : فهو محل [٢] ، او جار مع المجرور ، أسند الى فاعل عامله الخلاف ، نحو : عندك زيد ، وحكمه حكم الفعل مع فاعله [٣] .

الخبر المخالف : فهو محل ، او جار مع المجرور ايضاً ، اسند الى المبتدأ ، نحو : زيد عندك ، وعامله الخلاف أيضاً [٤] .

---

(١) وقال الرضي أيضاً : ويجوز عند الأخفش والفراء : إن قائماً الزيدان ، وسوغ الكوفيون هذا الاستعمال في (ظن) أيضاً ، نحو : ظننت قائماً الزيدان . وردّ الرضي هذا القول ببيان وتعليل ، ونحن ليس من غرضنا أن ننقض المذهب الكوفي بغيره ، فنثبت ما قاله الرضي ، ولا ان نرجح قولاً على قول ، وإنما القصد ايضاح ما تضمنته هذه الرسالة من المذهب الكوفي فحسب . (٢) المحل : هو الظرف . (٣) اي في كونه : عاملاً في الاسم الذي بعده ، فيوجبون ارتفاع زيد ، في نحو «عندك زيد» على الفاعلية للظرف (اي المحل) لتضمنه معنى الفعل ، كما قالوا في نحو : قائم زيد ، وإنما قال الكوفيون ذلك لاعتقادهم ان الخبر لا يتقدم على المبتدأ ، مفرداً كان او جملة ، وبقية البحث تأتي في التعليقة التالية . (٤) في شرح الرضي على الكافية (ج ١ ص ٨٣) : وانتصاب الظرف خبراً للمبتدأ عند الكوفيين على الخلاف ، يعنون أن الخبر لما كان هو المبتدأ في نحو زيد قائم ، او كأنه هو في نحو : وازواجه أمهاتهم ، ارتفع ارتفاعه . ولما كان مخالفاً له ـ بحيث لا يطلق اسم الخبر على المبتدأ ، فلا يقال في نحو زيد عندك : إن زيداً عنده (اي لأن الخبر هنا ، ليس هو المبتدأ في المعنى كما هو ظاهر ـ خالفه في الاعراب ، فيكون العامل عندهم معنوياً ، وهو معنى المخالفة التي اتصف بها الخبر ، ولا يحتاج عندهم الى تقدير شيء ، يتعلق به الخبر . واما البصريون فقالوا : لا بد للظرف من محذوف يتعلق به لفظي ، إذ مخالفة الشيء للشيء لا توجب نصبه .

النعت المخالف[1] : فهو محل ، او جار مع المجرور يبين وصف نكرة ، نحو : رجل من الكرام عندنا ، ولا يتقدم على المنعوت .

المصدر[2] : اسم ما فعله الفاعل ، أكد به الفعل ، أو بيّن عدده ، او نوعه ، او علته[3] : ضربته ضرباً ، او ضربتين ، او ضربات[4] ، او تأديباً ، ويرد معرّفاً باللام ، نحو : ضربته الضرب[5] ، وقوله :

لا أقعد الجبن عن الهيجاء ولو توالت زمر الأعداء[6]

(١) راجع ما أثرناه عن شرح الرضي في بحث « الخبر المخالف » . (٢) هو المصدر الفضلة المؤكد لعامله او المبين لنوعه او عدده ، وهو مفعول الفاعل حقيقة ، وفي الأشموني : والمفعول المطلق لا يكون إلا مصدراً ، نظراً الى أن ما يقوم مقامه مما يدل عليه خلف عنه في ذلك ، وأنه الأصل . (٣) لأن المصدر يشعر بالعلية ، كما في قوله : ضربته تأديباً ، وفي الرضي : أن ما يسميه النحاة مفعولاً له ، هو المفعول المطلق لبيان النوع ، عند الزجاج كما في : ضربته تأديباً ، فان مآله مماثل اضربته ضرباً . راجع تعليله (١/١٢٥) . (٤) المصدر المؤكد لا يثنى ولا يجمع باتفاق ، فلا يقال : ضربين ولا ضروباً ، لأنه مقصود به الجنس من حيث هو كماء وعسل ، ولأنه بمنزلة تكرار الفعل ، والفعل لا يثنى ولا يجمع ، والمختوم بتاء الوحدة كضربة ، بعكسه باتفاق فيقال : ضربتين وضربات ، لأنه كتمرة وكلمة . (٥) في شرح الكافية للرضي : او معرفاً بلام العهد كما اذا أشرت الى ضرب معهود شديد او خفيف او غير ذلك ، فتقول : ضربته الضرب .

(٦) الشاهد في ورود المصدر معرفاً باللام ، بقوله : لا أقعد « الجبن » عن الهيجاء ، والجبن هو الفزع وضعف القلب ، والهيجاء هي الحرب ، والشاعر يقول : مهما تتابعت وتكاثرت زمر الأعداء ، فانا لا أكف ولا أجبن عند اللقاء . قلت : وهذا هو خلق العروبة في جاهليتها وفي اسلامها ، فهل سلبت هذه الأمة أفضل مزاياها ؟ وهل استخذت أمام عدوها في أرض الميعاد ، والعرب لا تستخذي ! . . . —

ولا يتقدم التوكيد على الفعل ، وقد يؤكد به مضمون جملة ، وعاملهُ الفعلُ المدلولُ عليه بالجملة : له عليَّ الف درهم اعترافاً [١] . ويجب إفراد التوكيد والعلة [٢] وقد ينوب عنه غيره ، كضربته سوطاً ، وعمل صالحاً ، وهنيئاً مريئاً [٣] .

وعامل المفاعيل ، الفعل او شبهه عند الجمهور ، فاعل عند هشام ، الفعل مع

— أم هي مجيبة بقول الآخر :

وما إنْ طِبنا جبن ولكن   منايانا ودولة آخرينا

والطب ههنا بمعنى العلة والسبب ، والدولة بالفتح الغلبة في الحرب ، وبالضم تكون في المال ، ودالت الأيام تدول ، كدارت تدور ، وزناً ومعنى ، ولعل الأيام اذا دارت كرة اخرى ، تستعيد هذه الأمة سيرتها الأولى فيكون لها الفوز المبين ، وتحافظ على هذا التراث العظيم ان شاء الله . (١) يعني يكون المصدر مضموناً لجملة ، لا تحتمل تلك الجملة من جميع المصادر إلا ذاك المصدر ، ولهذا قيل ان المصدر الظاهر يؤكد نفسه ، « فاعترافاً » في « له عليّ الف درهم اعترافاً » يؤكد الاعتراف الذي تضمنته الجملة المذكورة ، كما أن المصدر مؤكد لنفسه في نحو ضربت ضرباً ، إلا أن المؤكد ههنا ، مضمون المفرد ، أي الفعل من دون الفاعل ، لأن الفعل وحده يدل على الضرب والزمان ، وأما في مسألتنا ، (فالاعتراف) مضمون الجملة الاسمية بكمالها ، لا مضمون أحد جزئيها ، أي فالمصدر بمنزلة اعادة الجملة . (انظر شرح الرضي ج ١ ص ١١١) . (٢) تقدم بيانه في أول بحث المصدر . (٣) عد الأشموني ما ينوب عن المصدر المبين للنوع ، فبلغ ثلاثة عشر شيئاً ، منها : آلته وصفته ، كما هنا ، وقد تكون الصفة النائبة عن المصدر دعاءً مكرراً كقول كثيّر عزّة :

هنيئاً مريئاً غير داءٍ مخامرٍ   لعزة من أعراضنا ما استحلت

الفاعل عند الفرّاء [١] وقد يحذف الفعل العامل [٢]، ويجب في نحو: حمداً له [٣] وسبحانه ولبيك وفي مثبت بعد نفي، أو معناه، داخل على ما لا يكون خبراً، إلا مجازاً، كـ: ما أنت إلا سيراً، وانما انت سيراً، او مكرر بعده، كما أنت سيراً سيراً [٤].

(١) عبارة المحقق الرضي: وأما ناصب المفعول: فالفعل عند البصريين، او شبهه، بناء على أنه به يتقوم المعنى المقتضي للرفع، أي الفاعلية، والمعنى المقتضي للنصب، اي المفعولية، وقال الفراء: هو الفعل والفاعل، وقال: هشام بن معاوية من الكوفيين: هو الفاعل، وقد ذكرنا في حدّ العامل: أن هذين القولين أولى بناء على أن الاصب علامة الفضلة لا علامة المفعولية (١/١١٦).

وقال في الإنصاف مقرراً حجة الكوفيين: ولما كان الفعل والفاعل بمنزلة الشيء الواحد، وكان المفعول لا يقع إلا بعدهما، دلَّ على أنه منصوب بهما، وصار هذا كما قلتم في الابتداء والمبتدأ، إنهما يعملان في الخبر، لأنه لا يقع إلا بعدهما (١/٥٦ و ٥٨). (٢) كقولك لمن قدم من سفر: قدوماً مباركاً، فقدوماً مصدر محذوف العامل لدليل حالي وهو المشاهدة، والأصل: قدمت قدوماً.

(٣) اي من المصادر المسموعة التي كثر استعمالها، ودلت القرائن على عاملها، كقولهم عند تذكر نعمة وشدة: حمداً وشكراً لا كفراً، وسبحان الله، ولبيك، والتقدير: أحمد الله حمداً ... الخ. (٤) هذا مصدر يجب حذف فعله باجتماع شيئين: (أحدهما) ان يكون ناصبه خبراً عن شيء، لو جعلت هذا المصدر خبراً عنه لم يكن الا مجازاً، لكونه صاحب ذلك المصدر. والثاني ان يكون المصدر مكرراً، او بعد «الا» او معناها، نحو: ما أنت الا سيراً، وانما أنت سيراً، وما أنت سيراً سيراً». وانما وجب حذف الفعل لأن المقصود من مثل هذا الحصر او التكرير وصف الشيء بدوام حصول الفعل منه ولزومه له، فلما كان المراد التنصيص على الدوام واللزوم، لم يستعمل العامل أصلاً، لكونه إما فعلاً —

ومما أكد مضمون جملة نحو: أنت قائم حقاً، أو فصّل أثره نحو: «فشُدُّوا الوثاق، فإما منًّا بعدُ، وإما فداء»[1] او شبه به علاجاً بعد جملة تضمنت صاحبه، واسماً بمعناه كله[2]: صوت صوتَك.

— وهو موضوع على التجدد، او اسم فاعل وهو مع العمل كالفعل بمشابهته، فصار العامل لازم الحذف، فإن أرادوا زيادة المبالغة في الدوام جعلوا المصدر نفسه خبراً عنه، قال:

عجب لتلك قضيتي وإقامتي فيكم على تلك القضية أعجب

قال سيبويه: سمعنا بعض من يوثق به، وقد قيل له: كيف أصبحت؟ قال: حمد لله وثناء عليه، ومنه: سلام عليك.

(١) يعني بمضمون الجملة مصدرها مضافاً الى الفاعل او المفعول، فمضمون «فشدوا الوثاق» شدُّ الوثاق، ويعني بأثر ذلك المضمون: فائدته ومقصوده، وغرضه المطلوب منه، كالأثر الذي يكون بعد المؤثر، ويعني بتفصيل ذلك الأثر، بيان أنواعه المحتملة، فقوله: «فشدوا الوثاق» جملة تتضمن شد الوثاق، والمطلوب من شد الوثاق هو ما جاء في قوله: «فإما منًّا بعد وإما فداء» فمنًّا وفداء، ذكرا تفصيلاً لعاقبة الأمر بشد الوثاق، والتقدير: فإما أن تمنوا منًّا، وإما أن تفادوا فداءً، ويشير بالنظم الى هذا بقوله:

وما لتفصيل «فإما منًّا» عامله يحذف حيث عنَّا

أي حيث عرض، (وانظر شرح الرضي أيضاً ج ١ ص ١٠٨ و ١٠٩).

(٢) المثال التام الذي أوردوه لهذه المسألة: مررت بزيد فاذا له صوت صوتَ حمار، وصراخ صراخَ الثكلى» يعني أن قوله: صوتَ حمار: مصدر، فائدته التشبيه، اذ المعنى، مثل صوت الحمار. فالمصدر هنا فعل علاجيٌّ، أي يحتاج في احداثه الى علاج بتحريك عضو — [بخلاف: له ذكاء ذكاء الحكماء فهو معنوي لا علاجي] — واقع بعد جملة وهي (له صوت) وهذه الجملة مشتمله على اسم بمعنى —

المفعول به

المفعول به : ما وقع عليه الفعل المتعدي ، أو تعلق به ، وهو جارٌ مع المجرور ، نحو ضربت زيداً ، ومررت بعمرو ، وهو صريح وغير صريح . وقد يتقدم على عامله ، وقد يحذف منوياً ومنسياً ، نحو يعطي ويمنع [١] ويحذف عامله نحو : كلّمته فاه الى فيَّ ، (أي جاعلاً) ويجب في نحو : أهلاً وسهلاً ، وفيما حذر بتقدير : اتق ، نحو اياك وزيداً ، أو من زيد ، والأسدَ الأسد [٢] أو اختص بتقدير : (أخصُّ) نحو : نحن العربَ» لفعله ، أو نعت قطع بتقدير : (امدح) نحو : الحمد لله الحميدَ ، أو اغرى به مكرراً نحو أخاك أخاك [٣] .

وقد يعمل الفعل في مكنيٍّ ، او مضاف اليه ومرجعه ، ولا يشتغل باحدهما عن الآخر ، نحو زيداً ضربته [٤] وعمراً حبست غلامه [٥] .

المفعول فيه

المفعول فيه : ـ وهو المسمى حالاً وصفة ـ ما فيه الفعل من زمان أو مكان

ـ هذا المصدر المنصوب ، وهو المبتدأ المرفوع ، وهي مشتملة أيضاً على صاحب ذلك الاسم ، اي الذي قام به ذلك الحدث ، وهو الضمير المجرور باللام في مسألتنا «له صوت» .

(١) المنويّ كقوله تعالى : «يؤتي الحكمة من يشاء» أي يشاؤه . وغير المنويّ ، اما لتضمين الفعل معنى اللازم كقوله : «فليحذر الذين يخالفون عن أمره» اي يعدلون ، وإما للمبالغة بترك التقييد نحو : يعطي ويمنع ، وكقوله : «والله يقبض ويبسط» .

(٢) انما وجب الحذف ليتنبّه السامع بسرعة ، ويبتعد عن الهلاك .

(٣) أو معطوفاً نحو : المروءة والنجدة .

(٤ و ٥) وذلك لأن المكنّى في المثالين ـ الذي هو الهاء العائد ـ هو الأول في المعنى (اي زيداً وعمراً) فينبغي ان يكون منصوباً به (اي بالفعل المذكور)

مبهم[1] ، وينوب عنه ما دلّ عليه . نحو : جاء زيد وحده ، أي زمان انفراده ؛ وحكمه حكم المفعول به [2] ، ومنه : جئت وزيداً ، الواو : اسم بمعنى مع ،

---

(١) وشرط نصبه تقدير (في) وظروف الزمان كلها تقبل ذلك . وظرف المكان ان كان مبهماً قبل ، والاّ ، فلا . وفُسر « المبهم » أي غير المحصور من المكان ـ بالجهات الست ، والمقادير كالميل والفرسخ والبريد ، وحمل عليه : عند ولدَى وبين وإزاء ، وما هو بمعناها . « وغير المبهم » من المكان ـ وهو المختص (والمراد بالمختص هنا ماله صورة ، وحدود محصورة) نحو الدار ، والمسجد ، والبلد ، فانها أعلام باعتبار عين تلك الأماكن . ومثل : بلد ، وسوق ، ودار ، فإنها أسماء لتلك المواضع ، بسبب أشياء داخلة فيها ، كالدور في البلد ، والدكاكين في السوق ، والبيت في الدار .

« والمبهم من الزمان » هو الذي لا حدّ له يحصره كحين وزمان . (والموقت منه) ماله نهاية تحصره كيوم وليلة وشهر ، ويوم الجمعة ، وشهر رمضان .

واعلم أنه انما نصب الفعل جميع أنواع الزمان ، لأنّ بعضَ الأزمنة ـ اعني الأزمنة الثلاثة : مدلوله ـ فطرد النصب في مدلوله وفي غيره ، وأما المكان ، فلما لم يكن لفظ الفعل دالاً على شيء منه ، بل دلالته عليه عقلية ، لا لفظية ، ـ لأنّ كلّ فعل لا بدّ له من مكان ، ـ نصب من المكان ما شابه الزمان الذي هو مدلول الفعل ـ أي الأزمنة الثلاثة ـ وهو غير المختص ، ومنه المقادير على رأي الجمهور ، ووجه المشابهة : التغير والتبدّل في نوعي المكان ، كما في الامثلة الثلاثة . (انظر بحث المفعول فيه ، للرضي على الكافية ، وشروح الألفية) .

(٢) في الكافية وشرحها : « وينتصب ـ أي المفعول فيه ـ بعامل مضمر ، وعلى شريطة التفسير » اعلم أن انتصابه بعامل مضمر ، اما أن يكون بعامل جائز الاظهار ـ أو بممتنعه كما في المفعول به ، اذ هو هو اهـ . وقد تقدم بحث المفعول به مع عامله فراجعه .

مفعول فيه ، انتقل اعرابه الى ما بعده كالضارب ، وقيل هو منصوب بالخلاف[١] .

الحال[٢]

الحال : ما يبين هيئة الفاعل ، أو المفعول ، أو المجرور[٣] نحو :

ما للجمال مشيها وئيدا أجندلاً يحملن أم حديدا ؟[٤]

ولا يكون إلاَّ صفة[٥] ، أو بمعناه[٦] . ولا يكون مصدراً ، وفي نحو :

(١) أي مخالفة ما بعد الواو لما قبله ، فالناصب على هذا معنوي ، وأشار هنا الى ضعفه . (٢) يذكر ويؤنث ، والأفصح في لفظه التذكير ، بأن يجرد من التاء ، وفي ضميره ووصفه التأنيث . (٣) أي ما يبين هيئة الصاحب وصفته وقت وقوع الفعل نحو: رجع الجند ظافراً ، وأدب ولدك صغيراً ، ومررت بهند راكبة .

(٤) تقدم ذكر هذا البيت شاهداً في بحث (المرفوعات) على كون «مشيها» فاعلا مقدما (لوئيدا) الواقع حالا ، ووجه تمسكهم بالبيت أن «مشيها» ورد مرفوعا ، ولا يجوز أن يكون مبتدأ ، لأنه لا خبر له ، فتعين أن يكون فاعلا . وأورده هنا دليلاً على كون «وئيدا» حالاً من «الجمال» المجرور ، ويلزم على هذا الوجه جواز تقديم الفاعل على عامله ، والتباس الفاعل بالمبتدأ . وينسب هذا الشاهد الى الزّباء بنت عمرو بن المضرب وقد تقدم ذكرها في مبحث الفاعل فراجعه .

(٥) المراد بالصفة ما دلَّ على معنى وذات متصفة ، كاسم الفاعل ، والمفعول ، والصفة المشبهة ، وأمثلة المبالغة ، وأفعل التفضيل . (٦) أي بمعنى الوصف ، ولا شكَّ أن الأغلب في الحال والوصف : الاشتقاق ، لكنهم يجعلون الشيء المشتهر في معنى من المعاني كالصفة المقيدة لذلك المعنى نحو قولهم ، لكل فرعون موسى (بمصر فعيا) أي لكل جبار قهار ، (ومنها) «الحال» في قول بعض أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، في بعض أيام صفين :

فما بالنا أمسِ أسدَ العرين وما بالنا اليوم شاءَ النجَف

فيؤول المنصوب (أسدَ وشاء) بما يصح أن يكون هيئة لما تقدم ، أي ما بالنا أمس شجعاناً ، واليوم ضعافاً ؟

جاءني زيد ركضا ، يقدر : يركض [1] . ولا جامدا [2] ، ولا يكون معرفة [3] إلا اذا كان صاحبه فاعل النواقص [4] ، أو تضمنت معنى الشرط ، نحو :

(١) أي لأن « الركض » مصدر وزيد ذات ، والمصدر يباين الذات ، فركضا منصوب على المصدرية ، والعامل فيه محذوف تقديره : يركض ، والجملة في محل نصب حال من المكنّى في جاء . (٢) شرط جمهور النحاة اشتقاق الحال ، وان كان جامداً تكلفوا ردّه بالتأويل الى المشتق ، (قالوا) لأنها في المعنى صفة ، والصفة مشتقة أوفي معنى المشتق ، فقالوا في نحو « هذا بسراً ، أطيب منه رُطباً » : هذا مبتسرا ، اطيب منه مرطبا ، أي كائنا بسرا ، وكائناً رُطباً . و « هذه ناقةُ الله لكم آيةً » أي دالةً . وفي الكافية : وكل ما دلّ على هيئة صحّ أن يقع حالا ، وهذا الحدّ يعم الجامد والمشتق ، ووافقه فيه المحقق الرضي ، معللاً بان الحال هو المبين للهيئة ، وكل ما قام بهذه الفائدة فقد حصل فيه المطلوب من الحال ، فلا يتكلف تأويله بالمشتق . قلت : والظاهر ما قالوه ، ولكني في هذه الرسالة ناقل للمذهب الكوفي ومبين له ، غير قائل فيه شيئاً لما بيناه من قبل .

(٣) لأن الغالب تعريف صاحبها ، فلو عرفت مع كونها مشتقة لتوهم أنها نعت عند نصب صاحبها ، وحمل غيره عليه . (٤) ذهب الكوفيون الى أنّ خبر « كان » والمفعول الثاني « لظننت » نصبٌ على الحال ، وذهب البصريون الى أن نصبها نصب المفعول ، لا على الحال .

ومما احتجّ به الكوفيون لمذهبهم أنّ « كان » فعل غير واقع ، أي غير متعدّ ، واذا لم يكن متعديا وجب أن يكون منصوباً ، نصب الحال ، لا نصبَ المفعول ، فانا ما وجدنا فعلاً ينصب مفعولاً هو الفاعل في المعنى إلا الحال ، فكان حمله عليه أولى ، ولأنه يحسن أن يقال فيه « كان زيد في حالة كذا » وكذلك يحسن أيضاً في « ظننت زيداً قائماً » : ظننت زيداً في حالة كذا ، فدلّ على أنه نصب على الحال . (قالوا) : ولا يجوز أن يقال : إنه لو كان نصباً على الحال لما جاز أن يقع معرفة في نحو : كان زيد أخاك ، وظننت عمراً غلامك » والحال لا تكون معرفة ، —

عبد الله المحسنَ أفضل منه المسيء [(١)] .

ولا يتقدم على عامله محلاً ، الا اذا كان صاحبه مستترا ، وقبله مرجعه مكنياً ، نحو : أنت قائماً عندي [(٢)] ولا يتقدم على صاحبها المجرور ، الا اذا كان صاحبها مكنياً ، أو كان الحال فعلاً ، نحو : « مررت ضاحكة بهند » ومررت ـ تضحك ـ بها » [(٣)] .

ـــ لأنا نقول : انما جاز ذلك لأن أخاك ، وغلامك ، وما أشبه ذلك قام مقام الحال ، كقولك : ضربت زيداً سوطاً ، فان « سوطا » ينتصب على المصدر وان كان آلة لقيامه مقام المصدر الذي هو ضربه ، فكذلك ههنا . على أنه قد جاءت الحال معرفة في قولهم « أرسلها العراك » أي معاركة ، « والعراك » حال من الهاء في (أرسلها) والضمير للإبل أو الأتن . و « طلبته جهدك وطاقتك » و « رجع عودَه على بَدئه » اي عائداً . الى غير ذلك ، فدل على صحة ما ذهبنا اليه اهـ (انظر الانصاف ٢/٤٨٩) .

(١) فالمحسن والمسيء حالان ، وصحّ تعريفهما لتأويلهما بالشرط ، إذ التقدير : عبد الله اذا أحسن ، افضل منه اذا أساء ؛ فان لم تتضمن الحال معنى الشرط لم يصحّ تعريفها ، فلا تقول : جاء عبد الله المحسن ، إذ لا يصحّ : جاء عبد الله ان أحسن .

(٢) ذلك لأنّ ذا الحال اذا كان مظهراً وقدمت الحال عليه ، أدى الى الاضمار قبل الذكر ، لأنّ في الحال ضميراً يعود على ذي الحال المتأخر ، وأما اذا كان ضميراً ، فالضميران يشتركان في عودهما على مفسر لهما . ففي لفظ « قائماً » وهو الحال مكنيٌّ مستتر ، وفي المحلّ الذي هو « عندي » مكنيٌّ مثله وهو صاحب الحال ، وكلا المستترين عائد بلا شك على مفسر لهما ، متقدم عليهما ـ وهو « أنت » المبتدأ ؛ وانما جاز ذلك ، لأنه لم يلزم عليه الإضمار قبل الذكر .

(٣) عبارة الأشموني : « فصّل الكوفيون فقالوا : ان كان المجرور ضميراً ، نحو مررت ضاحكة بها ، او كانت الحال فعلاً ، نحو : تضحك ـ مررت ـ بهند » جاز ، والاّ امتنع اهـ فقد اورد صاحبها مكنياً في المثال الأول ، وقدمها في الثاني على عاملها ، وصاحبها ، وأما « الموفي » فلم يورد الحال مكنية في المثال الأول ، وقدم عاملها في الثاني عليها وعلى صاحبها ، فانظر وتأمل .

ويكون جملة بعائد [١] أو، واو [٢]، ويجب «قد» في الماضي بالواو [٣].

(١) في سورة يوسف: «وجاءوا أباهم عشاءً يبكون» فجملة الحال هنا هي الفعل المضارع المثبت، وقد ارتبطت بصاحب الحال بالضمير، وخلت من الواو.

(٢) مثاله من التنزيل: «لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله اليكم؟» فجملة الحال هي الفعل المضارع المثبت واقترنت بواو الحال.

(٣) اذا كان الرابط بين جملة الحال وصاحبه هو الواو وحده، وجبت «قد» مع الماضي المثبت المتصرف نحو: جاء زيد، ـ وقد طلعت الشمس ومن شواهده قول امرئ القيس:

تقول ـ وقد مال الغبيط بنا معا عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ

فان جملة «وقد مال الغبيط بنا معا» حال من الضمير المستتر في تقول: والرابط بينهما الواو وحدها. واذا كان الرابط هو الضمير وحده، او الضمير والواو معاً، جاز الوجهان، الاقتران «بقد» والخلوّ منها لفظاً وتقديرا، ففي التنزيل: «أو جاء وكم حصرت صدورهم» فانّ جملة «حصرت صدورهم» حال من واو الجماعة في «جاءوكم» والرابط بينهما الضمير المجرور محلاً بالاضافة في «صدورهم».

وقال النابغة الذبياني:

وقفت بربع الدار قد غيّر البلى معارفها، والساريات الهواطلُ

فانّ جملة: «قد غيّر البلى معارفها» حال من «ربع الدار» والرابط بينهما الضمير المجرور محلاً بالاضافة في معارفها» وأنثه مع عوده الى الربع» لأن المضاف قد يكتسب التأنيث من المضاف اليه.

فأنت ترى أن الرابط في الآية الكريمة، وفي بيت النابغة هو الضمير وحده، وقد جاء بدون «قد» في الآية الكريمة، وبها في بيت النابغة.

(يتبع) محمد بهجة البيطار

البلاغة بين اللفظ والمعنى

« من عصر الجاحظ الى عصر ابن خلدون »

— ٣ —

الشعر والشعراء : لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٩٦ هـ

لم يتعرض ابن قتيبة لبحث البلاغة ـ او فن الجمال في القول في تعبيرنا ـ بصورة مجردة ولم يحاول وضع او نقل تعريفات لها بل لم يذكرها اثناء كلامه على اقسام الشعر في كتابه الشعر والشعراء فيقول مثلاً إن الشعر يكون بليغاً إذا حوى من الصفات كذا وكذا ، ولم يحلّل الأشعار التي استشهد بها تحليل البلاغيّ ، وإنما قسّم الشعر الى اربعة اقسام تقسيم الأديب المجمل ، واستعمل كلمتي الحسن والجودة في وصف اللفظ والمعنى ومشتقاتها ، دون لفظي الفصاحة والبلاغة ، ولم يتعرض بالتفصيل لأسباب الحسن والجودة او القبح والتقصير في الأشعار التي جاء بها كأمثلة على اقسام الشعر ، ولم يحفل كذلك بذكر او شرح نظرية التأليف والنظم في الكلام ، وهل هي عملية معنوية ام لفظية ؟ وكل ما كان منه هو ان جعل اللفظ والمعنى شريكين في الحسن ، وأن احدهما قد ينفرد عن الآخر في الشعر فيكون حسناً ايضاً ، ولكنه في هذه الحالة يكون دون الشعر الذي اجتمع فيه حسن اللفظ مع حسن المعنى ، وهما مقياسا الجمال العامان في الفن الشعري . وبواسطة هذين المقياسين قسم ابو عبد الله بن قتيبة الشعر وجعله اربع مراتب يأتي في المرتبة الأولى منه الشعر الذي حسن لفظه ومعناه ، وقد ضرب عليه مثلاً قول الشاعر في بعض بني امية : (وينسب هذا الشعر الى الفرزدق في علي بن الحسين زين العابدين العلوي) :

«في كفه خيزران ريحها عبق من كف اروع في عرنينه شمم
يغضي حياء ويغضى من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسم»

وقول الآخر :

«ايتهـا النفس أجملي جزعا إن الذي تحذرين قد وقعا»

وقول النابغة :

«كليني لهم يا أميمةَ ناصب وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب» (١)

وإذا فحصنا هذه الأبيات وجدنا فيها اشياء كثيرة غير اللفظ والمعنى ففيها جودة السبك وجمال الأسلوب وفيها العاطفة القوية التي يخاطب بها قلب الشاعر قلب السامع أو القارئ وفيها التصوير وفيها الايجاز وفيها التشخيص ويظهر أن ابن قتيبة كان يدخل كل هذه الأشياء في اللفظ والمعنى معاً او في احدهما وهو موفق الاختيار في هذا القسم . فاذا انتقلنا الى شعر المرتبة الثانية وهو الذي حسن لفظه دون معناه وجدنا ابن قتيبة غير موفق في فهم وتذوق الأمثلة التي يوردها وذلك لإعطائه للمعنى مفهوماً خاصاً قصد به المعنى العام الساذج الذي يكون حكمة او مثلاً او فكرة علمية او اجتماعية ، فقد ضرب المثل بهـذه الأبيات الثلاثة وهي من غرر الشعر :

ولما قضينا من مِنىً كل حاجة وصوَّح في الأركان من هو صائح
وشُدَّت على حُدْب المهارَى ركابنا ولم يبصر الغادي الذي هو رائح (٢)
أخذنا بأطراف الحديث بيننا وسالت بأعناقِ المطي الأباطح

وقال فيها : «هذه الألفاظ كما ترى أحسنُ شيء مخارجَ ومطالعَ ومقاطعَ وإن نظرت الى ما تحتها من المعنى وجدته : ولما قطعنا ايام منى واستلمنا الأركان وعالينا إبلنا الانضاء ومضى الناس لا ينتظر الغادي الرائح ابتدأنا في الحديث وسارت المطي في الأبطح ، وهذا الصنف في الشعر كثير» .

(١) الشعر والشعراء ص ٧ اقسام الشعر . (٢) نفس المرجع ص ٨

وهذه الأبيات في الحقيقة مثال للشعر المتأجج عاطفة ، الحسن التصوير ، الذي يمثل حالة المحب الذي ودع أماكن ذكرياته ويصور انشغال الناس واضطراب أفكارهم وأبصارهم وهم عازمون على سفر كما يترك للخيال الواسع العنان أن يتصور كل حديث يمكن أن يتناول في مثل هذه المناسبات . وانتخاب الألفاظ كان موفقاً جداً توفيق الصور التي يعرضها لسير المطي" وقد سالت بأعناقها الأباطح فهذه الصورة صورة عامة شاملة فيها حركة وفيها تنوع وفيها عاطفة وفيها حديث حسن وكل هذا غاب عن ابن قتيبة فلم يذكر منه الا اللفظ . ولا أظن كل هذه المحاسن قد غابت عن ذوق ابن قتيبة وانما أظن أنه لم يحسن التعبير عن سبب استحسانه للأبيات وحار في تعليله وقد وفّى هذه الأبيات حقها من الشرح والاستحسان عبد القاهر الجرجاني في دلائل الاعجاز كما وفى ابن قتيبة نصيبه من النقد والتعريض وسنرى ذلك في حينه . وأخطأ ابن قتيبة في تعليل جمال أبيات اخرى لجرير خطأه في هذه الأبيات ولا يتسع الوقت لذكرها والتعليق عليها . ويأتي في المرتبة الثالثة الشعر الذي جاد معناه وقصرت الفاظه ويسوق مثالاً عليه قول لبيد بن ربيعة :

« ماعاتب المرء الكريم كنفسه والمرء يصلحه القرين الصالح

فقال هذا وان كان جيد المعنى والسبك فإنه قليل الماء والرونق ومنه نتبين أنه يريد بالمعنى هنا ما يكون حكمة او نحوها وبالسبك صحة تأليف الجملة من الوجهة النحوية .

والمرتبة الرابعة والأخيرة يأتي فيها الشعر الذي تأخر معناه وتأخر لفظه ويضرب عليه مثلاً قول الأعشى في امرأة :

« وفوها كأقاحيٍّ غذاه دائم الهطل »

« كما شيب براحٍ بارد من عسل النحل »

ويذكر أبياتاً أخرى من هذا النوع ثم يقول : وهذا الشاعر بيّن التكلف

رديء الصنعة وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاء عن إسماح وسهولة كشعر الأصمعي وابن المقفع والخليل . وقوله هذا يدلنا على أنه كان يعد التكلف والصنعة من مفسدات الشعر وأن السليقة ضرورية ليكون المرء شاعراً . ينتقل بعد ذلك ابن قتيبة الى فكرة ضرورة الحكم بالحسن من دراسة القول لا من معرفة القائل وهذه ملاحظة قيمة للناقد ، ويضرب مثالاً على ذلك شعر الأعشى :

«وقد غدوت الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلول شلشلٌ شولُ»

فيقول : «وهذه الألفاظ الاربعة في معنى واحد وكان يُستغنى بأحدها عن جميعها وماذا يزيد هذا البيت إن كان للأعشى أو ينقص» . والذي يعنينا هنا هو نقده لهذه الألفاظ المكررة ذات المعنى الواحد وأن يعيبها لأن الثلاثة منها زائدة وكان يكفي رابع الثلاثة ليدل على المعنى . والجميل عند ابن قتيبة هو أنه لا يذكر قيما مجردة لقبح الكلام أو لحسنه وإنما يورد أبياتاً تتصف بما يعطي هذه القيم وينقدها نقد الأديب الفطن ويحكم عليها بذوقه الأدبي ، وحبذا لو اتبعت هذه الطريقة من قبل جميع من بحثوا في البلاغة ؛ فكانت تجنبنا تلك الدراسة المنطقية والفلسفية التي خضع لها علم البلاغة . فهو يقول إن الناس كانوا يستجيدون للأعشى قوله :

«وكأس شربت على لذة وأخرى تداويت منها بها» (١)

حتى قال أبو نواس :

«دع عنك لومي فإن اللوم إغراء وداوني بالتي كانت هي الداء»

وأن أبا نواس بقوله سلخه وزاد فيه معنى آخر اجتمع له به الحسن في صدره وعجزه ، وكل هذا ليستنتج أن للأعشى فضل السبق اليه ولأبي نواس فضل الزيادة فيه .

ويقرر ابن قتيبة للشاعر طريقاً يجب عليه أن يسلكه في القصيدة وهو ما يسمى

(١) الشعر والشعراء ص ١٣ .

بعمود الشعر ولم يسمه هو كذلك ، ويذكر العلل النفسية التي تدعو الشاعر لأن يسلك هذا الطريق فيقول إنما يقدم الشعراء الكلام في الأطلال ليمهدوا الأسباب لذكر أهلها ، ثم يتبعون ذلك بالنسيب ليؤثروا في القلوب ، وينتقل الشاعر بعد ذلك الى ذكر ايجاب الحقوق وانضاء الراحلة سفراً الى المحبوب ثم ينتهي الى المديح ويقول ان الشاعر المجيد من سلك هذه الأساليب وعدل بين هذه الأقسام فلم يجعل واحداً منها أغلب على الشعر ولم يُطِل فيملّ السامعين ويقطعَ وبالنفوس ظمأ الى المزيد وليس لمتأخر الشعراء أن يخرج عن مذهب المتقدمين في هذه الأقسام فيقف على منزل عامر أو يبكي عند قصر مشيد أو يرحل على حمار او بغل او يقطع الى الممدوح منابت النرجس والآس (١) وليس له أن يقيس على اشتقاقهم فيطلق ما لم يطلقوا كقول من قال « ترافع العزّ بنا فارفنععا » قياساً على :

« تقاعس العز بنا فاقعنسسا » . وابن قتيبة في هذا يرسم للشاعر تخطيطاً يلزمه باتباعه جرياً على عادة الشعراء واتباعاً لاغة العرب ليكون كلامه مستحسناً غير خارج عن المألوف .

ونرى ابن قتيبة بعد ذلك يتكلم عن أثر العاطفة في تأليف الشعر فيقول : وللشعر دواع تحثّ البطيء ، وتبعث التكلف ، منها الطمع ومنها الشوق ومنها الشراب ومنها الطرب ومنها الغضب » (٢) ويذكر ان مدائح احد الشعراء كانت اجود من مراثيه في ممدوحيه لأنه في مدائحه يعمل على الرجاء في مراثيه يعمل على الوفاء (٣) وبينهما بون بعيد ثم يذهب الى أن بعض العواطف أقوى من بعض في حمل الشاعر على الاجادة في الشعر فالطمع في الجائزة أقوى من عاطفة التحيّز الى فريق من الناس (٤) ومن الجميل أنه يقول إن الطواف بالمناظر الطبيعية الجميلة يحث على قول الشعر .

---

(١) الشعر والشعراء ص ١٥ (٢) نفس المرجع ص ١٧ (٣) نفس المرجع ص ١٨
(٤) المرجع السابق ص ١٨

ثم ينهي حديثه عن أثر العواطف في قول الشعر إلى أثر الشعر في عاطفة السامع التي تنتقل اليه من شعر الشاعر فيقول نقلاً عن أحدهم أن «أشعر الشعراء من إنت في شعره حتى تفرغ منه» [(١)] .

وينتقل بعد ذلك الى بيان عناصر أخرى في الشعر غير اللفظ والمعنى والعاطفة فيقول : «وليس كل الشعر يختار ويحفظ على جودة المعنى واللفظ ولكنه قد يختار ويحفظ على أسباب منها الاصابة في التشبيه وخفة الروي [(٢)] » فالإصابة في التشبيه شيء راجع الى الخيال التصويري الذي لم يعرف العرب سواه في أدبهم إلا ما كان فيه خيال ابداعي من وضع القصص القصيرة طولا وخيالا .

ويتكلم ابن قتيبة عن ضرورة توفر الموهبة لدى الشاعر ليحسن شعره وينصح بترك التكلف فيقول : «والمتكلف من الشعر وان كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكر وشدة العناء ورشح الجبين وكثرة الضرورات وحذف ما بالمعاني حاجة اليه وزيادة ما بالمعاني غنى عنه [(٣)] ويستشهد على هذا بشعر متكلف للفرزدق هو :

«أمير المؤمنين لأنت مرئ ... الخ»

وقوله :

«وعض زمان يا ابن مروان لم يدع من المال الا مسحتا أو مجلّفُ»

برفع الروي والاحتياج الى التخريجات وإتعاب النحويين واضطرار الشاعر الى أن يقول : «علي أن أقول وعليكم أن تحتجوا» يقول : «وتتبين التكلف أيضاً بأن ترى البيت مقرونا بغير جاره ومضموماً الى غير لفقه» .

وفي مكان آخر يقول في نفس هذه المناسبة : «والمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر بيته عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة واذا امتحن لم يتلعثم ولم يتزحر» [(٤)] ويضرب

(١) الشعر والشعراء ص ٢٠ (٢) نفس المرجع ص ٢١ (٣) ص ٢٣ من المرجع السابق
(٤) ص ٢٥ من المرجع السابق

مثلاً على الشعر المطبوع قول الشاعر (وهو ابن مطير) :

« كثرت لكثرة قطره أطباؤه فإذا تحلب فاضت الأطباء »

ويقول فيه : « وهذا الشعر مع اسراعه فيه كما ترى كثير الوشي لطيف المعاني » وهو يقصد بكثرة الوشي هذا التشبيه الرائع بين اندفاع المطر من السحاب وبين تحلب اللبن من الأطباء وهو تشبيه تمثيلي جميل ثم هذه الصناعة اللفظية في البيت .

الى هنا نرى كيف يجمل ابن قتيبة الكلام على عناصر الجمال في الشعر فيتحدث عن عناصر اللفظ والمعنى والعاطفة والخيال التصويري وعن السليقة والمران لدى الشاعر وحسن السبك دون التعرض لها بصورة تحليلية عميقة ونرى أنه أحسن النقد وتعليل أسباب الحسن في مواضع دون أخرى وأنه كان أقرب الى الأديب الناقد منه الى البلاغي المتفلسف ، وأنه كان في حقيقة نفسه لا يقدم أي عنصر من عنصري اللفظ والمعنى على الآخر وانما يراهما صنوين متكافئين .

* * *

كتاب نقد الشعر : لقدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ

يتكلم قدامة بن جعفر في كتابه عن عناصر الشعر فيجعلها أربعة المعنى واللفظ والوزن والقافية وهو يدخل التشبيهات وما اليها ضمن المعنى كما يدخل السبك وتلاؤم الألفاظ مفردة ومجتمعة ضمن اللفظ وبهذا ينقص من العناصر الأساسية التي نعنى بها نحن عنصري العاطفة والخيال المبدع المؤلف ولا يلتفت الى مراعاة تنوع الأسلوب بتنوع المواضيع ولا التفصيل فيه . وهو يقدم بحثه وتقسيمه بأسلوب العالم المنطقي الذي يحسن التقسيم والتبويب لا بأسلوب الأديب الناقد الذي يحسن تذوق الأدب والحكم عليه . ولكن الجميل عنده هو أنه لا يفضل بعض عناصر الشعر التي ذكرها على بعض بل يقول بضرورة ائتلافها كلها بعضها

مع بعض ليكون الشعر حسناً . وهذه نظرية جيدة تعني بالانسجام وتنظر الى الشعر كوحدة لا تنفصم عراها ؛ فلا ينظر في الحكم على جودة الشعر الى المعنى فقط ولا الى اللفظ أو أي شيء آخر على انفراد ، بل جمال الشعر يؤخذ ويحكم عليه من مجموع الصورة النهائية . ولكن هذا لم يمنع قدامة من أن يبين قيمة كل واحد من هذه العناصر الأربعة على حدة ومتى يكون في نفسه حسناً إذا نظر اليه منفصلاً عن غيره ، ثم ما هو نصيبه في تحقيق جمال القطعة الأدبية وإبرازه . ويظهر أن ثقافة قدامة التي كان فيها قسط وافر من الثقافة الأجنبية ساعدته على هذا التقسيم الجيد ، أو أنه استقى هذا التقسيم نفسه من مصادر يونانية أجنبية . ولكن تعريفه للشعر لا يمتّ إلى هذه الثقافة اليونانية بصلة قوية ، وبصورة خاصة ليس له أي نسب مع تعريف أرسطو للشعر ، فقد عرف قدامة الشعر بأنه لفظ موزون مقفّى [١] وهو تعريف ناقص لا ينطبق على القول الجميل ، بل إن شعر العلماء في النحو وغيره من فنون العلم الجافة ينطبق عليه . ويتحدث قدامة عن قيمة المعاني في الشعر فيقول إن المعاني بمنزلة المادة والشعر بمنزلة الصورة ويقول إن للشاعر الحرية في أن يتناول من المعاني ما يشاء سواء أكانت هذه المعاني كريمة أو فاحشة [٢] والمعنى يجب أن يؤدي الغرض ولا يعدل عنه . وذكر مذهبي الغلو والاعتدال في إيراد المعاني وتصويرها [٣] وفضل جانب الغلو آخذاً بقول من قال إن أحسن الشعر أكذبه [٤] وقال إن معنى المدح يجب أن يكون في فضائل الناس الأربعة العامة ، وهي الشجاعة والعفة والعدل والعقل ، ويجوز المدح بأحدها أو ببعض اقسامه كالجود الذي هو فرع العدل . وهنا نلاحظ تخطيطه للطريقة وللمعاني التي يجب على الشاعر أن يأخذ بها نفسه في الموضوع الذي يريد طرقه .

---

(١) نقد الشعر ص١ (٢) المصدر نفسه ص٤ (٣) ص ١٧ من نفس المصدر
(٤) ص ١٩ نفسه

ويرى قدامة أن المعاني يجب أن تتلاءم مع مقتضيات الأحوال [١] ويرى أنّ طرافة المعاني ليست عاملاً في جودتها [٢] ويتكلم عن الهجاء [٣] وكيف يجب أن تكون معانيه فيؤيد هنا نظريته في أن للشاعر أن يتناول المعاني التي يريد ولو كانت فاحشة فيقول إن من الهجاء ما تجمل فيه المعاني إذا أصاب الغرض وكان موجزاً . وينتهي قدامة من الكلام عن المعاني في نفسها ليتحدث عن كيفية إخراج هذه المعاني بالألفاظ والوزن ولكن باختصار ، فهو يصف ائتلاف اللفظ والوزن في الشعر فيقول يجب أن يراعى في ائتلافها قواعد النحو وعدم الجور على المعنى [٤] وينعت ائتلاف المعنى والوزن فينادي بضرورة تمام المعنى واستيفائه في البيت وعدم زيادته عنه ، ثم يطلب ان تكون القافية مؤتلفة مع المعنى غير غريبة عنه ، ومحشورة لمجرد إملاء الفراغ . ثم يتحدث طويلاً عن عيوب المعاني كتكرارها وتناقضها وعدم صحتها وتلاحمها [٥] . ويلاحظ على نقده كله أنه مزيج من النقد الأدبي والبلاغة ، وأنه نقد جزئي فلا يلاحظ عنده نقد عام لمجموع قصيدة او نتاج شاعر بأكمله أو نقد هذا الشاعر نفسه بصورة عامة . ويتكلم على أهمية وضع الألفاظ مواضعها لتدل على المعاني [٦] فيقول لو وضعت بل بدل الفاء في هذا البيت :

« أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعفى وأيسر »

لكان الشعر مستقيماً . وينقد بعض الأبيات [٧] من نوع :

« فلولا الريح أسمع من بحجر صليل البيض تقرع بالذكور »

نقداً عقلياً مجرداً فيه كثير من التوفيق من جهة الصحة والخطأ والإمكان وعدمه ، ولكنه خال من الخيال وتقدير الأماني والعواطف ونزعات النفس وأحلامها في يقظتها .

(١) ص ٢٨ نقد الشعر
(٢) ص ٤٠ نفس المصدر
(٣) ص ٣١ نقد الشعر
(٤) انظر نقد الشعر ص ٦٣
(٥) انظر نقد الشعر ص ٧٦ - ٧٩
(٦) ص ٧٣
(٧) ص ٨٤ من نفس المرجع

وحيث أننا فرغنا من كل ما أورده من النظرات العامة والقواعد التي إذا توفرت في الشعر كان جميلاً حسبما يقدّر هو فلا بد لنا أن نلاحظ انه تكلم كثيراً عن المعاني والألفاظ والوزن والقافية ولكنه لم يبين العلاقة الرئيسية بين المعاني والألفاظ من حيث القدرة في سبك هذه على ابراز المعاني ، ولم يبين فيما إذا كان تفكيرنا ـ إذا نحن فكرنا في تأليف القطعة الأدبية وإظهار المعنى ـ تفكيراً في المعاني وترتيبها في النفس او تفكيراً في الألفاظ وانسجامها موسيقياً ، وهل قواعد النحو تراعي ائتلاف المعاني وتخدمها ام إنها تخدم الألفاظ . ثم لم يرسم لنا خطة لإبراز فكرة في رأسنا في شكل ادبي ، وكيف نقسمها الى عناصر ، وكيف نفكر في هذه العناصر ثم نجمعها من جديد ، ولم يبين ما هي الخصائص الوسائط التي تجعل الاساليب متنوعة بتنوع المواضيع ، وما هي صفات الألفاظ التي يجب ان تتوفر في موضوع بعينه .

ولم يبين لنا كيف نجد عناصر هذه الفكرة العامة الموجهة التي نريد طرقها لنلم بها ونجعلها كاملة ، ولم يستأنس بآراء من قبله في البلاغة كما لم يحاول وضع تعريف لها ولكنه على كل حال أتى بنظرية جميلة ربما استقاها كما قلنا من مصادر يونانية وهي نظرية الانسجام .

* * *

كتاب نقد النثر

لا يزال الاختلاف قائماً حول المؤلف الحقيقي لكتاب نقد النثر فالأستاذ عبد الحميد العبادي يرجح في نقده وتحقيقه المطبوع مع الكتاب أنه لقدامة بن جعفر السابق مؤلف كتاب نقد الشعر المتوفي سنة ٣٣٧ هـ ، ويرجح بروكلمان أنه من تأليف تلميذه أبي عبد الله محمد بن أيوب ، ولهذا آثرت أن أدرس كتاب نقد النثر على حدة . وعلى كل حال فهذا الكتاب يتفق مع كتاب نقد الشعر في أشياء ويزيد عنه في أشياء تكمل بها البلاغة كما أنه ينقص عنه في أشياء هي أنه لم يبحث

في بعض تفاصيل بحثها بتطويل مؤلف نقد الشعر ، ثم لا يتبع المؤلف نفس الطريقة في البحث ونفس التقسيم للمواضيع بل يضع لبحثه خطة أخرى تختلف عن تلك .

رأينا أن قدامة لم يعرف البلاغة في نقد الشعر ولكن المؤلف هنا يعرفها [١] فيقول : « وحدّها عندنا أنها القول المحيط بالمعنى المقصود مع اختيار الكلام وحسن النظام وفصاحة اللسان » ثم يشرح هذا التعريف بقوله : « وإنما أضفنا الى الاحاطة بالمعنى اختيار الكلام لأن العامي قد يحيط قوله بمعناه الذي يريده الا أنه بكلام مرذول من كلام أمثاله فلا يكون موصوفاً بالبلاغة . وزدنا فصاحة اللسان لأن الأعجمي واللحان قد يبلغان مرادهما بقولها فلا يكونان موصوفين بالبلاغة . وزدنا حسن النظام لأنه قد يتكلم الفصيح بالكلام الحسن الآتي على المعنى ولا يحسن ترتيب الفاظه وتصيير كلّ واحدة منها مع ما يشا كلها فلا يقع ذلك موقعه » وهذا التعريف يطلعنا على أن البلاغة عنده تشمل الفصاحة لأنه اشترط فصاحة اللسان ليكون الكلام بليغاً ثم يجعل جمال الكلام راجعاً الى تعبيره تعبيراً قوياً كاملاً عن المعنى وإلى حسن اختيار الألفاظ لتأدية هذا المعنى ، ثم الى حسن النظام الذي هو التأليف والسبك وتبين هذا النظام في شرحه للتأليف بأنه ترتيب للألفاظ ووضع كل واحد مع ما يشاكله .

وفي هذا التعريف لا نرى اثراً للخيال ولا للعاطفة في تكوين جمال القول فهو ناقص من هذه الوجهة كغيره من تعاريف البلاغيين العرب .

وقد ضرب مثالاً على الكلام البليغ قول علي بن ابي طالب : « أين من سعى واجتهد وجمع وعدد وزخرف ونجد وبنى وشيد » وعلق عليه بقوله : « فأتبع كل حرف بما هو من جنسه وما يحسن معه نظمه ولم يقل أين من سعى ونجد وزخرف وشيد وبنى وعدّد ، ولو قال ذلك لكان مفهوماً ومن قائله مستقيماً وكان مع ذلك فاسد النظم قبيح التأليف » . وتعليقه هذا يطلعنا على أن حسن السبك عنده يتحقق بتلاؤم الحروف والكلمات لفظاً وتلاؤم الكلمات معنى بحيث تقرن الكلمة

(١) نقد النثر ص ٨٤

بقريبتها في المعنى وشريكتها في الدلالة ، وعلى أن المؤلف يحب الصنعة في الألفاظ لأنه استشهد بالسجع .

ويتكلم المؤلف على سبب تسمية الشاعر شاعراً فيقول : إنه سمي كذلك لأنه يشعر من معاني القول واصابة الوصف بما لا يشعر به غيره . ويقول إن الشعر إنما يكون فائقاً إذا اجتمع فيه صحة المقابلة وحسن النظم وجزالة اللفظ واعتدال الوزن وإصابة التشبيه وجودة التفصيل وقلة التكلف والمشاكلة في المطابقة [١] . ويلاحظ إهماله جانب العاطفة ، وعدم ذكره المعنى مما يجوّز لنا أن نفهم أنه يرجح جانب اللفظ على جانب المعنى . ولكنه حين ينتقل الى الكلام على ما ينبغي للشاعر أن يعمله يقول ما خلاصته أنه يجب أن يضع المعنى وكل شيء موضعه [٢] وان يتساوى ويتكافأ معنى البيت مع لفظه فلا يزيد اللفظ عن المعنى ولا المعنى عن اللفظ [٣] وإلا فسد الشعر كما فسد قول الأعشى :

« وقد أروح الى الحانوت يتبعني شاوٍ مشلٌ شلولٌ شلشلٌ شولُ » [٤]

وأنه ينبغي له الايجاز وأن يستوفي البيت الواحد معنى او معنيين فلا يكمل بيت معنى بدأه الشاعر في بيت قبله . وهنا نلاحظ نظرته الجزئية في إظهار الفكرة واستقلال كل بيت عن الآخر وعدم النظر الى القصيدة كوحدة .

ويقول إنه يحق للشاعر ان يتصرف في المعاني كما يريد فيصدق او يبالغ فالكذب جائز في الشعر وان ارسطو طاليس ذكر الشعر فوصفه بأن الكذب فيه اكثر من الصدق وذكر ان ذلك جائز في الصناعة الشعرية [٥] . ونلاحظ هنا أمرين الأول ان المؤلف متصل بالثقافة اليونانية اتصالاً وثيقاً ، والثاني أنه يورد نفس الرأي الذي اورده قدامة في نقد الشعر وهو ان المبالغة جائزة في نظمه . ويضيف الى هذا اشياء تكون في الشعر فتزيد في حسنه [٦] : منها حسن

(١) نقد النثر ص ٩٣ (٢) لفس المرجع ص ٩٧ (٣) ص ٩٩

(٤) وهنا نلاحظ أن المؤلف اورد نفس البيت الذي أورده قدامة في نقد الشعر .

(٥) ص ٩٩ (٦) ص ١٠٠ من نفس المرجع

الانشاء وحلاوة النغمة وتلاؤم الألفاظ مع موضوعات المعاني وخلط الجدّ بالهزل واستعمال كل منهما في موضعه حتى لا يمل الناس الجدّ ولا يسخرون من كثرة الهزل . وهذا يطلعنا على أنه لم يهمل جانب الموسيقى ولا جانب المعاني وتلاؤمها مع الألفاظ . وضرب مثالاً على تلاؤم المعنى والشعر مع المقام قول امرئ القيس وهو في عنفوان أمره وجدة ملكه :

فلو أن ما اسعى لأدنى معيشة كفاني ولم أطلب قليل من المال
ولكنما أسعى لمجد مؤثل وقد يدرك المجد المؤثل امثالي

وقوله وقد ضعف أمره فوضع القناعة موضعها :

« ألا إن لم تكن إبلٌ فمعزى كأنّ قرون جلتها المصي » الخ (١)

ويذكر قبح التكلف وضرورة الجريان على السجية في الألفاظ والمعاني ويقول إن البلاغة ليست الاغراب في الألفاظ والتعمق في المعاني والفصيح ما افصح عن المعنى والبليغ ما بلغ المراد . والألفاظ يجب ان تكون مفصّلة على قدود المعاني والكلامُ متناسباً مع المقام من حيث اللفظ ومن حيث المعنى (٢) . والفصيح من الكلام في رأيه ما وافق لغة العرب ويقول إن النحو وضع لمعرفته (٣) ونراه يلح في موضع آخر ايضاً على ان لكل مقام مقالاً (٤) ، وان الألفاظ يجب ان تكون على قدود المعاني (٥) .

نتبين مما سبق من القول ان مؤلف نقد النثر كمؤلف نقد الشعر لا يرجح جانب اللفظ على جانب المعنى ولا جانب المعنى على جانب اللفظ ولكنه يرى ان الجمال يكون بائتلافهما وتكافئهما ويتحقق ذلك بحسن السبك الذي هو ملاءمة بين الألفاظ من حيث نطقها في الفم ووقعها على الأذن مما يعبر عنه بالفصاحة ومن حيث ارتباط الكلمة بجارتها معنىً ووجودها في موضعها لتؤدي فيه وظيفتها المزدوجة المشتركة بين اللفظ والمعنى .

(يتبع) نعيم الحمصي

(١) نقد النثر ص ١٠٨ (٢) ص ١١٨ (٣) ص ١٦٠
(٤) انظر ص ١٦٣ (٥) انظر ص ١٦٦

التعريف والنقد

كتاب وقف

القاضي عثمان بن اسعد المنجّا الحنبلي (٦٤١)

نشره صلاح الدين المنجد بعناية المعهد الفرنسي بدمشق

١٣٦٨ - ١٩٤٩ ص ٤٦

يصرف الأستاذ المنجد شطراً من عنايته الى نشر ما له علاقة بتاريخ دمشق وعمرانها مثل ولاة دمشق ومخطط دمشق ودمشق القديمة ومارستان نور الدين وأنهار دمشق . وآخر ما نشر صك هذا الوقف ، وهو مثال من مدنية القرن السابع في هذه العاصمة حوى فوائد أثرية وتاريخية جاءت تتمة لما يحتاج اليه الباحث في مدنية دمشق ومصطلحاتها في وقوفها وزراعتها الى غير ذلك . فالشكر للباحث الأستاذ على هذه التحف التي يجدد بها ما دثر من معالم حضارتنا ويصور بها صورة رجالنا واعمالهم في الخير ويطلعنا على روح تلك العصور وروح أهلها من أقرب الطرق .

محمد كرد علي

فن القصص

أصبح للقصة وفنها في آدابنا العربية الحديثة شأن غير شأنها في عهد آدابنا القديمة وآبائنا الأولين وقت ان كان ينظر الى القصة كأداة للهو ، ووسيلة للترفيه ، وترويح النفس . اللهم الا ما أخذ اسم (المقامات) من تلك القصص فانه عدا ما فيه من التفكيه وترويح النفس - يزيد القارئ بصارة في اللغة العربية ويدربه على الانشاء فيها وحفظ طائفة صالحة من ألفاظها وعيون أمثالها وطريف أساليبها .

أما القصة اليوم وقد حذونا فيها حذو الكتاب الأوربيين فان لها في تربية النفس، وتثقيف الأخلاق، وتوجيه النشء الى المثل العليا ـ ما قام بتحقيقه وعكف على دراسته علماً وعملاً الأستاذ الفاضل والنبيه النبيل محمود بك تيمور . ومن أراد التفقه في القصة وفنونها وسائر ما يتعلق بها فعليه بالرجوع اليه والتعويل عليه والاستفادة مما كتب وصنف ومن الآثار التي يصدرها وينشرها من وقت الى آخر .

من ذلك كتيب في نيف ومئة صفحة طبعه في دار الهلال سنة ١٩٤٨ وضمنه ثلاثة مطالب :

(١) قضية اللغة العربية

(٢) فن القصص

(٣) القصص الانساني

ونكتفي بان ننقل للقارىء هذه النبذة من المطلب الأول لأنه بقلوبنا أعلق وبموضوع مجلتنا ألصق : قال :

(وأقوب ما يعترض به على القائلين بجمود العربية ، وينفي عنها شبهها باللغات الميتة ، أنها لبثت قرابة الف وخمسمائة سنة تؤدي مهمتها على وجه مرضيّ ، وها هي ذي تطاوع الرقي العلمي والأدبي والعمراني في العصر الحديث ، فنراها لسان الدرس على اختلاف مراتبه ، والكتاب على تباين فنونه ، وأداة الخطابة في منابر القضاء والمحافل على شتى اغراضها . وحسبنا الصحافة مصداقاً لهذه الحقيقة : فقد لانت العربية للصحف والمجلات تعبّر عن شؤون الحياة العامة والخاصة . ولا جرم أن بقاء اللغة العربية الفصحى على هذا النحو يكاد يعد معجزةً في عالم اللغات ، ولكنها معجزة لها مسوغاتها التي لا افتعال فيها ولا قسر اهـ .

المغربي

الثورة الكوبرنيكية

(تأليف الفيلسوف برتراند رسل . نقله الى العربية احمد عبد الباقي . وطبع على نفقة)
(مكتبة المثنى البغدادية في مطبعة (دار الكتاب) بمصر سنة ١٩٤٨ م في ٤٠ صفحة)

هذه الرسالة على صغر حجمها كبيرة المغزى ، شيقة الأسلوب ، جمة الفوائد : فهي ترمز الى أن الجهل مهما طال أمده ، واشتد ساعده ، لا بد أن يتغلب عليه العلم اخيراً ، وينزله على حكمه . وهذا كانتصار نظرية (النظام الشمسي الحديث) المنسوبة الى (كوپرنيكوس) الايطالي (المتوفى سنة ١٥٤٣ م) على نظرية (النظام الشمسي القديم) المنسوبة الى (بطليموس) اليوناني الذي عاش في القرن الثاني قبل المسيح . وخلاصة ما قاله بطليموس أن الأرض ثابتة في مركزها وان الشمس وسائر الكواكب تدور حولها . اما كوپرنيكوس فقد ثار ثورة عنيفة على هذا الرأي ، واقام الأدلة على بطلانه ، وأثبت ان الشمس هي الثابتة وان الأرض وسائر الكواكب تدور حولها . وقد عدت هذه النظرية وانتصارها من أكبر اكتشافات العصر الحديث ، وأروع مميزاته ، على أن ما قاله (كوپرنيكوس) كان قال به بعض الأقدمين من علماء اليونان ، لكنهم لم يقدروا على اثباته بالبراهين الرياضية ، ولذا خفت صوتهم وعلا صوت (بطليموس) ، حتى كان القرن السادس عشر ونهض (كوپرنيكوس) وأثبت ما هو الحق في هذه المسألة .

والأديان الصحيحة ما كانت لتعلم الناس علم الفلك ، ولذا كانت تروي أخبار الأجرام السماوية من حيث نسبتها الى خالقها ودلالاتها على وجوده تعالى فكان رجال الأديان يأخذون بالرأي البطليموسي الشائع ، لكن اخذهم به اصبح عقيدة ثابتة ولذا قاوموا من قال بضدها . وقد شرحت هذه الرسالة ما كان يقع بين رجال الدين الكنسي وبين رجال العلم الفلكي : امثال (كوپرنيكوس) و (كبلر) . ولا سيما اخبار (غاليليو) مع محكمة التفتيش ، كل ذلك بعبارة واضحة جلية ، واسلوب مشوق ، على أن هذه الرسالة ـ كما قال مترجمها ـ كانت في الأصل فصلاً من كتاب (العلم والدين) للفيلسوف الانكليزي المعاصر (برتراندرسل) وهو الفصل الثاني من فصول كتابه المذكور ، فالشكر لمترجمه وناشره على هذه الهدية لقراء العربية . **المغربي**

من عيون الأخبار

كتاب (عيون الأخبار) لابن قتيبة من أمتع كتب الأدب وأغزرها مادة في انتقاء الأخبار والتقاط ما ظرف وأفاد من الأحاديث والأسمار ومنها (نوادر القضاة والخلفاء والأدباء والشعراء اختارها ورتبها وشرح الفاظها اللغوية) الأديب حمدي عبيد أحد اصحاب المكتبة الهاشمية العربية بدمشق فكان مما اختاره وشرحه كتيّب لطيف القطع حسن الوضع والطبع فيه فائدة ومتعة لكل قارئ ومتأدب وقد طبع في مطبعة الترقي بدمشق في ٢٢٣ صفحة . فلا يفوتنّ الشُداة وطلاب الأدب اقتناؤه والاستفادة من طرائفه .

المغربي

نبات سورية

بقلم الحكيم يوسف عرقتنجي

طبع في مطبعة الجمهورية السورية وجاء في ٤٩٣ صفحة من القطع المتوسط

يحتوي هذا الكتاب على ٢٣١٤ نباتاً من نباتات سورية البرية والزراعية ذكر المؤلف أسماءها العلمية والفرنسية وأسماء فصائلها بأحرف لاتينية ، وذكر الى جانبها اسماءها العربية وشيئًا عن استعمال بعضها في الطب . ولم يذكر تاريخ طبع الكتاب ، ولكن مقدمته مؤرخة في شهر آب من سنة ١٩٤١ أي منذ نحو ثماني سنين . وقد شاء صاحبه ان يبعث اليوم ببضع نسخ منه الى المجمع .

ولم يُحَلِّ المؤلف الفاضل النباتات المذكورة في كتابه ، ولم يصنفها على حروف المعجم ولا على حسب فصائلها وقبائلها وأجناسها وأنواعها ، بل ذكر بعض كُوَر سورية وجبالها وسهولها وقال يوجد في كل منها كذا وكذا من النبات .

واقتبس كثيراً من الأسماء العربية عن معجم أسماء النباتات للدكتور احمد عيسى ، واقتبس بعضها عن بُسْط (بوست) .

فالدكتور احمد عيسى رحمه الله كان يعرف الأسماء الفصيحة الكثير من النباتات ، ومع هذا فقد سرد في معجمه المذكور لكل نبات جميع ما اتصل به من أسمائه ، دون تفريق بين الفصيح والمولد والعامي ، ودون الإشارة الى الاسم الفصيح ، تمييزاً له عن غيره ، ولذلك خبط معظم الذين نقلوا عنه خبط عشواء .

أما الدكتور بُسط فقد كان عالماً نباتياً يعرف بالنظر الاسم العلمي لكل نبتة من نبات الشام . وقد بذل جهده في تحري الأسماء العربية لبعض النباتات ، ووضع مصطلحات لأجزاء النبات وأسماءً لفصائلها أصاب في كثير منها وأخطأ في كثير . ولا يُطلب من أجنبي مثله ان يفعل في تلك الأيام فوق ما فعل ، ولا ان يخدم فوق ما خدم .

وأما الدكتور يوسف بك عرقتنجي فله على الطب فضل لا ينكر ، ولكنه في النباتات وأسمائها ومصطلحاتها العلمية حاطب ليل . فقد نقل مادة الكتاب عن الفرنسية ، ونقل جميع ما غلط به بُسط وعيسى ، بل شوه كثيراً من كلماتهم ، ورد بعض الألفاظ الفصيحة الى العامية . وما وجدت صفحة واحدة من الكتاب خالية من الأغلاط المختلفة .

فمن اسماء الفصائل التي غلط بها قوله الفصيلة الفرندلية والصحيح الحِنّائيّات ، وفصيلة السرو ! والصحيح السَّمْدِيّات ، والفصيلة الفرخية والصحيح الرِجْلِيات ، والفصيلة الخيزرانية والصحيح الأَسَلِيّات ، وذوات المظلة او الصيوانية والصحيح الخَيْمِيّات ، والفصيلة الشيقربة والصحيح العَنَميّات والدِّرْبَقِيات الخ . الخ . ومعظم أسماء الفصائل في الكتاب مغلوطة .

وغلط المؤلف في أسماء كثير من النباتات . فقد خلط في التسمية بين الجلبان والبيقية والكرسنة والإيدوصارون ، وبين الخيزران والأسل ، وبين العناب والغبيراء ، وبين العكوب والحرشف ، وبين البرسيم والفصفصة الخ .

ومن النباتات التي لم يفرق بين أسمائها الفصيحة وأسمائها العامية ، او التي رد أسماءها الفصيحة الى العامية :

شرش العرق سوس ، الكعوب والكعيب ، الطاطورة ، القريص ، الكراوية ، حيعالم ، حودان ، الخبيزة ، المقثي ، نبات أوبر ، حرفرف ، شرش الانجيل الخ .

والصحيح : عرق السوس ، العكوب ، الداتورة ، القرّاص ، الكرويا والكروياء ، حي العالم ، حوذان ، الخبّازة ، القثاء ، بنات أوبر ، حُرُف ، عرق النجيل .

والأغلاط اللغوية والمطبعية كثيرة . وتشمل الأغلاط المطبعية الأسماء العلمية والأسماء الفرنسية ، فقد أحصيت منها عشرات .

وبعد يجب على المؤلفين في المواليد ان يفرقوا بين اسمائها العربية الفصيحة واسمائها العامية . وأنا لا أنكر ذكر الأسماء المولدة والعامية في تلك المؤلفات ، على ان توضع بين قوسين ؛ او ان يشار الى كونها غير فصيحة .

أما الاقتصار على الأسماء العامية ، او ترجيحها على الفصيح من الكلم ، او الخلط بينها وبين الفصيح فهو مفسدة للغة وتضليل للقارئين . وكتب كهذه لا يجوز ان يطالعها الأساتيذ والتلاميذ والمتأدبون .

مصطفى الشهابي

نظرية الاسلام السياسية

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

دار العروبة للدعوة الاسلامية (بلدة : راولبندي : باكستان)

سلسلة مطبوعات دار العروبة (١)

هذه « النظرية » مترجمة عن الاردية ، وهي فصيحة المفردات ، صحيحة الأسلوب ، ناصعة البيان ، ليس فيها اثر للعجمة ، كأنما الفت بلغة الضاد ، اما غرض هذه الرسالة النفيسة التي تقع في (٥٢) صفحة ، فهو بيان ان الركن الأول في سياسة الاسلام ، وقطب رحاه الذي يدور حوله ، ان ينتزع جميع حقوق الأمر والتشريع من ايدي البشر منفردين ومجتمعين ، ولا يؤذن لأحد منهم ان ينفذ امره في بشر مثله ، فيطيعوه ، او يَسُنَّ دستوراً لهم فينقادوا له ويتبعوه ، فان ذلك امر مختص

بالله وحده ، لا يشاركه فيه احد غيره ، وقد اوضحت هذه الرسالة وما بعدها هذه الدعوة ، ونشر على غلاف كل رسالة منها مقاصدها ، وقد جاء في المقصد الثالث ما نصه : «ودعوتنا للعالم بأسره ان يحدثوا انقلاباً عاماً في نظام الحياة الحاضر الذي استبد بزعامته الطواغيت والفَجَرَة ؛ الذين ملأُوا الأرض فساداً ، وأن ننتزع هذه الزعامة الفكرية والعملية من أيديهم ، حتى يأخذها رجال يؤمنون بالله وباليوم الآخر ، ويدينون دين الحق ، ولا يريدون علواً في الأرض ولا فسادا»

اقول : ومن اجل انشاء هذه المدينة الفاضلة في الأرض ، وإقامة الحكومة العادلة لسكانها ، تأسست الجماعة الاسلامية في الهند سنة ١٣٦٠ هـ ولإبلاغ هذه الدعوة الاسلاميـة الى العالم الاسلامي عامة ، وبلاد العرب خاصة ، تأسست دار العروبة للدعوة الاسلامية ، منذ اربع سنين ، فكانت فرعاً لها ، وشرعوا في كتب الدعوة ونشرها بلغة القرآن الكريم وهذه اولى رسائلهم ، وسيأتي الكلام على الثانية والثالثة منها . فما قول العرب وحكوماتهم في هذا الانقلاب العظيم ؟ أما العرب ففيهم نزل القرآن ، ومنهم بعث الرسول عليه الصلاة والسلام ، ولكنهم أعرضوا عن دعوته وشريعته فأعرض الله عنهم ، وسلط عليهم من لا يخافه ولا يرحمهم ، فاستخذوا لذلك واستكانوا ، ولا يزال بعضهم لبعض عدواً ، يتدافعون عن الأرض المقدسة ويمكنون لعدوهم فيها ، حتى استباح حماها ، ودها اهلها من الكوارث ما دهاها ، وهم على ما يفعلون بالعرب شهود ، والدول الكبرى تمدهم وتمنيهم ، ووعودهم وعهودهم « كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً » فحيا الله هذه الدار ، دار العروبة ، والقائمين عليها ، ورعى الله حكومة الباكستان الاسلامية ، وأحياها حياة طيبة ، وجدد بها عهد الاسلام ، ولا يزال الأمل باقياً في هذه الجامعة العربية ، أن تنهض من كبوتها ، وتتحد مع من يخطب ودها ، ويرعى حرمتها ، وينشئ داراً للعروبة من أجلها .

هذا وانا لم نر ذكراً للبسملة ولا للحمدلة في أول الرسالة ، وهي تدعو الى الاسلام ونعلم ما ورد في ذلك .

محمد بهجة البيطار

منهاج الانقلاب الاسلامي

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

سلسلة مطبوعات دار العروبة رقم (٢)

هذه هي الرسالة الثانية من الرسائل التي يعني الأستاذ مسعود الندوي بطبعها ، وتعنى دار العروبة للدعوة الاسلامية بنشرها ، وفي هذه الرسالة رسم للخطة التي يجب أن تسير عليها حكومة الباكستان في انقلابها الاسلامي ، الذي جمع إخواننا مسلمي الهند في مملكة واحدة ، وقد جعلوا الاسلام أساساً لحكمهم ، وسيرة السلف الصالح نبراساً لحكومتهم ، وهذه الرسائل المفيدة تطبع باللغة الاردية ، وتترجم بالانكليزية وبالعربية ، والأولى منها تبحث في نظرية الاسلام السياسية كما تقدم ، وهذه الثانية تشرح العمل الذي تتكون منه الحكومة الاسلامية ، ومن مباحثها : الارتقاء الطبيعي لنظام الحكومة ، الحكومة الفكرية ، الخلافة الإلهية ، سبيل الانقلاب الاسلامي ، الأماني المسولة ، المنهاج المخصوص للحركة الاسلامية ، وتفيدنا هذه المباحث أن الحكومة الاسلامية مستقلة عن سائر الحكومات في العالم ، فلا هي بالشيوعية الملحدة ، ولا الديموقراطية الجائرة ، ولا الارستقراطية الآثمة ، بل هي الجمهورية الاسلامية العادلة الفاضلة ، التي تقوم على أساس الأحكام القرآنية ، ودعامة السيرة المحمدية ، وقد حقق فيها أن الانقلاب الاسلامي العام ، لا تثمر شجرته ، ولا تؤتي أكلها ، الا اذا قامت حركة عمومية على هذا الاساس ؛ تقوم هذه الحركة العمومية Mass Mouvement وتنهض وتقوى حتى تغير بجهادها المستمر العنيف أسس الجاهلية الفكرية والخلقية والنفسية والثقافية السائدة في الحياة الاجتماعية ، وتأتي بنيانها من القواعد ، وهذا مصداق ما جاء به التنزيل : « إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهِم » وإليكم نبذة مما جاء في أواخر هذا « المنهاج » ص ٥٩ : وإن كان لك علم بتاريخ الثورات في العالم اضطررت الى الاعتراف بأن هذا الانقلاب (اي الاسلامي) الذي ما أريق فيه الدم إلا تحلة للقسم ، ما أجدره أن يسمى انقلاباً سلمياً Bloodless Revolution

ثم لم يتغير بهذا الانقلاب طراز نظم المملكة فحسب ، بل الحقيقة أنه قد بدلت بهذا الانقلاب العقليات ، ووجهات الأنظار ، ومناهج التفكير ، وتغيرت طرق المعيشة والأخلاق والعادات تغيراً تاماً ، وبالجملة فقد انقلبت الأرض ، أرض العرب ظهراً لبطن ، وتحولت الأمة بأسرها تحولاً تاماً (وقد ضرب الأمثال من العرب المسلمين وفيهم لهذا التحول العظيم) وقال : ونبغ فيهم ولاة وأمراء ما كانوا يسكنون في قصور الحكومة Gouvernement houses بل يعيشون بين الرعية في مثل بيوتهم ، وكانوا يمشون في الأسواق على أرجلهم ، ولم يكن لهم حرس على أبوابهم ، ثم أورد لهم المثل العالية في في القضاء العادل ، والسياسة الحربية ، والقيادة العسكرية ، والسفارة العربية ، (ثم قال) : أرأيتك تحسب أنه كان من الممكن حدوث مثل هذا الانقلاب العظيم في الخلق الاجتماعي ، والعقلية الجماعية بالحرب وحدها ؟ وها هي ذي صفحات التاريخ ماثلة بين عينيك فهل تجد فيها من نظير لحدوث مثل هذا التحول المدهش المعجز في المجتمع الإنساني بفضل السيوف » اهـ .

هذا ولعل الله يهدي الغرب بمثل هذه الكتب التي تترجم الى الانكليزية فيخفف من غلوائه ، ويخفض من كبريائه ، ويستنير بنور الاسلام وضيائه ، فيستريح ويريح العالم من هذا الديجور الذي يتخبط فيه ، وما ذلك على الله بعزيز .

م . ب . ب

الدين القيم

تأليف الأستاذ المودودي : معرب عن الاردية

سلسلة مطبوعات دار العروبة رقم (٣)

هذه الرسالة تبحث في الدين العام ، الذي هو دين الفطرة الانسانية « فأقم وجهك للدين حنيفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها » « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه » . وقد أورد الأستاذ المودودي ما نصت عليه معاجم اللغة من معاني الدين وردها الى أربعة : (الملك والسلطان والحكم والغلبة (٢) الطاعة

والذل والعبودية (٣) الجزاء والمكافأة والحساب (٤) الطريقة والمنهج . واختار هو الرابع وعرفه بأنه المنهاج للحياة ، او الطراز المخصوص للتفكير والعمل الذي يُتبع ويحتذي على مثاله ، وعرف الاسلام بانه هو المنهاج الوحيد الحقيقي الصحيح للحياة البشرية ، والطراز المخصوص للتفكير والعمل في هذه الحياة الدنيا وكلا التعريفين تفسير اجتماعي للدين والاسلام ، وجاء في هذه الرسالة أن المؤلف قد أنكر على مندوب تركيا الجديدة الذي زار الهند منذ بضعة أعوام ، وقال في تصريح عام ما معناه : « إننا في تركيا الجديدة قد فرقنا بين الدين ونظم الحكم والاجتماع تفريقاً تاماً !! فرد الأستاذ المودودي في هذه المحاضرة التي ألقاها في تلك الأيام أمام جمع حافل بالمثقفين الجدد ، وخريجي الجامعات العصرية ، وقال : ولكن الذي أراه وأجزم به بعد ما عكفت على دراسة الكتاب العزيز عكوفاً ، وسبرت غور معانيه ومبانيه زمناً غير قليل ، ووقفت على مثالثه ومثانيه وقفة المتأمل المستبصر ، ان القرآن لم يستعمل كلمة الدين في معنى ضيق محدود ، رغم ما يريده المفسرون المتجددون وتريد أهواؤهم ، وإنما يريد القرآن بالدين منهاج التفكير ، والعمل الشامل للحياة البشرية جمعاء ، لا فرق في ذلك بين زمن وزمن ، وقطر دون قطر ، أقول به وأنا على بينة من الأمر ، ولا أخاف في ذلك ردّ رادٍ ، ولا جحود متعنت .

أقول : يا ليت رؤساءنا ومجالسنا الرسمية في هذا القطر السوري ، وفي فترة هذا العهد الاستقلالي ، ليتهم يعلمون أن كلتي الدين والاسلام بهذا المعنى الاجتماعي العام ، يضمنان لنا حياة طيبة ، إذا وضع في دستورنا (دين الدولة الرسمي الاسلام) وإذاً نكون وحّدنا أنفسنا مع الحكومات العربية في الأقطار الشقيقة المجاورة ، والحكومات الاسلامية في ممالكها المتعددة .

هذا وإن رسالة « الدين القيم » تبلغ نحو خمسين صفحة ، فنحث العرب والمسلمين على قراءة هذه الرسائل المفيدة ، والاستفادة من هذه النهضة الرشيدة ، ونرجو من حكوماتنا العربية أن تعتبر بأن الوحدة الشاملة التي تنشدها ، قد سبقتنا اليها الباكستان ، وبنت أساسها على تقوى من الله ورضوان .

م . ب . ب

دعوة المجد

شعر احمد مظهر العظمة

رئيس تحرير التمدن الاسلامي وعضو لجنة التربية والتعليم

شعر الأستاذ مظهر نفحة من نفحاته ، وصفحة مشرقة من تاريخ حياته ، يشف عن سلامة ذوقه ، ونزاهة قصده ، وعفة لسانه ، وطهارة وجدانه ، وسمو روحه ، وكرم عاطفته ، وقد فتح لديوانه خمسة أبواب من المفاخر والمآثر ، وبلغت أبياته فيه (١١٦٠) بيتاً ، تقرؤها كلها فلا تجد في شيء منها ما ينأى عن تربيته الدينية ، أو قصده السوي ، بل قد تضمن - كما قال مؤلفه - القصائد النبوية ، والشعر الوطني والسياسي ، والشعر الاجتماعي ، وما بين الأبناء والاخوان ، وفي الوصف والهواجس . ولمجد العروبة والاسلام في نفس الشاعر هوى مقيم ، وحنين الى عودته مذيب ، وإن (دعوة المجد) عنوان لعقيدته ، وبرهان على جهاده لخير أمته وملته ، واقرأ ان شئت وصفه لذلك المجد العظيم - الذي شغفه حبه - بقوله :

عربياً عالميـاً مشرقاً ضم أهل الأرض من كل اللغات
واستظلوا بدماء ظمئت لدماء تبتغي رمي الحمـاة
فإذا ما غفلوا عن واجب غفل العز عن القوم الجناة
(دعوة المجد) تباركت فما أحوج الناس الى مجد الدعاة

وقد أدخل في شعره المعاني الحديثة ، ووصف بعض المخترعات العجيبة ، ومما قاله في وصف المذياع :

أصبح العلم كأضغاث الرؤى فاذا صندوقه مأوى اللغات
تسمع الدنيا به مجموعـة وهو يرويهـا لحوناً وعظات
كل قطر يطصفي أبناءه ثم يزجيها ويحدوها الرعاة
فإذا الأرض صعيد واحد حدثت عن حالها كل الرواة

نزه صديقنا الأديب أدبه عن بنت الحان والألحان ، وعن الغواني الخرّد الحسان ، وسائر ما يغوي المستعدين من الشبان ويغريهم بالإلحاد أو الفساد ، فكان

في فرائده عظة بالغة لشعراء العلماء الذين لا يتورعون عن ذكر الصهباء ، فيصفونها ولا يعرفونها ، وكان لهم في مشاهد الكون ، وما تم على يد بنيه من بديع الصنعة والاختراع ، ما يغري ناشئة العصر بالجد والعمل ، ويغني مقلدي شعراء الجاهلية عن وصف الطلل ، والوقوف « بسقط اللوى بين الدخول فحومل » .

وبعد فما دام موضوع هذا الديوان دينياً واجتماعياً فإنا نورد لمؤلفه الصديق الكريم ملاحظة دينية اجتماعية وهي أنه قد سمى ديوانه (دعوة المجد) وكتب في عبارة الإهداء « الى روح رسول الله ﷺ مؤسس مجد العروبة والاسلام ، ثم إلى أرواح تلاميذه العظماء الفاتحين ، والعادلين الهادين والمعلمين » .

أقول : إن المجد العظيم الذي أسسوه ، والذي يرجى من خلفائهم في الأرض أن يجددوه ، لم يكن من أثر الروح وحدها ، فتستحق عليه الثناء والدعاء وحدها ، بل هو من أثر الروح والجسم معاً ، فلو أهداه الى مؤسس مجد العروبة والاسلام عليه الصلاة والسلام ، ثم الى خلفائه الكرام ، (لا إلى أرواحهم فحسب) لكان ذلك أتم وأعم ، ولشمل الخير الروح والجسم ، وهنا تأتي المسألة الدينية أيضاً ، وهي أن كثيراً من الناس يهبون ثواب أعمالهم الى (روح) من يرون لهم حقاً عليهم ، وهم يسألون ربهم لهم الغفران والرضوان ، مع العلم بأن التكريم والعذاب الأليم يقعان على الروح والجسم معاً في الدنيا والآخرة ، فرب الدارين واحد ، وحكمته فيهما واحدة ، وفي القرآن الكريم : « ولقد كرمنا بني آدم » وهذا في الدنيا ، وقال في يوم الحساب « وإذا النفوس زوجت » أي قرنت بأجسادها ، لتجازى بأعمالها ، وفي الحديث الصحيح بيان أن الله تعالى يخلق الأجنة في الأرحام أولاً ، ثم ينفخ فيها الروح ، وقد أنشد بعض كبار القوم في هذا المعنى :

وما الفخر إلا بالجسوم لأنها   مولّدة الأرواح ناهيك من فخر

هذا وإنا لنشكر لهذا الأستاذ المجد ، ما يبذله في خدمة أمته من وقت وجهد .

م . ب . ب

آراء وانباء

مخطوطات جديدة

توفر معالي الأستاذ السيد خليل مردم بك خلال رحلته الأخيرة الى بريطانيا العظمى على استنساخ مجموعة من المخطوطات العربية يهتم لاحيائها المجمع العلمي العربي وما هي في خزانته وقفاً على المؤلفين والناسخين ٠

من مكتبة المتحف البريطاني

تاريخ داريا لابن مهنا (٣٧) ورقة

تاريخ ابن عساكر اربعة أجزاء مقروءة على المؤلف وعليها خطه (١٠٦) ورقة

أربعة مجلدات من العبر وتاريخ الاسلام للذهبي (٢٤٧) ورقة

ثلاثة مجلدات من مرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (٢٤٥) ورقة

مجلد من المحكم لابن سيدة (٢٩٢) ورقة

قطب السرور لأبي اسحق النديم (٢٤٨) ورقة

ديوان البيتاني (١٩٠) ورقة

من مكتبة كامبردج

الأول من فاكهة المجالس وفكاهة المجالس من تاريخ دمشق لابن عساكر اختيار احمد بن عبد الدائم المقدسي الكاتب (٢٣٤) ورقة (نسخة قديمة صحيحة لعلها بخط المؤلف) ٠

الجزء التاسع من تاريخ الاسلام للذهبي يبتدئ بسنة ٥٣١ وينتهي بسنة ٥٨٠ (٣٥٠) ورقة (نسخة قديمة في آخرها خط ابن حجر العسقلاني)

الجزء الحادي عشر منه يبتدئ بسنة ٦٢١ وينتهي بسنة ٦٦٠ (٣٢٩) ورقة

الجزء الثاني عشر منه 〃 〃 ٦٦١ 〃 〃 ٧٠٠ (٢٦٠) ورقة

كتاب العبر للذهبي وذيله لمحمد بن حمزة الحسيني يبتدئ بالسنة الأولى من الهجرة وينتهي بسنة ٧٦٤ (نسخة قديمة صحيحة)

من مكتبة اكسفورد

الجزء الخامس من الوافي بالوفيات للصفدي أوله آدم بن عبد العزيز وآخره احمد بن سعيد (١٦٩) ورقة (مخروم الأول)

الجزء السادس منه أوله احمد بن سلام وآخره احمد بن محمد (١٥٠) ورقة

الجزء الحادي عشر منه 〃 الحسن بن علي 〃 حيان (١٥٨) 〃

الجزء الثالث عشر منه 〃 زياد 〃 سنقر شاه (١٧٧) 〃

الجزء الرابع عشر منه 〃 سهل بن عبد الله 〃 عباد (١٤٦) 〃

الجزء الخامس عشر منه 〃 عبادة 〃 عبد الله (١٤٢) 〃

الجزء الأول من مسالك الأبصار لابن فضل الله العمري (١٩٤) 〃

الجزء الثالث من البرق الشامي للعماد الكاتب (١٤٧) 〃

〃 الخامس 〃 〃 〃 〃 〃 (١٤١) 〃

جزء من الخريدة للعماد الكاتب (غير مرقم)

المصطلحات السياسية

كان معتمد «دار العروبة» في الباكستان قد أرسل الى مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق قائمة ببعض المصطلحات السياسية، مما وردت في منشورات هذه الدار، ورغب في ابداء الرأي فيها، وتلبية لهذه الرغبة أرسل الى مجلتكم ما أراه صالحاً لإدخاله عليها :

الاستعمال الوارد في النشرة	الترجمة الفنية له	المصطلح الانكليزي
الاستبدادية	حكم ذو سلطة	Authoritarian
الدوائر	الكتل	Blocks
الترشح	ترشيح	Candidature
الماليون	الرأسماليون	Capitalists
الزعامة المركزية	السلطة المركزية	Central authority
المنشور العام	صك ، شرعة [1]	Charter
الوهية	السيطرة	Domination
النظم الاقتصادية	السياسة الاقتصادية	Economic policy
الهيئة التنفيذية	السلطة التنفيذية	Executive
سلطان السمو الفكري	الزعامة الفكرية	Intellectual leadership
السلطان	حق الحكم ، ولاية القضاء	Jurisdiction
سلطان منحصر في دائرة محدودة	السيادة الشعبية المقيدة	limited popular sovereignty
الحركة العمومية	حركة الجماهير	Mass movement
الحامية	الحرس القومي	National guards
—	الحاميـة	(Garrison)

(١) راجع كتاب « المصطلحات الدبلوماسية » لمأمون الحموي ، دمشق ١٩٤٩ ، ص ٣٧

الاستعمال الوارد في النشرة	الترجمة الفنية له	المصطلح الانكليزي
الذي لا غاية له	انتهازي	Opportunist
سلطان الجمهور	السيادة الشعبية	Popular sovereignty
الحقوق	تفويض . سلطة	Powers
الشعور بالحقيقة	المذهب الواقعي	Realism
التشكيل الجديد	اعادة الانشاء (الانشاء من جديد)	Reconstruction
القوانين الفرعية	الأنظمة ـ اللوائح (في مصر)	Regulations
مكانة الرجل في المجتمع	الوضع الاجتماعي	Social status
الحاكمية	السيادة	Sovereignty
المملكة	الدولة	State
المهيمنة	الحكومة المطلقة	Totalitarian government

الدكتور مأمون الحموي

النهضة العربية في العصر الحديث

— حقائق تاريخية عنها —

— ٣ —

تابع المبحث الأول

سنة ١٨٤٤ (١٢٦٠ ﻫ)

٤٣ — الدرر الغوال في معالجة امراض الأطفال

٤٤ — كنوز الصحة ويواقيت المنحة

٤٥ — الجواهر السنية في الأعمال الكيماوية في ثلاثة أجزاء

٤٦ — بهجة الرؤساء في أمراض النساء

٤٧ — مشكاة اللائذين في علم الأقرباذين

٤٨ — القانون الرياضي في تخطيط الأراضي

سنة ١٨٤٥ (١٢٦١ ﻫ)

٤٩ — نزهة الاقبال في مداواة الأطفال

٥٠ — كتاب التنقيح الوحيد في التشريح الجديد

٥١ — اللآلي البهية في الهندسة الوصفية

سنة ١٨٤٦ (١٢٦٢ ﻫ)

٥٢ — غرر النجاح في أعمال الجراح في جزئين

٥٣ — قانون الصحة البيطرية

سنة ١٨٤٧ (١٢٦٣ ﻫ)

٥٤ — غاية المرام في الأدوية والسقام

٥٥ — الروضة البهية في مداواة الأمراض الجلدية في جزئين

٥٦ — نخبة الأمائل في علاج تشوهات المفاصل

٥٧ — الهندسة الوصفية في مجلدين

سنة ١٨٤٨ (١٢٦٤ هـ)

٥٨ — التنوير في قواعد التحضير

٥٩ — جامع الثمرات في حساب المثلثات

٦٠ — تحرك السوائل

هذا بعض المجهود المصري في خدمة العلم واللغة العربية خلال بضع عشرة سنة ، اي منذ ان بدأت غراس محمد علي تثمر حتى انتهى حكمه ، ومن المعلوم انه توفي قبل ان تفتح الكلية الاميركية ابوابها باكثر من خمس عشرة سنة ، وقبل ان تكون في تاريخ العلم في لبنان كلية يسوعية بما يزيد على ربع قرن ، ولم يقل احد من العلماء ، حتى ولا احد ممن يدعون العلم ، بان الكتب العلمية قد طبعت او ألفت في لبنان قبل وجود الكليتين المذكورتين ، كل هذا مما يؤيد كلام الأستاذ الرئيس من ان الكتب العربية التي طبعت في مصر ظلت تتناقلها الأيدي سنين عديدة ، قبل ان يكون في لبنان من الكتب سوى الكتب الدينية التي نشرها الرهبان والمبشرون في سبيل خدمة العقائد النصرانية .

ومن الطرائف العجيبة ان الأب فاخوري الذي ضاق صدره عن تحمل قول الأستاذ الرئيس من ان « ابن لبنان لم يكن قد وصل الى اكثر من السواعية » يوم كانت المدارس التي فتحها محمد علي تؤدي رسالتها في نشر العلم والثقافة ، حتى انه عد هذا الكلام « من وحي الوهم ، والعاطفة الهائجة » ؛ اتخذ كلام الرحالة الفرنسي « ڤولني » الذي زار مصر في اواخر القرن الثامن عشر ، حجة على « ان الجهل كان ضارباً اطنابه فيها على العقول المتخدرة » قال ڤولني : « الجهل عام في هذه البلاد ... وهو يتناول كل الطبقات ويتجلى في كل العوامل الأدبية والطبيعية وفي الفنون الجميلة . حتى الصنائع اليدوية فانها في أبسط احوالها . ويندر ان تجد في القاهرة من يصلح الساعة ، واذا وجد فهو افرنجي . اما الصياغة فأصحابها فيها اكثر مما في ازمير وحلب ولكنهم جهلاء ... اما العلم فوجود مدرسة الأزهر فيها جعلها مرجع الطلاب في الشرق الاسلامي » .

ونحن لسنا ندري اي فخر لمسيحي لبناني ـ كالأب فاخوري ـ اراد ان يثبت ان ابن لبنان « قد وصل الى اكثر من السواعية قبل ان تفتح مصر عينها للنور » على حد تعبيره ، فنقل كلاماً لرحالة فرنسي يصف فيه مصر قبل عهد محمد علي ، وتعمد عند النقل اخفاء شطر ما قاله الرحالة المذكور عن قارئيه ، لأن فيه الدليل الكافي لهدم كل ما بناه الأب في سبيل الدفاع عن « ابن لبنان » وڤولني يقول : « ان الجهل سائد في سوريا كما في مصر وتركيا . وقد انتقد بعضهم هذه الحالة عبثاً ولم يأت الكلام عن انشاء الكليات ونشر التعليم والتهذيب بثمر . لأن هذه الألفاظ لها عندهم معان غير ما نفهمه نحن منها . انقضى عصر الخلفاء وليس من العرب او الأتراك الآن علماء في الرياضيات او الفلك او الموسيقى او الطب . ويندر فيهم من يحسن الفصادة ، واذا احتاجوا الى الكي استخدموا له النار ، واذا عثروا بمتطبب افرنجي عدوه من آلهة الطب . واما علم النجوم فقد صار عندهم للتجامة واستطلاع الطوالع » .

وكأن ڤولني لم يكتف بهذا القدر من وصف الحالة في سورية يوم زارها ، ومن الواضح ان لفظة « سورية » تشمل لبنان يوم كانت لفظة « لبنان » لا تذكر الدلالة على ما تدل عليه اليوم ، بل انه عمد الى حقيقة مرة ، كأنها غمز من « آباء النهضة » الذي يحمل الأب فاخوري المشاعل الخافت نورها ، ليدل على فضلهم على « البلاد العربية » قال ڤولني تتمة كلامه السابق : « . . وفي دير مار يوحنا « بالشوير » طائفة من الرهبان لهم اتصال برومية ، ولا يقلون جهلاً عن سواهم ـ في العلوم العصرية طبعاً لا في تأليف الكتب التبشيرية وطبع السواعيات ـ واذا قيل لهم ان الأرض تدور عدوا قوله كفراً لأنه يخالف الكتاب المقدس [1] » .

* * *

(١) تاريخ آداب اللغة العربية .

المبحث الثاني

العوامل المختلفة للنهضة بين مصر ولبنان

احتكاك الشرق بالغرب

لم يكتف الأب فاخوري بالدفاع عن آراء الكاتب الفرنسي الذي كتب عن بلاد العرب بقلم رجل من رجال السياسة الاستعمارية ، لا بقلم العالم المؤرخ ، بل عمد الى هجوم لم يتخذ له العدة التي تؤيده ، ودون ان يحمي نفسه من سلاح الوقائع التاريخية والحقائق الثابتة والأرقام الناطقة ، فجاء رده متهافتاً متكلفاً فيه ، فهو يؤكد مثلاً : « ان النهضة العربية الأخيرة لم تقم حقيقة الا باحتكاك الشرق بالغرب » وهذا كلام فيه كثير من الحق ، ولكن اذا قلنا وقال المؤرخون : ان مصر هي التي بذرت بذور النهضة الحديثة في العالم العربي لا نصارى لبنان ، فلا يكون في هذا القول انتقاص من قيمة احتكاك الشرق بالغرب ، وقد رأينا بما ذكرنا من وقائع كيف احتك الشرق بالغرب في مصر بفعل نابوليون ومحمد علي من بعده ، فاشتعلت نهضة الأمة العربية بعامل الشرارة التي نشأت عن ذلك الاحتكاك . أما الأب فاخوري فإنه لا يؤمن بهذه الحقائق ويدعي ان الاحتكاك وقع في لبنان وهو يقول : « ولا عجب في ذلك ، فتاريخ لبنان كله شاهد بانفتاحه على الشعوب المتمدنة للافادة والاستفادة ، من غير أن يفقد كيانه وذاتيته ، فقد اتصل لبنان بمدنية الغرب منذ عهد الصليبيين » والغريب ان الأب فاخوري ناقض نفسه بنفسه ، اذ استشهد في تأييد رأيه بكلام للعلامة احمد امين جاء فيه : « لقد أغلق الشرق على نفسه من القرن الثالث عشر الميلادي الى نهاية القرن الثامن عشر تقريباً ، فلم يتصل بالغرب الا اتصالاً عدائياً حربياً في الحروب الصليبية ، أو اتصالاً تجارياً ضعيفاً ، أما اتصالاً ثقافياً فلا [1] » . وكأنه باستشهاده هذا يريد ان يخرج لبنان ، بالرغم منه ، من الشرق الذي ظل محتفظاً بشرقيته ،

(١) قصة الادب في العالم ج ٣ ص ٤٦٠

رغم الحروب الصليبية ورغم احداث الزمن ، ونحن لا نقصد بقولنا هذا نفي كل اتصال ثقافي بين الشرق والغرب قبل عصر محمد علي ، لأن اتصال بعض الأفراد قد حدث فعلاً ، ولكنهم أفراد معدودون ، واحتكاك الأفراد ما كان ليثمر نهضة أمة ، كما حدثت ، لولا احتكاك الدولة نفسها ، وما قال احد ، ولن يقول ، ان دولة عربية حديثة احتكت بالغرب قبل أن تحتك به دولة محمد علي المصريه ، حتى ان الأب لويس شيخو اليسوعي ، وهو كبير المؤرخين النصارى في العصر الحديث ، يزعم ان اشتغال المصريين بتعريب الكتب الأوروبية سبب خمولاً في النهضة الأدبية ، اذ يقول : « وكانت مصر بعد تقدمها على الشام في النهضة الأدبية أصابها بعض الخمول ، رغماً عن انتشار العلوم الحديثة في مدارسها ، ووفرة مطبوعاتها العربية وهمة خديويها محمد علي باشا ووزير معارفها الهمام علي باشا مبارك ، ولعل سبب هذا الخمول انما كان انصراف اهلها الى العلوم الأجنبية ، فكان شيوخها ساعين في نقل التآليف الأوروبية الى العربية ، فيدرسونها في مدارسهم ، فيشغلهم الأمر عن الاهتمام بالآداب العربية (١) » .

التعريب والمعربون

عندما أضاف الأستاذ الرئيس في مقاله تعريب الكتب العلمية الى : « المعربين الذين تعلموا في اوروبا على عهد حكومة محمد علي » حاول الأب فاخوري الرد على هذا أيضاً واستشهد بكلام لجرجي زيدان جاء فيه : « لم يصبر محمد علي ريثما يتخرج التراجمة من الارساليات الأوروبية او في المدارس المصرية فاستخدم بعض النزالة من السوريين او المغاربة أولاً . ثم تخرج المترجمون في المدارس ولا سيما مدرسة الألسن الخاصة بهذا الغرض (٢) » . وهذا كلام مقبول ويرضي الرجل المنصف ، ولا ينقص من الحقيقة التي ذكرها الأستاذ الرئيس ، ولكن الأب فاخوري عودنا

(١) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ج / ٢ ص / ٧١

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ١٥٨/٤

ألا يستشهد بأقوال المؤرخين الا ناقصة ، ولو نقلها كاملة لكفته للاقلاع عن « غلوه » في الانتقاص من قيمة جهود المصريين من أجل النهضة العربية ، وذلك من أجل اضافة فخر للبنانيين لا تستوجب أعمالهم إلا بعضه ، فجرجي زيدان يقول في صدر كلامه المتقدم عن ما سماه بالعلوم الدخيلة وسماه الأستاذ الرئيس في مقاله بالعلوم المادية ما يلي : « وأهمها كلها الطب والطبيعيات والرياضيات . واكثرها نقل للتعليم في المدارس الكبرى بمصر والشام . ومصر أسبق الى هذه المنقبة على يد محمد علي . وأكثر المشتغلين في ذلك من أبناء الارسالية الأولى وتلاميذ مدرسة الطب في النصف الأول من القرن التاسع عشر واشترك معهم بعض المترجمين السوريين وغيرهم وأكثر منقولاتهم عن الفرنساوية والايطالية [1] » .

إن هذا الاعتدال في القول لا يرضي الأب فاخوري ، الا اذا فهم قارئه ان اكثر ما طبع في مصر من كتب العلوم المختلفة كان فضل تعريبه للنصارى اللبنانيين ولسواهم من غير المصريين ـ على حد تعبيره ـ وهو يقول : « ومن أشهر هؤلاء يوحنا عنحوري ، واول كتاب طبي طبع في العربية من ترجمات هذه النهضة كان تأليف كلوت بك وترجمة يوحنا عنحوري ، وهو كتاب القول الصريح ، ويوسف فرعون له بضع عشرة ترجمة ، واوغسطين سكاكيني ... »

ونحن نحب أن نورد هنا شيئاً عن التعريب والمعربين ، لا شك ان الأب فاخوري قد قرأه ، واشياء اخرى لعله لم يطلع عليها ، فلقد ذكر جرجي زيدان اسماء المعربين من غير المصريين فاذا بهم ستة أشخاص فقط وهم « عنحوري ، فرعون ، سكاكيني ، يعقوب ، فيدال ، لاز » ؛ ولسنا ندري كيف يريد الأب فاخوري ان يجعل من الثلاثة الأول اصحاب الفضل العريض على العلم وحتى على النهضة العربية بأسرها ، وتراجمهم وما ادوه من خدمات مأجورة تتلخص بما يلي :

١ — يوحنا عنحوري — بيت عنحوري معروف بمصر والشام [2] . كان يوحنا ضعيفاً باللغة الفرنسية ومتمكناً من الايطالية [3] . شهد له « كلوت » بالدأب

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٨٤ (٢) و (٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٩٠

والاخلاص في العمل [١] . واول كتاب طبي طبع في العربية كان من تأليف كلوت وترجمة يوحنا وحرره له محمد الهراوي [٢] . ثم ترجم كتاباً آخر في علم شفاء الأمراض من تأليف بروسيه وسانسون كان بالفرنسية فنقل الى الايطالية ليتمكن من تعريبه ، وقد صححه له محمد الهراوي وهو احد تلامذة الأزهر [٣] الذين حصلوا على لقب « دكتور في الطب » من فرنسا [٤] .

٢ — يوسف فرعون — آل فرعون اسرة معروفة هاجر بعضها الى مصر منذ قرن ونصف [٥] ومنهم يوسف . له احدى عشرة معربة في الطب البيطري والعقاقير [٦] .

٣ — اوغسطين سكاكيني — ولعله من بيت السكاكيني المعروفين في مصر [٧] وقد نقل كتاباً في الطب لكلوت حرره له الشيخ الهراوي الأزهري [٨] .

ان ذكر هذه الخلاصات ، كما نجده ، أقوى رد على الأب فاخوري ، يجعل أثر هؤلاء الثلاثة أهون من ان يشار اليه في تاريخ النهضة الحديثة ، حتى ولو غضضنا الطرف عن ضعف الأول باللغتين العربية والفرنسية ، ومع نفي التمصر عن الثاني وأهله ، ومع عدم الشك مطلقاً في نسبة الثالث الى لبنان . على أنه من حق التاريخ ان ندون هنا ما رافق التعريب الذي امر به محمد علي من عناية لولاها لما تم على شكل يرضي العلم والعلماء ، يقول جرجي زيدان : « ولما اراد محمد علي نقل العلوم الحديثة الى العربية كان اكثر النقلة لا عناية لهم في اللغة العربية ، واكثر علماء اللغة لا معرفة لهم باللغات الأجنبية [٩] » وهذه الحقيقة كانت أهم عثرة في سبيل النتائج التي توخاها محمد علي من فتح المدارس واستحضار الأساتذة ، ونقل العلوم من اللغات الأجنبية ، وخصوصاً وقد كانت النتائج الأولى لامتحانات مدرسة الطب غير مرضية ، فاعترف مديرها الفرنسي « بان السبب

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٥٨ (٢) و(٣) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٠٥

(٤) تاريخ التعليم في عصر محمد علي (٥) و(٦) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٩٠

(٧) تاريخ آداب اللغة العربية ٤ / ١٩٠ وقد وضع مؤلف كتاب التعليم بعد اسم اوغسطين بين قوسين (من مرسيليا) ص ٢٥٨

(٨) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/١٩١ (٩) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٠٤

الوحيد لتأخر طلابه هو ان دروس الأساتذة الأجانب غير الملمين باللغة العربية او اللغة التركية كان يترجمها للطلبة مترجمون لا يعلمون شيئاً عن معناها فلا يستطيعون شرحها للطلبة[1] »؛ ولكن محمد علي استطاع بثاقب تفكيره ملافاة هذا النقص فكان اول ما صنعه ان عين « طائفة من علماء الأزهر الحاذقين اللغة العربية والمعروفين بالاطلاع والقدرة على البحث ، وهم « المصححون » الذين قاموا على الكشف عن المصطلحات العربية القديمة واحيائها من جهة ، واصلاح الدروس ثم الكتب العربية من الوجهة اللغوية والبيانية من جهة أخرى[2] » . ولا شك ، كما يقول الأستاذ احمد عزت عبد الكريم[3] : « ان هؤلاء المصححين ، بما اتيح لهم من الاطلاع على المؤلفات العربية قد أمدوا المترجمين بعظيم المعاونة في اختيار الألفاظ العربية التي تقابل المصطلحات الطبية الأجنبية ، أما المصطلحات التي لم يجدوا لها مرادفاً عربياً فقد وضعوا لها مصطلحات جديدة مشتقة من الألفاظ الأجنبية « ومن هؤلاء الرجال مجتمعين تكونت (أكاديمية) تكفل أمانة الترجمة وصحتها[4] ، وأصبح للطب في خمس سنين معجم تزيد كلماته على ستة آلاف كلمة » .

من هذا تتبين لنا قيمة جهود المترجمين اللبنانيين من ناحية أثرهم في النهضة العربية ، ونستطيع تقدير جهودهم من الناحية العلمية بالنسبة الى غيرهم اذا ذكرنا الحقائق التالية :

أولاً — الكتب العربية التي ألفها الأساتذة الأجانب :

١ — الف الدكتور كلوت مدير المدرسة الطبية اثني عشر كتاباً طبعت كلها باللغة العربية ، عرب ستة منها معربون مصريون مسلمون ومن تلامذة الأزهر القدماء ، وعرب اثنين يوحنا عنحوري ، وواحداً عربه اوغسطين سكاكيني ، والثلاثة الباقية لم يذكر اسم معربها .

(١) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦١

(٢) و (٣) تاريخ التعليم في عصر محمد علي ص ٢٦٣ و ٢٥٨

(٤) عن مذكرات الدكتور كلوت

٢ — الف الدكتور برون ، بعد ان اتقن العربية ، كتابين مهمين في الطبيعة والكيمياء صححهما له أحد تلامذة الأزهر .

٣ — الف الدكتور برنار معلم فن الصحة كتابا طبع بالعربية ولم يذكر اسم معربه .

٤ — الف الدكتور فيجري كتابا في علم النبات عربه ونقحه اثنان من تلامذة الازهر .

ثانياً — الكتب التي ألفها أو ترجمها المصريون :

١ — عرب الدكتور ابراهيم النبراوي المتوفى سنة ١٨٦٢ وهو من تلامذة الأزهر ثلاثة كتب طبية .

٢ — عرب وألف الدكتور احمد حسن الرشيدي المتوفى سنة ١٨٦٥ وهو من تلامذة الأزهر تسعة كتب .

٣ — الف الدكتور محمد علي البقلي المتوفى سنة ١٨٧٦ او كان من تلامذة الأزهر اربعة كتب طبية ، وهو أول من أصدر مجلة طبية باللغه العربية [1] .

٤ — عرب الدكتور محمد الشافعي كتاباً للدكتور كلوت كالف موسوعتين طبيتين .

٥ — عرب الدكتور محمد الشباسي معلم التشريح الخاص كتابا وألف آخر .

٦ — عرب الدكتور عيسى النحراوي معلم التشريح العام كتاب التشريح العام .

٧ — الف الدكتور حسن غانم معلم الصيدلة ومن قدماء تلامذة الأزهر كتابا وصحح آخر .

٨ — عرب محمد عبد الفتاح كتابين طبيين وواحداً في الطب البيطري وآخر في الصيدلة .

٩ — عرب الدكتور علي هيبة كتابين .

أولئك هم المؤلفون الأجانب ، وهؤلاء هم المعربون من المصريين ، وهم من أعضاء البعثة الأولى وقد طبعت كتبهم في عهد محمد علي ، وهناك مصريون كثيرون اشتهروا بالكتب التي ألفوها او عربوها في عصر اسماعيل لا نرى مجالاً للكلام عنها ، لأننا نبحث فقط عن عصر النهضة الأولى ، يوم كان لبنان معدماً من

(١) تاريخ آداب اللغه العربية ٤/٩٥

المدارس العالية ، واكثر اساتذة ما فيه من المدارس كهنة ، ان الفوا فلا تخرج تآليفهم عن أبحاث الدين وغايات التبشير .

لعل بعد هذا الذي أثبتناه من وقائع ، وذكرناه من أرقام سنين ، ونقلناه من أقوال ، اوفي بعضه ما يكفي لنفي ما زعمه الأب فاخوري من انه : «عندما أخذ المصريون يؤلفون ويترجمون كان في لبنان علماء يؤلفون ويترجمون من العلوم ما كان له الأثر الكبير في البلاد ، فقد انتشرت اذ ذاك مؤلفات الدكتور كرنيليوس فانديك في الطب والرياضيات والفلك واللغة ، ومؤلفات الدكتور يوحنا ورتبات ، ومؤلفات الدكتور جورج بوسط في الطب والتاريخ الطبيعي وما الى ذلك . وفتحت الكلية الأمريكية أبواب العلم واسعة ، ثم أنشئت الجامعة اليسوعية ، فكان في بيروت العاصمة اللبنانية جامعتان لها أثرهما في العالم العلمي والثقافي ، ولم يتح لمصر ان تقترب من ذلك الرقي الا في زمن غير بعيد منا» كذا ! !

هذا ما جرؤ الأب فاخوري على قوله ، وفيه ما فيه من مخالفة للحقائق والأرقام ، واندفاع وراء الخيال والأوهام ، اما ما أشار اليه من مؤلفات الدكتور فانديك الهولندي الأصل ، والدكتور ورتبات الأرمني الارومة ، والدكتور بوسط الاميركي الجنسية ، فلعله لا يكتم غيظه اذا قلنا له بأن الكتب العلمية التي الفها المصريون أو عربوها كانت قد طبعت في مصر وانتشرت في البلاد العربية في زمن لم يكن ولا واحد من هؤلاء الثلاثة قد درس الطب بعد ، بل ان اثنين منهما لم تكن أقدامهما قد وطئت أرض لبنان ، وثالثهما حتما لم يكن قد رأى نور الشمس بعينه [1] .

وقد يكون من المفيد أن نختم هذا البحث عن التعريب والتصحيح وفضل المعربين

---

(١) ولد الدكتور فانديك سنة ١٨١٨ وبعد دراسته الطب في البلاد الاميركية أرسل مبشراً دينياً الى سورية ، فوصل ميناء بيروت في ٢ نيسان ١٨٤٠ ، والدكتور ورتبات ولد سنة ١٨٢٧ واشتغل مبشراً في سورية ثم غادرها الى انكلترا لدراسة الطب فلما عاد طبيباً عين أستاذاً في الكلية الاميركية وكانت في أوائل عهدها . أما الدكتور بوسط فقد ولد سنة ١٨٨٣ ودرس الطب واللاهوت في امريكا ثم ارسل الى سورية للتبشير والتطبيب وقد وصلها سنة ١٨٦٣ راجع تراجم هؤلاء في كتاب تراجم مشاهير الشرق لجرجي زيدان ج ٢ مصر ١٩٢٢ .

والمصححين ، وأثرهم في النهضة العربية ، بنقل خلاصة مقدمة الشيخ محمد عمر التونسي احد علماء الأزهر المتوفى سنة ١٨٥٧ للمعجم الذي ألفه تحت اسم « الشذور الذهبية في الألفاظ الطبية » قال :

« لما كثرت ترجمات الكتب الطبية رأيت أن أؤلف قاموساً جامعاً للمصطلحات ، وكان كلوت بك قد أتى بكتاب فرنساوي في المصطلحات الطبية والعلمية ، واوعز الى مهرة المعلمين ترجمته وهم : ابراهيم النبراوي معلم الجراحة الكبرى ، ومحمد علي البقلي معلم الجراحة الصغرى ، ومحمد الشافعي معلم الأمراض الباطنة ، ومحمد الشباسي معلم التشريح الخاص ، وعيسوي النحراوي معلم التشريح العام ، والسيد احمد الرشيدي معلم الاقرباذين والمادة الطبية ، ومصطفى السبكي معلم أمراض العين ، وحسنين علي معلم النبات ، فترجم كل منهم الجزء الذي أعطيه . فأوعز الي الدكتور برون ناظر المدرسة أن آخذ من الكتاب كل لفظ يدل على مرض أو عرض او نبات او معدن او حيوان او غير ذلك من الاصطلاحات . وان استخرج ما في القواميس من التعاريف . وما جاء في تذكرة داود وما في فقه اللغة وغيره من المعاجم او كتب اللغة . ففعلت ذلك وأضفت اليه اسماء العقاقير واسماء الأطباء المشهورين ورتبته على حروف المعجم [١] » .

الصحافة

يأتي الاب فاخوري في رده على ذكر الصحافة ويقول : « أما الصحافة العربية فلم تقم في الحقيقة إلا على أكتاف أبناء لبنان » مستشهداً بالمستشرق « هارتمن » وبما ذكره الاسكندري في « الوسيط » والزيات في « تاريخه » ، وهارتمن قد قال : « ان من عوامل سرعة انتشار الصحافة في مصر تقاطر السوريين الى وادي النيل في عهد اسماعيل وما بعده » والاسكندري يقول عن السوريين « انهم أول من قام بانشائها بمصر بعد الوقائع [٢] ، ولكنهم لم ينفردوا بها اكثر من عشر سنين »

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٠٧

(٢) من الغريب المدهش ان الأب فاخوري لم يكن امينا على هذا النص اذحذف منه قوله « بعد الوقائع ووادي النيل » راجع الوسيط للاسكندري وعناني ص ٣٢٤ مصر ١٩٣٠

والزيات يذكر « ان الفضل في تقدم الصحافة ورقي التحرير انما كان للسوريين » .

ولسنا ندري لمَ كلف الاب فاخوري نفسه عناء الاستشهاد بمثل هذه الاقوال الصادقة ، ولم يتعرض الاستاذ الرئيس في مقاله لذكر الصحافة ، ولم ينف احد اشتغال السوريين بالصحافة المصرية ومشاركتهم المصريين في اعلاء شأنها ، وهم قد هاجروا من بلادهم طلباً للحرية وقد وجدوها في مصر ، وطلباً للارتزاق وقد توفر لهم في معاناة الصحافة ، وانه ليؤلمنا أن نشير ـ وقد أحرجنا الاب فاخوري بكثرة غلوه ـ الى ما يتهامس به المصريون ، على غياب منا معاشر السوريين ، من أنهم كانوا يفضلون أن تبقى صحافتهم متأخرة عشر سنوات من أن يأتيهم من يرتقي بها على حساب حريتهم واستقلالهم .

نعم لم يكن من معنى للتفاخر بجهود نصارى السوريين في رفع مستوى الصحافة في مصر ، وموضوع البحث الذي أثاره الكاتب الفرنسي انما يدور حول الأسبقية الى النهضة او نشر بذورها لا على كيفية نموها وترعرعها ، وهذا المؤرخ جرجي زيدان يقول : « اما الشرق العربي فالصحافة لم تظهر فيه الا بعد دخول القرن التاسع عشر ، ومصر سبقت سواها فيها[1] » ، وبطرس البستاني يؤكد : « وكانت مصر مهد الصحافة الأولى[2] » لأنها عرفت الصحافة منذ حملة نابوليون سنة ١٧٩٨ — ١٨١٠ يوم أصدر الفرنسيون صحيفتين باللغة الفرنسية وثالثة باللغة العربية اسمها « التنبيه » وكان يحررها السيد اسماعيل الخشاب[3] . وحتى الأب لويس شيخو اليسوعي يحترم هذه الحقيقة ، يقول : « أما الصحافة العربية فنشأت أولاً في مصر[4] » .

ومن الثابت ان اول صحيفة عربية بالمعنى العام كانت « الوقائع المصرية » التي أنشأها محمد علي سنة ١٨٢٨ ، وابتدأت صدورها باللغة التركية ولم تلبث أن

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٢ (٢) أدباء العرب بيروت ١٩٣٢
(٣) راجع تاريخ الطباعة والصحافة خلال الحملة الفرنسية لابراهيم عبده مصر ١٩٤٠
(٤) الآداب العربية ص ٧٣ ج ١ بيروت ١٩٢٤

اصبحت عربية صرفة وكان من محرريها الشيخ حسن العطار الشهير [١] . على ان الصحافة لم تحتل مكانتها اللائقة قبل عهد اسماعيل اذ بعد انقضاء عهد محمد علي «تحولت مهمة الصحافة في أثناء تلك الفترة الى سوريا، فأخذت على عاتقها اتمام هذا العمل عن شقيقتها مصر . وقد رأيت أن نهضة سوريا العلمية كان العامل الأكبر فيها جماعة المبشرين الأجانب . ولذلك كانت اقدم الصحف عندهم دينية . كما كانت أقدم الصحف المصرية رسمية أميرية لأن الحكومة هي التي قامت بنهضة هذا القطر [٢] » .

ويذكر زيدان تاريخ الصحافة في مختلف البلاد العربية، ويتكلم عن الصحف السياسية غير الحكومية ويقول : «ان جريدة مرآة الأحوال التي صدرت في الأستانة سنة ١٨٥٥ كانت أول جريدة عربية سياسية غير رسمية [٣] » بينما لم يعرف لبنان الصحف قبل «جريدة حديقة الأخبار» التي أصدرها في بيروت خليل الخوري سنه ١٨٥٨، ولم تلبث أن اصبحت رسمية تنطق باسم الحكومة . وبعد هذا أخذ المشتغلون بالأدب والسياسة بإصدار الصحف لا في سورية بل في مختلف البلاد العربية، على أن تاريخ الصحف السياسية والعلمية لا يبدأ في لبنان قبل سنة ١٨٧٠، اذ صدرت فيه «الزهرة» و «البشير» و «الجنة» و «النحلة» . ثم «ثمرات الفنون» و «لسان الحال» الخ ...

وما أن تولى اسماعيل الحكم في مصر، وهو كما يصفه زيدان كان يرى «ما رآه جده محمد علي من احياء آداب اللغة العربية والجامعة العربية، فنشط الصحافة وقرب الأدباء والعلماء في سائر الأمصار العربية . فتقاطر السوريون في أيامه الى مصر، وأخذوا بانشاء الصحف في سورية وخارجها فسهل عليهم اسماعيل الاشتغال بها في مصر [٤] » .

ولقد أصدر المصريون في أيامه عدة صحف «كاليعسوب» سنة ١٨٦٥ وهي

(١) راجع تاريخ الوقائع المصرية لابراهيم عبده مصر ١٩٤٢

(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٤ ص ٦٣ - راجع كتاب تاريخ الصحافة العربية لفيليب دي طرازي

(٣) و (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/ ٦٤ - ٦٦

أول مجلة طبية صدرت باللغة العربية . ثم صدرت « وادي النيل » سنة ١٨٦٦ وهي صحيفة سياسية أدبية وعلمية • ثم صدرت « نزهة الأفكار » سنة ١٨٦٩، وهي سياسية اقتصادية • ثم مجلة « روضة المدارس » سنة ١٨٧٠ وهي علمية أدبية •

ويقول زيدان تعليقاً على تولي اسماعيل الحكم في مصر ان السوريين « يعرفون مصر وخصبها ، وتوفر أسباب الرزق فيها فجاء اليها طائفة من الأدباء والشعراء والكتاب أشهرهم آل تقلا وأديب اسحاق وسليم نقاش وغيرهم [١] » فصدرت « الكوكب الشرقي » سنة ١٨٧٣ • ثم « الاهرام » سنة ١٨٧٦ . وصدرت « المحروسة » سنة ١٨٨٠ • ثم جاء زمن كان فية اكثر ارباب الصحف في مصر من أولئك السوريين الذي نزحوا اليها واتخذوها وطناً ، فلما احتل الانكليز الديار المصرية سنة ١٨٨٢ أخذت الصحافة تدخل في طور جديد من القوة والانتشار ، مرتدية الطابع اليومي الاخباري ، وتزعمت الصحافة جريدتان من أمهات الصحف ، أولاهما « المقطم » اللبنانية النصرانية ـ على رأي الأب فاخوري ـ وقد ظهرت سنة ١٨٨٨ ، ثم تبعتها صحيفة « المؤيد » الجريدة المصرية المسلمة ، وقد اشتد التنافس بين هاتين الصحيفتين حتى انقسمت الصحافة في مصر الى معسكرين [٢] ، يصفهما جرجي زيدان بقوله : « صارت اكثر الصحف اما مقطمية او مؤيدية ـ اما مع الاحتلال أو عليه ـ الا الاهرام فانها تثبت على خطتها [٣] ، في التزام جانب فرنسا [٤] » .

الجمعيات

للجمعيات العلمية والادبية شأن كبير في تاريخ العرب الحديث ، ومما لا شك فيه ان أول نور رآه العالم العربي ، عن طريق الجمعيات كان أيام الفرنسيين في مصر ، اذ أنشأ نابوليون في مصر مجمعاً علمياً مصرياً سنة ١٧٩٨ باسم « انستيتو ديجيبت »

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٤ - ٦٥

(٢) راجع ما كتبه بطرس البستاني عن الصحافة - أدباء العرب بيروت ١٩٣٧

(٣) و (٤) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٦٩ - ٧٠ راجع أيضاً كتاب بطرس البستاني المذكور

وبالرغم من ان لغة المجمع الرسمية كانت الفرنسية فقد نص قانونه على : « انه انما أنشئ لخدمة مصر ونشر العلم والمدنية فيها » ولا أدل على صحة هذا القول من الوصف الذي دونه « الجبرتي » مؤرخ مصر عن ذلك المجمع اذ قال : « فيه جملة كبيرة من كتبهم عليها خزان ومباشرون يحفظونها ويحضرونها للطلبة ، ومن يريد المراجعة فيراجعون فيها مرادهم . فتجتمع الطلبة منهم كل يوم قبل الظهر بساعتين ويجلسون في فسحة المكان المقابلة لخازن المكتب على كراسي منصوبة موازية لتختات عريضة مستطيلة فيطلب من يريد المراجعة ما يشاء منها فيحضرها له الخازن فيتصفحون ويراجعون ويكتبون حتى أسافلهم من العساكر » .

ولئن كان خروج الفرنسيين من مصر قد أوقف هذا المجمع فان اعمال محمد علي في نشر الثقافة فاقت عمل مئات من المجامع العلمية — فضلاً عن الجمعيات الادبية الفردية — على ان المصريين أحيوا هذا المجمع سنة ١٨٥٩ تحت اسم « مجلس المعارف المصري » وهذا طبعاً غير مجلس شورى المدارس الذي عهد اليه محمد علي سنة ١٨٣٦ بالاشراف على شؤون العلم في مصر والذي أصبح فيما بعد « المجلس العام لاعادة تنظيم المدارس » .

أسست في مصر جمعيات كثيرة ، كما كانت سورية موطناً لها ، ولكن ليس من يستطيع ان يقول كما قال الاب فاخوري من ان « لبنان سبق مصر الى الجمعيات — وان الجمعيات لم تظهر بمصر الا في النصف الثاني من القرن الماضي » من أجل الاستدلال على أن لبنان هو أبو النهضة العربية ؛ ولقد أتى الأب فاخوري على ذكر « الجمعية السورية » التي أنشأها المرسلون الاميركيون سنة ١٨٤٧ وادعى ان أول جمعية عربية في مصر انما كانت سنة ١٨٦٨ ، وقد يكون هذا صحيحاً ولسنا ننكر على الجمعية السورية خدمتها وشهرة أعضائها ، ولكن ما نظن أحداً يدعي بأنهم كانوا — آباء النهضة — وهم لم يكونوا إلا من رجالها الذين اندفعوا بقوة التيار الذي سرى في الجسم العربي منذ ايام محمد علي .

الجامع الأزهر

لا بد لنا اتماماً للبحث من حديث مقتضب عن « الجامع الأزهر » وأثره في النهضة العربية ، لأن الاب فاخوري قد أثار هذا الموضوع واستشهد بكلام نشرته مجلة الهلال سنة ١٩٠١ في وصف المدارس قبل عصر محمد علي جاء فيه : « وفي ما خلا مدرسة الازهر كانت المدارس المصرية عبارة عن كتاتيب صغيرة او نحوها لتعليم القراءة البسيطة ومبادئ النحو » وهو قد ذكر هذه الفقرة تمهيداً ليقول : « ولا احد يجهل ما كانت عليه مدرسة الازهر في ذلك الوقت ، اذ كان التلميذ يذيب دماغه فيها وراء (زيد وعمرو) ليقف على محلها من الاعراب ... » وأتى بعد هذا بكلام للاستاذ انيس النصولي ثم اورد قطعة من كتاب « الايام » للدكتور طه حسين يصور فيها الازهر وطريقة التدريس فيه ، ليخلص بعدئذ الى قوله : « ولم يكن من البيئة ما يساعد على النهوض ، فكان لا بد من نور غريب ينير الأذهان ويرفعها الى مستوى العصر » فجاء اللبنانيون - على رأيه - بالنور الذي هدى الامة العربية سبيل التقدم والنهوض .

ان كل نقد يوجه للأزهر وطرق التدريس فيه يقبل عندما يصدر عن مخلصين للأزهر يهمهم ان يروه قائماً بتأدية الرسالة التي اؤتمن عليها من الف سنة على وجهها الأكمل ، أما نقد الأزهر للوصول الى الحط من قيمته ونفي فضله على العرب والمسلمين ، حتى في أحلك الأدوار التي مرت بهم ، فهو أمر لا يرضي المؤرخ المنصف ولا العالم الذي ينشد الحقائق الواقعة .

لقد مر على الأمة العربية حين من الدهر تكالب عليها المغيرون ، واستبد بالحكم فيها الأعاجم ، حتى تقهقرت فيها الحياة العلمية والثقافية ، تبعاً للأحوال السياسية ، تقهقراً سريعاً ، أفلت من يدها مشعل الثقافة والعلم ، وقد اؤتمنت عليه وأدت رسالتها على خير وجه ، ولكن هذا التأخر العلمي لا يعني ان الأمة العربية عقمت من الأفذاذ ، فقد كانت بفضل الأزهر ، وغيره من المدارس الدينية ،

تنجب أعلاماً عاملين جاهدوا ، جهاد الأبطال في سبيل اعادة مجد العرب الغابر وإحياء عزهم التليد [١] . ولقد أصبح الأزهر خلال تلك العصور المظلمة الملاذ الاخير لعلوم الشرع والدين ، كما أصبح بنوع خاص المعقل الحصين للغة العربية ، « تحتفظ في أروقته بكثير من قوتها وحيويتها ، ويدرأ عنها عاديات التدهور النهائي ، ويمكنها من مغالبة لغة الفاتحين ، ومقاومتها ، يردها عن التغلغل في المجتمع المصري [٢] ، . . . وربما كانت هذه المهمة السامية التي ألقى القدر زمامها الى الجامع الازهر ، في تلك الأوقات العصيبة من حياة الامة المصرية ، والعالم الاسلامي بأسره ، هي أعظم ما أدى الازهر من رسالته ، وأعظم ما وفق لاسدائه لعلوم الدين واللغة خلال تاريخه الطويل الحافل [٣] » .

إن فضل الازهر على العروبة والاسلام بصورة عامة ، وعلى النهضة العربية الحديثة بصورة خاصة ، أمر لا يشك فيه الا جاهل او جاحد ، ونحن نعيذ الاب فاخوري ان ينزل بنفسه الى هذه المنزلة من اجل تأييد فكرة معينة ، لانه من الثابت ان محمد علي اعتمد على الازهر في انتقاء رجال النهضة التي ابتغاها ، وعلى أبنائه اعتمد في نقل كتب العلم وصياغتها في قالب عربي مبين ، وجميل قول الاستاذ محمود مصطفى : « وليس بمنكور ان الازهر كان ذلك القبس الذي اشعل منه محمد علي مصباحه ، فكشف غياهب الجهالة عن مصر ، وكانت ظلمات بعضها فوق بعض ، فمن الأزهر أخذ طلبة البعوث ، ومنه استمدت مدرسة الطب في أول نشأتها ، ومن شيوخه كان نظار المدارس الابتدائية ومعلموها ومحرروا كتب العلم المترجمة [٤] »

ان التاريخ لم يعدم منصفين من النصارى كجرجي زيدان إذ قال في وصف الازهر : « وله فضل خاص على آداب اللغة العربية ، لأنه احتفظ بها في أثناء الاجيال المظلمة [٥] » وكبطرس البستاني إذ قال : « وللازهر يد على النهضة

(١) راجع لمحة في تاريخ الازهر على عبد الواحد وافي مصر ١٩٣٦

(٢) راجع عجائب الآثار للجبرتي لتقرأ تراجم الرجال الذين أنجبهم الأزهر خلال تلك العصور المظلمة.

(٣) تاريخ الجامع الازهر محمد عبد الله عنان مصر ٢ : ١٩

(٤) الأدب العربي وتاريخه ج ٣/٣٢٣ مصر ١٩٣٧

(٥) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٢٢

فان طلابه هم الذين كانوا يرسلون في البعثات العلمية الى اوروبة [1] » حتى الاب لويس شيخو اليسوعي اعترف بفضل الأزهر قائلاً : « ومما ساعد أهل مصر على صيانة الآداب العربية بين ظهرانيهم مدرسة زاهرة كان يعلم فيها نخبة من العلماء المسلمين ، نريد بها المدرسة الازهرية ، التي مر في المشرق وصفها (١٩٠١) وكان متولي تدبيرها في ذلك الوقت الشيخ عبد الله بن حجازي الشهير بالشرقاوي مولده في شرقية بلبيس سنة ١١٥٠ (١٧٣٧ م) درس في الازهر وانتقلت اليه مشيخته سنة ١٢٠٨ وبقي عليها الى سنة وفاته ١٢٢٧ (١٨١٢ م) وله عدة تصانيف [2] .. » ؛ أما الاب فاخوري ، فانه أنكر كل فضل للازهر على النهضة العربية ، وادعى بان المدرسة التي فتحها البابا غريغوريوس الثالث عشر في رومة لموارنة لبنان في أواخر القرن السادس عشر قد خدمت لبنان أجل خدمة بما أخرجت له من بطاركة ومطارنة وكهنة ، وكأن الاب فاخوري ، عندما قال عن مدرسة رومة « انها خدمت لبنان أجل خدمة » قد خجل من أن يقول « خدمت العروبة والاسلام » فقصر ادعاءه على لبنان فقط ، ثم جعل لبنان صاحب الفضل الاول على النهضة العربية ، وهو بهذا كأنه قد قال ان العرب مدينون بنهضتهم لمدرسة « رومة ! » ونحن لا يسعنا ، بعد هذا الادعاء ، إلا أن نقول له : ان جميع الكهنة الذين خرجتهم مدارس البابوات في رومة وباريس [3] ، وجميع تلاميذ الارساليات الاجنبية والبعثات التبشيرية في لبنان لن نقدر جهودهم في سبيل العروبة بذرة واحدة اذا بخس الازهر فضله على الامة العربية ، ويكفي تلك العصور المظلمة ،

---

(١) أدباء العرب .

(٢) الآداب العربية في القرن التاسع عشر ص ٨ ج ١ بيروت ١٩٢٤ وفي هذا الكتاب كثير من الحقائق التي فيها الرد الكافي على بعض ادعاءات الاب فاخوري .

(٣) راجع كتاب بطرس البستاني عن عصر الانبعاث لتعرف قيمة تلك المدارس ، فقد أشاد المؤلف بأهميتها ولكنه تحاشى الغلو الذي وقع فيه الأب فاخوري : كأنه علق على كلامه عن نهضة لبنان بقوله : « على ان النهضة الحقيقية لم تلمس الا بعد نصف القرن التاسع عشر حين ظهرت المدارس الراقية وانتشرت الطباعة والصحافة » اهـ .. فتأمل ! !

في التاريخ العربي ، فخراً ان وجد فيها من تلامذة الازهر من يترك للعربية «تاج العروس[1]» وأنعم به من تاج !

انصاف غير مقصود

مما استشهد به الاب فاخوري في مقاله ، كلام للاستاذ الرئيس من كتابه «خطط الشام» فيه وصف لحالة بلاد الشام بعد عصر ابن تيمية (القرن الرابع عشر) والانحطاط العلمي فيها ، والتأخر الذي أصاب المسلمين بعد حضارة زاهرة ، ثم استشهد بكلام آخر من «خطط الشام» في المقارنة بين مدارس المسلمين التي شاخت وبليت طرق التدريس فيها ، وبين المدارس الحديثة التي كان النصارى والمبشرون بدأوا بتأسيسها في القرن التاسع عشر ، وقد علق الاب فاخوري على ذلك قوله : «ان هذه المدارس ـ يقصد مدارس النصارى والمبشرين ـ نشأت وترعرعت قبل نهضة مصر ... فتأمل» !

إن تعليق الاب على كلام الاستاذ الرئيس ضعيف لا يفيد تأييداً لرأي أثبتت الوقائع خطله ، وليس في استشهاده بفقرات من «خطط الشام» الا رداً على نفسه عندما حاول ان ينال من الاستاذ الرئيس وقال عنه «ديدنه التحرش بلبنان واللبنانيين» وهو لو أنصف نفسه لما استشهد بكلام ينصف فيه الرئيس النصارى لأنه بذلك أعطى قارئه الدليل الصريح على أن ديدن الاستاذ الرئيس قول الحقيقة ، ولا يهمه بعدها أرضي الناس أم غضبوا ، وان ترضي الحقيقة الا المنصفين ، وانه ليسرنا لو رأينا الاب الفاخوري بينهم .

* * *

(٢) تأليف الزبيدي مرتضى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ (١٧٩١ م) . وفي هذه الفترة المظلمة من التاريخ العربي نبغ مئات من المؤلفين المسلمين في مختلف البلاد العربية وقد تركوا التآليف الهامة في اللغة والادب والتاريخ ، والمجال أضيق من أن نوسع البحث عنها لتزييف ادعاءات الاب فاخوري ، وتكفي المستزيد مراجعة تاريخ زيدان ليقف على كثير من الحقائق التي ينكرها الاب فاخوري .

المبحث الثالث

محمد علي والفكرة العربية

نتم هذا الموضوع بلمحة موجزة عن تاريخ ظهور الحركة العربية في العصر الحديث، لأن البحث كله إنما دار حول هذه النقطة، وما كان رد الاستاذ الرئيس على الكاتب الفرنسي إلا لأنه ادعى فيما ادعاه أن نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوها، وجاء الاب فاخوري يدافع عن الفرنسي ليثبت أن «لبنان قد استفاد من ثقافة الغرب قبل أن تستفيد مصر» ثم ليثبت انه ليس من «الجهل» الادعاء «بان نصارى لبنان وسورية هم الذين بعثوا النهضة العربية».

لقد أصبح من الثابت اليوم أن اول من بعث الفكرة العربية في النفوس بعد أن ركدت عصوراً طويلة ايام الحكم العثماني، هو محمد علي الذي أقام صرح النهضة بثاقب تفكيره وبدافع طموحه واسس دولة على اكمل ما ينبغي ان تؤسس، وقد كانت الحملة الفرنسية الى مصر قد أيقظت النفوس الى فوائد الاقتباس من الغرب وخصوصاً تنظيمه وعلومه العصرية ومفاهيم الحكم لدى شعوبه، وما كاد محمد علي يتولى الامر بعد ان عاد الفرنسيون الى بلادهم حتى اخذ بتنظيم شؤون الدولة على احدث الاساليب ففتح المدارس وبعث البعوث وامر بنقل العلوم المختلفة فلم تنقض بضع سنوات على حكمه حتى كانت بذور النهضة قد نبتت، ولقد رآها محمد علي فأيقن بنجاحه واجاب الامير بوكلر موسكو الالماني قائلاً: «إن سيرتي لا تبدأ الا من اليوم الذي استطعت فيه ان انهض بهذه البلاد من سبات الأجيال التي تعاقبت عليها، وان آخذ بيدها نحو حياة جديدة[1]».

ما كادت مصر تلقي مقاليدها الى محمد علي حتى وجد ان واجب النهوض بها يدعوه لنشر العلم والعمل على رفع المستوى الثقافي للأمة، وكان من افضل الطرق للوصول الى هذه الغاية ايفاد الشباب الى اوروبة لتلقي العلوم المختلفة، حتى اذا ما عادوا ساهموا في خلق دولة حديثة قوية وعملوا على ادارتها، واول بعثة

(١) راجع كتابه المعنون (مصر تحت حكم محمد علي)

ارسلها محمد علي كانت الى ايطاليا سنة ١٨١٣ من أجل تعلم فن الطباعة وسبك الحروف ، ثم توالت البعثات على الشكل التالي[١] :

٢ — بعثة بحرية حربية الى فرنسا سنة ١٨٤٨

٣ — بعثة للعلوم المختلفة الى فرنسا سنة ١٨٢٦ وهي مؤلفة من اربعين عضواً

٤ — بعثات عديدة الى فرنسا من اجل العلوم الرياضية والصناعات المختلفة من سنة ١٨٢٦ — ١٨٣٣ ومجموع افرادها سبعون طالباً

٥ — بعثات صناعية الى النمسا وفرنسا وانكلترا سنة ١٨٢٩ وعدد افرادها ثمانية وخمسون طالباً

٦ — بعثة بحرية الى انكلترا سنة ١٨٢٩ وفيها اربعة طلاب

٧ — بعثة الاحباش الى فرنسا سنة ١٨٣٢ وعدد افرادها سبعة

٨ — بعثة طبيـة الى فرنسا سنة ١٨٣٢ وفيها اثنا عشر عضواً

٩ — بعثة عسكرية والعلوم المختلفة سنة ١٨٤٤ وفيها سبعون طالباً

١٠— بعثة طبية الى النمسا وفرنسا سنة ١٨٤٥ وافرادها ثمانية

١١— بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٤٧ وفيها طبيبان

١٢— بعثة المحاماة الى فرنسا سنة ١٨٤٧ واعضاؤها خمسة من تلامذة الأزهر

١٣— بعثة الميكانيك والعلوم السياسية الى انكلترا سنة ١٨٤٧ وهي مؤلفة من ستة وعشرين طالباً

١٤— بعثة طبية الى فرنسا سنة ١٨٤٨ وفيها طبيبان

١٥— بعثة التجارة الى انكلترا سنة ١٨٤٨ وفيها احد وعشرون تجاراً

ولقد عاد هؤلاء المبعوثون فأحدثوا انقلاباً مهماً في الحياة الفكرية والاجتماعية ، وفي جهاز الدولة ، وهم كما قال جرجي زيدان : « اول من قال بانشاء دولة عربية ، وبثوا هذه الروح في العناصر العربية ، ووافق ذلك غرض محمد علي السياسي فأخذ به[٢] » كما امر بفتح المدارس والمصانع وتعريب الكتب ، وبذل جهوده

(١) راجع كتاب الامير عمر طوطون عن البعثات أيام محمد علي
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية ص ٤/٧٦

في مختلف نواحي الاصلاح الاجتماعي والسياسي لأنه « اراد ان ينشيء دولة عربية وقد علم ان الوسيلة الوحيدة لنجاح الامة انما هي العلم والصناعة وحسن الادارة [(١)] »

وهكذا ابتدأ محمد علي بتطبيق برنامج واسع من اجل انشاء دولة عربية يكون هو رأسها ومصر قاعدتها ، وكان يبعث للسلطان بالأموال الوفيرة من اجل الا يعكر عليه عمله ، وقد كتب « ميمو » القنصل الفرنسوي في مصر بتاريخ ١٠ آب ١٨٣١ الى وزير خارجية فرنسا مذكرة جاء فيها ذكر الاموال التي كان يدفعها محمد علي للسلطان واردفه بقوله : « وهو يأمل ان يزيد هذا المال اذا سمح له بأن يؤسس الصرح العربي ، وقد اخبرتكم قبلا بما يعنيه بالصرح العربي [(٢)] » ؛ وقد عاد القنصل المذكور الى الحديث عن اهداف محمد علي في المذكرة التي بعثها بتاريخ ٣٠ نيسان ١٨٣٢ وفيها يقول لوزير خارجيته بان « محمد علي بدأ يحدث رجاله واصدقاءه وبعض القناصل الأجانب عن مشروع انشاء دولة عربية كبيرة تكون مصر على رأسها [(٣)] » . ومن رأي « باترو ودافيزيه ده بونتار » ان « الصراع الذي دام بين محمد علي والدولة العثمانية أمداً ليس بقليل ، انما كان صراعاً قومياً ، وان محمد علي كان يدافع عن الذين عزموا عزماً قاطعاً على ازاحة نير الاتراك عن كواهلهم كما فعل اليونانيون والصربيون من قبلهم [(٤)] » .

هذا ويؤكد الأستاذ أسد رستم ان الحملة التي جهزها محمد علي الى سورية بقيادة ابنه ابراهيم كانت مطبوعة بالطابع القومي حتى ان ابراهيم كان يفخر في جميع منشوراته « بمصريته ويعد باحياء مجد العرب والعروبة [(٥)] » وقد قال « البارون بوالا كونت » معتمد فرنسا السياسي لدى محمد علي سنة ١٨٣٣ خلال حديث له عن ابراهيم والحملة السورية ما خلاصته « يريد ابراهيم باشا ان يحيي

---

(١) تراجم مشاهير الشرق جرجي زيدان ج ١ ص ٨ مصر ١٩٢٢
(٢) و (٣) كريم ثابت في محمد علي
(٤) راجع القضية العربية احمد عزت الاعظمي ص ٣٣ بغداد ١٩٣١
(٥) كريم ثابت

مجد الأمة العربية وان يعطي العرب حقهم في حكومة البلاد وفي الجيش أيضا ، وقد ذكر عساكره في أثناء حربه الأخير في سورية بماضي الأمة العربية المجيد وهو يقول يجب ان تكون كل البلدان العربية تحت حكم والده . ولذا فانه يود ان يسيطر على بغداد والعراق العربي [1] » .

ومن الرجوع الى حالة البلاد السورية قبل ان يدخلها ابن محمد علي نجد أنها كانت تتخبط في ظلام دامس من فوضى الادارة ومن جهل السكان ، وتعصب ذوي الأديان ، ولم تكن بوجه عام قد فتحت «عينها للنور» بعد ، فما كان من ابراهيم الا أن اسرع الى ايجاد حكم قوي عادل وعمل جهده لرفع مستوى البلاد اجتماعياً ، ومن أعماله ذات الأثر الباهر تأليفه مجلساً من أعيان البلاد عهد اليه بالنظر في مصالح العباد ، وهذا نص البلاغ الذي أذاعه بتاريخ ١٤ تموز ١٨٣٦ بمناسبة انتخابه لعشرين عيناً من أبناء دمشق ، قال ابراهيم :

« يجب على الراعي ان يعني بأمر رعيته ، ولذلك رسمت الخطط لاصلاح حال السكان الذين اؤتمنت على مصالحهم ، ولا يمكن الوصول الى ذلك إلا بنشر العدالة بينهم والعمل لخيرهم .

وتنفيذاً لهذا العزم الفت مجلساً من أعيان البلاد وتجارها وعهدت اليه النظر في شؤون الأهالي ، وستكون جلساته علنية ، ويدخل في اختصاصه جميع المسائل المدنية العادية ، اما المسائل القانونية فسيرجع فيها الى رأي علماء القانون [2] »

وهكذا كان حكم ابراهيم بن محمد علي في سورية اول باعث على النهوض في هذه البلاد ، وأول منشط للنصارى بعد أجيال كانوا فيها بسبب الجهل والتعصب على أسوأ حال حتى كتب « بانون » قنصل فرنسا في سورية الى حكومته يقول وان الحكم المصري كان العهد الذهبي للمسيحيين في سورية [3] » .

(١) القضية العربية للأعظمي
(٢) مجموعة رسائل محمد علي المطبعة الاهلية بمصر ١٩٣١ الوثيقة ٤٦٤
(٣) كريم ثابت

فلما انقضى الحكم المصري عادت البلاد السورية الى فوضى الحكم الذي اشتهر به العثمانيون ، وعاد الأهالي الى تعصبهم القديم ، تذكيه الأهواء الاجنبية بعامل تضارب المصالح الدولية ، كما فصل ذلك الأستاذ الرئيس في «خطط الشام» حتى هاجر من نصارى سورية من هاجر الى مصر طلباً للحرية في كنف أحفاد محمد علي ، وبقي فيها من بقي يعمل على خدمة بلاده واللغة العربية خدمة مشكورة مذكورة .

وجميل ختم هذا البحث بقول جرجي زيدان «ان محمد علي خدم آداب اللغة العربية ، باحياء الجامعة العربية واللغة العربية ، حتى الأزياء العربية ، فانه كان يكره من يدخل في خدمته من الافرنج أن يتزيوا بالزي العربي ويتكلموا اللغة العربية ، ويؤلفوا فيها او ينقلوا كتبهم اليها [1] » .

* * *

خاتمة

الاعتراف بالجميل

لقد أنهى الأب فاخوري رده على الأستاذ الرئيس بايراد خطاب ألقاه الدكتور طه حسين في حفلة تكريم أقيمت له في لبنان ، أشاد فيها بالصلات بين مصر ولبنان وكان مما قاله : «ومن زعم من الأدباء المحدثين انه يمكن ان يتصل بالأدب العربي القديم دون أن تكون عليه يد لأعلام اللبنانيين في القرن الماضي فهو جاحد للمعروف منكر للجميل» وهذا كلام جميل وأجمل منه ان يكون صادراً عن مثل طه حسين المصري المسلم وعميد الادب العربي المعاصر ؛ ولكن الاستشهاد به غير جميل اذا صدر عن مثل الأب فاخوري لا من أجل اثبات جهود اللبنانيين ، غير المجحودة ، في خدمة اللغة العربية وآدابها ،

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ٤/٣٣

بل من اجل الادعاء بان اللبنانيين هم باعثو النهضة العربية ورجال فجرها الثاني .

لقد اعترف الدكتور طه حسين بالجميل لأدباء لبنان وذكر منهم اليازجي والبستاني وهما من أركان نهضة الآداب العربية في الشطر الأخير من القرن التاسع عشر ولا شك ، ولكنهما ما كانا ـ رغم فضلهما ـ أكثر من أداة لتسهيل الاتصال بالثقافة العربية للمحدثين على حد تعبير الدكتور طه حسين نفسه .

اننا كتبنا بعض ما يمكن ان يكتب في مثل هذا الموضوع وانه لما يسوءنا أن الأب فاخوري قد اضطرنا اليه اضطراراً ، وهو يدعي أننا في « زمن نحن أحوج الناس فيه الى التفاهم والتآخي » وهذا حق ، ولكن ليس بالحق ولا بالعدل ان يبيح الأب فاخوري وأمثاله من اللبنانيين المتعصبين لأنفسهم الكلام والادعاء و « تمويه الحقائق » ثم يطلبون من أصحاب « الحق » ألا يدافعوا عن « حقهم » ومن اصحاب « العلم » ان يتجاهلوا « معلوماتهم » وكل هذا في سبيل « التفاهم والتآخي » .

هذا كلام نوجهه الى الأب يوحنا فاخوري فان اقتنع به فهو حسبه ، وان أغضبه فحسبنا قول الحق للعلم والتاريخ .

الدكتور عدنان الخطيب

الفهرس العام لمواد المجلد الرابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

لكتاب مقالات المجلد الرابع والعشرين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الرابع والعشرين

التعريف والنقد

آراء وأنباء